روائع
الفكر
الاسلامي

الدعوة إلى الله

الرسالة - الوسيلة - الهدف

تأليف الدكتور توفيق الواعي

الدعوة إلى الله

الرسالة - الوسيلة - الهدف

تأليف
الدكتور/ توفيق يوسف الواعي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

دار اليقين
للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

دار اليقين
للنشر والتوزيع
مصر - المنصورة - هاتف: ٣٥٥٢٤١

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

البـاب الثالث

أساليـــب الدعــوة

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع
وسائل تبليغ الدعوة بالقول

الموضوع	الصفحة

الباب الخامس
التبليغ بالعمل ، وسائله

الموضوع	الصفحة

المقدمة

الحمد لله الذي هـدانا لهـذا وما كنـا لنهتدي لـولا أن هدانـا الله ، وأصلي وأسلم على خير خلقه ، وخاتم انبيائه ورسله ، أما بعد

فليس هناك من قول أفضـل ولا أحسن من الدعـوة الى الله ، لقولـه تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وليس هناك أعظم من رجال يحملون رسالات الله ليبلغوها للناس : وصدق الله «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بـالله حسيباً» رجـال اصطفوا على الناس وفضلوا عـلى العالمـين «الله يصطفى من المـلائكة رسـلاً ومن الناس» «أن الله إصطفى آد م ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العـالمين» «ثم اورثنـا الكتاب الـذين اصطفينـا من عبادنـا» «واذكـر عبـادنـا ابـراهيم واسحـاق ويعقوب أولى الأيدي والابصـار ، أنا أخلصنـاهم بخالصـة ذكرى الـدار وأنهم عندنا لمن المصـطفين الأخيـار ، واذكر اسمـاعيل واليسـع وذا الكفل وكـل من الأخيار »

وجاء شرف القول لشرف المقولة ، واختص الحديث بالحسن لحمله أفضل دعوة ، ولتبليغه أفضل هداية ، دعوة نـالت شرف الانتسـاب الى الله سبحانـه ، وهداية خلصت من الاخطاء والادران والعوج وصدق الله (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبـع هداي فـلا يضل ولا يشقى) وكـان اختيار الـدعاة واصـطفاؤهم ، لـربانيتهم وأيـدهم وبصرهم وقـدرتهم على حمـل الامانـة ، وصبرهم في تبليـغ

الرسالة ، وصدق الله ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

وقد اختار الله محمداً ﷺ لحمل أعظم دعوة وأنقى هدى ، وأجمع رسالة وأدوم تنزيل ، وأبقى شرعة .

واختار أمته لتبليغ أقدس كتاب ، وتوضيح أهدى سبيل ، وتعليم أنبل غاية وأسمى هدف . وصدق الله﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

لهذا وجب على الأمة الاسلامية اليوم أن تسارع الى حمل هذه الامانة وتبليغ تلك الرسالة ، وأن ترتفع الى مستواها ، وتعلوا الى افقها ، وأن تُظهر شمس الحقيقة لينقشع ليل الباطل وظلمات الضلال ، فيندحر لغو الشيطان وحزبه وضلال البهتان وأفكه ، فالبشرية اليوم والمسلمون قبل غيرهم في حاجة إلى نور الحقيقة وشعاع الايمان وبرد اليقين حتى يرتفعوا ويعزوا ويسعدوا ويأمنوا . وصدق الله «إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً» وكتابنا اليوم خطوة على طريق الدعوة يلقى ضوءاً على هذه التبعة وهذا الشرف الذي اختص الله به أمه محمد عليه السلام ، كما يبين ويوضح بعضاً من عقبات الطريق وتكاليف البلاغ ، ويسلط شعاعاً على أساليب تلك الدعوة التي يجب أن تتبع ويسار اليها حتى يكون الداعية على ذكر ودراية ، وفهم وحكمه ، نسأل الله سبحانه أن يوفقه العاملين الداعين المخلصين الى خير ما يجب ويرضى آمين .

د ـ توفيق الواعي

الباب الأول

تعريف الدعوة - ومعنى الإسلام والدين والعقيدة وأنواع الدعوة

ويشتمل على :

الفصل الأول

تعريف الدعوة وعلم الدعوة

مقدمـــة :

الدعوة الإسلامية موضوعها هو الرسالة الخاتمة التي نـزلت من عند الله بطريق الوحي عـلى محمد ﷺ في كتـاب لا يأتيـه الباطـل من بين يـديه ولا من خلفه .

تكفل الله بحفظها بحفظ كتابـه ، وأرسل بهـا محمدﷺ إلى النـاس أجمعين ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد .

فهي رسالة الله في الأرض ودينه للناس أجمعين إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهي الإسلوب الأمثل والمنهج الأكمل الذي إختاره الله لخلقـه للفوز بسعـادة الدارين ، وهي خـاتم الرسـالات السابقـة وجـامعـة لـوصـايـا الأنبيـاء والمرسلين من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

المبحث الأول

تعريف الدعوة لغة واصطلاحا

من معاني الدعوة في اللغة :-

١ ـ النداء . يقال دعا فلان فـلاناً ، إذا نـاداه ، ودعوت الـرجل إذا صحت بـه واستدعيته .

٢ ـ الدعاء إلى الشيء ، بمعنى الحث على قصده .

٣ ـ الدعوة الى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقاًأو بـاطلاً ، فمن

الباطل : حكاية القرآن عن يوسف عليه السلام في قوله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾[1] أي من طاعة النسوة والوقوع في الإثم ، وكما ورد في قول الرسول ﷺ للاوس والخزرج حين إصطفوا للقتال «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم»

ومن الحق : قوله تعالى ﴿له دعوة الحق﴾ وقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ[2]﴾ وفي كتابه ﷺ إلى هرقل « أدعوك بدعاية الاسلام » أي بدعوته ، وهي كلمة الشهادة وإتباع منهج الله .

٤ ـ المحاولة القولية أو الفعلية والعملية ، لإمالة الناس إلى مذهب أو نحلة [3] .

٥ ـ الابتهال والسؤال : جاء في المصباح المنير. دعوت الله أدعوه ، وأدعوه دعاء ، أي أبتهل إليه بالسؤال ، وأرغب فيما عنده من الخير [4]

تعريف الدعاة :

ويتشكل تعريف الدعاة تبعاً لهذه التعاريف المختلفة ، كما يطلق عليهم كذلك أنهم هم القوم الذين يدعون إلى بيعة أو دعوة هدى أو ضلالة ، يقال : رجل داعية إذا كان يدعو إلى بدعة أو مذهب أو دين ، والرسول ﷺ هو أول داعية في الاسلام إلى توحيد الله وطاعته وإتباع شرعه . قال الله تعالى مخبراً عن الجن الذين إستمعوا القرآن وولوا إلى قومهم منذرين قائلين ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ ﴾[5]

---

١ ـ يوسف ـ الآية

٢ ـ يونس ـ الآية ٢٥

٣ ـ المصباح المنير في مادة ـ دعا .

٤ ـ انظر مقاييس اللغة في مادة .

٥ ـ الاحقاب ـ الآية ٣١ ـ ٣٢

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [1] .

التعريف الإصْلاحي للدعوَة

مما سبق نرى أن كلمة الدعوة في التعريف من معانيها المحاولة القولية والعملية لنداء الناس وإمالتهم إلى الداعي ، أو إلى ما يقصده من قول أو عمل . والمعنى الإصطلاحي لكلمة الدعوة لا يبعد كثيراً عن المعنى اللغوي .

حيث أن مدار التعريف الإصطلاحي للدعوة يدور حول محاولة دعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام وإلى تطبيق منهجه وإعتناق عقيدته وتنفيذ شريعته .

المبحث الثاني

تعريف الدعوة إلى الله

وإذا نظرنا إلى تعريف الدعوة إلى الله بالمعنى الإصطلاحي وجدنا أن هناك تعريفات عدة للعلماء يجمعها كلها عقد واحد ، وهو الدعوة إلى دين الله والحث على إتباعه وتطبيق شريعته . ولهذا جاءت تعريفاتهم تحمل هذا المعنى من هذه التعريفات .

١ ـ الدعوة الإسلامية : هي الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط وقد إستؤنس لهذا التعريف بقوله تعالى ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ ﴾ [2] وقوله ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ [3] وقوله ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ

---

١ ـ الاحزاب ـ الآية ٤٦

٢ ـ الانعام ـ ١٦١ ، ١٦٢

٣ ـ آل عمران ـ ٨٣

دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[2]

٢ ـ الدعوة الإسلامية هي الدين الذي إرتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحيا على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة .

وقد أخذ هذا التعريف من قوله تعالى .

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3] وقوله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4]

ومن قوله ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[5]

٣ ـ الدعوة الإسلامية ـ هي النظام العام والقانون الشامل لامور الحياة ومناهج السلوك الإنساني التي جاء بها محمد ﷺ من ربه وأمر بتبليغها إلى الناس .

وقد أخذ هذا التعريف من قوله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[6] وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ

١ ـ النساء ـ ١٢٥
٢ ـ الانعام ـ ٧١
٣ ـ المائدة ـ٣
٤ ـ آل عمران ـ ٨٥
٥ ـ الشورى ـ ١٣
** ـ انظر الدعوة الاسلامية للدكتور غلوش ص ١٠ وأصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان ص ٨ .
٦ ـ النساء ـ ٦٥

﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[1] ومن قوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2] .

والحقيقة أن الدعوة الإسلامية تشتمل على كل هذه التعريفات ، فهي إستسلام لأمر الله وخضوع له ، وهي تنفيذ لتعاليم القرآن والسنة ، وهي نظام شامل للحياة الإنسانية .

يجمعها تعريف واحد نرتضيه ونميل إليه وهو : الدعوة إلى توحيد الله والاقرار بالشهادتين وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً ، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة - سنة رسول الله محمد ﷺ - ليكون الدين كله لله.فهي إذن . دعوة غير المسلمين الى الإسلام ، ودعوة المسلمين إلى تنفيذ الإسلام والعمل على إقامة شرعه ومنهجه في الأرض ، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوز الناس بسعادة العاجل والآجل .

المبحث الثالث

علم الدعوة

من المعلوم أن الدعوة بمعنى النشر والبلاغ والإقناع والدعاية . قد صارت علماً مستقلاً بذاته كسائر العلوم ، له موضوعه وخصائصه وأهدافه وأصبح يجاري ويواكب العلوم الإسلامية الأخرى ، بل أصبح من أهم العلوم الإسلامية لحفظ عقيدة الأمة وكيانها في حاضرها ومستقبلها ، ولصيانتها من المذاهب الباطلة الوافدة على الأمة الإسلامية ، ومن رياح السموم التي تهب من أعدائها ليلا ونهارا ، ومن الغزو الفكري ، والإستعمار الثقافي الذي تبتلى به الشعوب في هذا العصر النكد .

---

١ - النساء - ٦٠

٢ - المائدة - ٤٤

فعلم الدعوة على هذا هو : العلم الذي تعرف به أساليب الإقتناع وطرقه أخذاً من قوله تعالى :﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(١) سواء كانت تلك الأساليب قولية كالخطبة والدرس وغير ذلك ، أو أساليب عملية كالقدوة الحسنة والعمل النافع والسيرة الطيبة وغير ذلك من الأساليب الحكيمة .

يقول الإمام : العيني الحكمة تدل على علم دقيق محكم وتعليمها كمال علمي ، والقضاء بها كمال عملي »(٢)

وكما يقول الامام العين : الحكمة تحتاج إلى علم دقيق بأسرار الحياة وطبائع النفوس وأوضاع المجتمع ، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بتعلم الحكمة لأن الرسول ﷺ قد جاءنا بالحكمة وصدق الله ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ .(٣) ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾(٤)

ودعوة الناس تحتاج إلى الحكمة فما من رسول أو نبي جاء إلى الناس بهدى أو أمر بتبليغ رسالة إلا وأعطى الحكمة مع تلك الرسالة وهذا الهدى . يقول الحق سبحانه عن آل ابراهيم ﴿ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴾(٥) ويقول لعيسى عليه السلام ﴿ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾(٦) ويقول عن داود : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ

١ - النحل - ١٢٥
٢ - عمدة القارىء ٢ / ٢٤٩
٣ - الجمعة -٢
٤ - آل عمران - ١٦٤
٥ - النساء - ٥٤
٦ - المائدة - ١١٠

وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾[1]

ويقول عن لقمان : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ [2]

فالدعوة إذن لا بد أن تصاحبها الحكمة ولا بد للدعاة منها إذا أرادوا فتح مغاليق القلوب والعقول وإذا أرادوا الوصول إلى ما يبغون من بلاغ .

ودروب النفوس كثيرة وأسرارها عميقة تحتاج إلى داعية أريب بالكلمة الساحرة في الوقت المحبب ، واللمسة البارعة في الموقف المختار ، والحجة البالغة في الموطن المفيد» . ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [3]

وعلم الدعوة عند المسلمين يستمد من فيوضات كثيرة وأنهار غزيرة ، أساليبه ومناهجه وطرقه . فسيرة الرسول ﷺ وسيرة السلف الصالح والقرآن الكريم الذي نهلوا منه ، وتتلمذوا عليه ، كل ذلك مدد لا ينفذ وزاد لا ينقص للدعاة من هذه الأمة ، ولقد كونت الأمة الإسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجاً وشرق الاسلام وغرب في أرجاء الدنيا بالدعوة الحكيمة والموعظة الحسنة ، وكان الدعاة هم السلاح الفعال في زحزحة الباطل وإزهاق المنكر ومطاردة الشياطين وصدق الله ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا [4] ﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ [5]

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾[6]

١ ـ البقرة ـ ٢٥١

٢ ـ لقمان ـ ١٢

٣ ـ النساء ـ ٦٥ .

٤ ـ الاسراء ـ ٨١

٥ ـ الانبياء ـ ١٨

٦ ـ الأحزاب ٣٢ ـ ٣٤ .

الفصل الثاني

معنى الإسلام والدين والعقيدة

المبحث الأول

معنى الإسلام

تعريف الإسلام :

ظهرت من أقوال العلماء تعريفات شتى للإسلام وكلها فيما أعتقد تمس جانباً من جوانبه أو وصفاً من أوصافه أو أثراً من أثاره .

فأحد هذه التعريفات هي تعرف بالأسس التي يقوم عليها الإسلام : وهو ما جاء في حديث جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ حين سأله عن الاسلام فقال : (اخبرني عن الإسلام) فقال ﷺ «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن إستطعت إليه سبيلاً» ولا شك أن هذا الذي جاء في الحديث هو الأساس الذي بنى الإسلام عليه لحديث رسول الله ﷺ « بنى الإسلام على خمس وهذه الأمور الخمسة المذكورة كانت أساساً متيناً لصرح الإسلام الذي أرسل الله به رسوله ﷺ وليست هي الإسلام كله وإنما هي عمده وقوائمه وأسسه التي شيد عليها .

ـ ومن العلماء من عرف الإسلام لغة وظن أن هذا هو التعريف المحيط للإسلام الذي شرعه الله تبارك وتعالى فقال : « **الإسلام هو الخضوع والإنقياد لله رب العالمين** »[1] ولا شك أن الخضوع والإنقياد والإستسلام هو تعريف

---

١ ـ أنظر التعريفات للجرجاني في المادة ـ ودستور العلماء ١/ ٨٥ ، وقواعده الفقه لعميم الاحسان في مادة اسلام ص ١٧٧ .

الإسلام اللغوي ، وأنه مع هذا ليس هو التعريف الجامع ، لأن الخضوع لله لا بد أن يكون بشريعة معينة وتعاليم مخصوصة «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» .

- ومن العلماء من عرف الإسلام بأوصافه وبآثاره : فقال : الإسلام هو الروح الحقيقية للإنسان، والنور الهادي له في دروب الحياة والشفاء الكافي الوافي لأمراض البشرية والصراط المستقيم الذي لا يضل من سلكه وسار فيه»

وقال آخر : الإسلام هو الأجوبة الصحيحة الحقة لأسئلة شغلت الناس في القديم والحديث .

- وقال آخر : الإسلام هو النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للانسان التي جاء بها محمد ﷺ من ربه [١] .

والتعريف بالإسلام يشمل كل هذه التعريفات وغيرها لأن الإسلام جمع كل صفات الخير لقوله تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ الأنعام - ٣٨ .

ونحن نرى بعد إستعراض تلك التعريفات ، أن أجمع تعريف وأشمله للاسلام هو : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله مع الإعتقاد والايمان والعمل بكتاب الله وسنة رسوله والخضوع لهما طواعية واختيار .

هذا هو الإسلام ، الذي كان الرسول ﷺ يقبله ويبايع الناس عليه . فيشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وينضمون إلى الكتيبة المؤمنة العاملة بكتاب الله وسنة رسوله المقتفية والمتأسية برسول الله ﷺ ، لقوله تعالى

---

(١) المراجع السابقة

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[1] وقوله ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾[2] .

المبحث الثاني

معنى الدين

الدين لفظة تحمل في طياتها الخضوع إذ يقال لغوياً دان له ، أي أطاعه وخضع له . وإذا قيل دان بالشيء فمعنى هذا أنه إتخذه ديناً ومذهباً أي إعتقده واتخذه مذهباً وطريقاً يسير عليه نظرياً وعملياً . وكلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له ، فإذا وصف بها الطرف الاول كانت خضوعاً وانقياداً وإذا وصف بها الطرف الثاني كان أمراً وسلطاناً وحكماً وإلزاماً وإذا نظرنا إلى الرباط الجامع بين الطرفين كان هو الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عن هذا الرباط[3] .

وعلى هذا فالدين في الإصطلاح عندنا يكون هو :

«الخضوع لله ورسوله وكتابه والعمل بشرعه والتزام صراطه المستقيم» أي أن الدين في مفهومنا خضوع وانقياد وتسليم وعمل بالإسلام وإئتمار بأمره سبحانه قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[4]

---

(١) الحشر - ٧

(٢) الاحزاب - ٢١

(٣) انظر البدع والمصالح المرسلة للمؤلف ص ٤٥ .

(٤) آل عمران - ٨٥ .

هذا وقد خضعت تعـرفات الـدين لمعتقدات أصحـابها وأرائهم ونـوازعهم واختلاف نحلهم . وسنعرض لبعضهم تلك التعاريف لنرى كيف تتلون الأديـان والآراء .

يقول سبنسر في كتابه عن القوانين «الدين هو الرباط الذي يصل الانسـان بالله »

ويقول كانت في كتابه الدين في حدود العقل» الدين هو الشعور بـواجباتنـا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية» .

ويقول شلاير ماخر في «مقالات عن الـديانـة «قوام حقيقة الدين شعـورنا بالحاجة والتبعية المطلقة»

ويقول الأب شاتل في كتابه (قانون الإنسانية) «الدين هو مجموعـة واجبات المخلوق نحو الخالق : واجبات الإنسان نحو الله وواجباته نحو الجماعة وواجباته نحو نفسه» .

ويقول روبرت سبنسر : في ختام كتابه المبـادىء الأولية : «الايمـان بقوة لا يمكن تصور نهايتها المكانية ولا الزمانية ، هو العنصر الرئيسي في الدين » .

ويقول تايلور في كتـابه (المـدنيات البـدائية) «الـدين هو الايمـان بكائنـات روحية» .

ويقول ماكس ميلر في كتابه (نشأة الدين ونموه) : «الدين هو محاولـة تصور ما يمكن تصوره ، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلع الى الـلانهائي هو حب الله»

ويقول اميل برنوف (في علم الـديانـات) «الدين هـو العبادة ، والعبـادة

عمل مزدوج : فهي عمل عقلي به يعترف الانسان بقوة سامية ، وعمل قلبي أو انعطاف محبه ، يتوجه به إلى رحمة تلك القوة»

ويقول ريفيل في «مقدمة تاريخ الاديناں» «الدين هو توجيه الانسان سلوكه وفقاً لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفيه ، يعترف لها بـالسلطان عليه وعـلى سائر العالم ، ويطيب له أن يشعر بإتصاله بها»

ويقول جو يوه في كتاب (لادينيـة المستقبل) الـديانـة هي تصور المجمـوعة العالمية بصورة الجماعة الإنسانية ؛ والشعور الـديني هو الشعـور بتبعيتنا لمشيئـات أخرى يركزها الانسان البدائي في الكون .

ويقـول سلفان بيـريسيه في كتـابه «العلم والـديانـات» «الدين هـو الجانب المثالي في الحياة الإنسانية» .

ويقول سالو مون ريناك ، في (التاريخ العام للديانات «الـدين هو مجمـوعة التورعات التي تقف حاجزاً أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا»

ويقول اميل دوركايم ، في (الصورة الأولية للحياة الدينية) «الدين مجموعة متسـاندة من الاعتقـادات والاعمال المتعلقـة بالأشيـاء المقدسـة (أي المعـزولـة المحرمة) اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة .[1]

فنرى بعد كل هذه التعريفات أن الدين هو خضـوع كل شخص لـما يعتقد ويهوى . فدين الجاهلي كانت جاهليته ودين المادي ماديته، ودين الكتابي ما جـاء في كتابه وما أعتقد من تعاليمه ، ودين المسلم شرعه وكتابه كما قدمنا .

---

(١) انظر في ذلك ـ الدين للدكتور محمد عبد الله دراز ـ ص ٣٤ ـ ٣٦ ط دار القلم

ولكن الدين الذي إرتضاه الله للبشرية وأنزل به كتابه وأرسل عليه رسله هو الإسلام الذي جاء به خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2] دين الخضوع لله الذي يتوافق مع الخضوع العام للكون كله « أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[3] وليس الدين الإسلامي خضوعاً لمعاني أو لفكرة مجردة وإنما هو خضوع لذات إلهية غيبية تدرك بالعقل والوجدان لها الأسماء الحسنى وتختص بصفات الكمال والجلال والتقديس موجودة مطلقة مهيمنة قادرة تصرف كل شيء وإليها يرجع الأمر كله . كما أن الدين الإسلامي لن يكون النطق بالشهادتين فقط ، دون أن يتبع شهادة أن لا إله إلا الله معناها وحقيقتها ، وهي توحيد الألوهية وتوحيد القوامة ، ثم توحيد العبودية وتوحيد الاتجاه ، ودون أن يتبع شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله التقيد بالمنهج الذي صاغه القرآن الكريم ، ووضح معالمه محمد ﷺ وربى عليه أمه الاسلام والقرآن .

ولن يكون الاسلام مجرد شعائر أو تصديق بحقيقة الالوهية والغيب دون أن يتبع هذا التصديق مدلوله العملي ، وحقيقته الواقعية في حياة الفرد والجماعة ، وكل هذا سيظل معطلاً وفاقد التأثير حتى يكون نظاماً إجتماعياً وإقتصادياً وعسكرياً وخلقياً معاشاً في واقع المسلم يهيمن على حياته يعيش به ويعيش له .

(١) آل عمران ـ ٨٥
(٢) المائدة ـ ٣
(٣) آل عمران ـ ٨٣ .

المبحث الثالث

معنى العقيدة

العقيدة هي ما يدين الانسان به وله. لا يقبل الشك في نظر معتقده.أو هي اعتناق فكرة وتسليم بصحتها، وتقوم على اعتبارات اجتماعية أو وجدانية أو عقلية وهي درجات أقواها الراسخة الجازمة ـ وهي اليقين[1] والتعريف الاسلامي للعقيدة يدور حول هذه المعاني السابقة حيث عرف العلماء العقائد بقولهم. هي الامور التي يجب أن يصدق بها قلبك وتطمئن إليها نفسك وتكون يقيناً عندك، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك[2].

والناس في قوة العقيدة وضعفها أقسام كثيرة ودرجات شتى بحسب رسوخها في أنفسهم ووضوح الادلة عندهم واقتناع القلوب بها واطمئنانها إليها.

وقد مثل لذلك أحد الائمة الكبار فقال: «لو أن رجلاً سمع بوجود بلد لم يره كاليمن مثلاً من رجل أخر غير معروف بالكذب فإنه يصدق بوجود هذا البلد ويعتقده، فإذا سمع هذا الخبر من عدة رجال زاد به ثقة، وإن كان لا يمنعه ذلك من أن يشك في اعتقاده إذا عرضت له الشبهات، فإذا رأى صورته الفوتوغرافية زاد اعتقاده بوجوده، واصبح الشك متعسراً عليه أمام قوة هذا الدليل فإذا سافر وظهرت له، أعلامه وبشائره زاد إيقانه وزال شكه. فإذا نزله ورآه رأى العين لم يعد هناك مجال للريبة ورسخت في نفسه هذه العقيدة رسوخاً قوياً حتى يكون من المستحيل رجوعه عنها ولو أجمع الناس على خلافه»[3]

---

(١) انظر المصباح المنير ومعجم المصطلحات العلمية والفنية في مادة ـ عقد.

(٢) قواعد الفقه ص ٣٨٣

(٣) انظر كتاب العقائد ص ٣ للاستاذ حسن عبد الرحمن البنا

وعقيدة المسلم يسطع لها دليل من فطرة الانسان ومن عقله ووجدانه، ومن طبيعتها، ومن المعجزة وهي الكتاب المعجز، ومن الرسول المعصوم، ومن الواقع المشاهد والحياة المعاشة، بل ومن الكون والعوالم من حوله.

فهذه العقيدة هي فطرة الله التي فطر الناس عليها فلا تصادم في الانسان ملكة من ملكاته ولا قدرة من قدراته، ولا تهاجم عقله وفكره بل تشعله وتوقده وتبصره وتحرره.

حملها إلينا الوحي في القرآن الكريم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1] تشير العوالم إليها وتنطق بها وتسبح، بما يدل على قدرة قادر، وحكمة حكيم، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ﴾[2]

*** العلاقة بين الاسلام والعقيدة والدين**

الاسلام هو النطق بالشهادتين والتصديق بالكتاب والسنة والعمل بهما كما قدمنا.

والعقيدة: هي الاقتناع والتصديق الذي لا يخالطه شك في هذا الاسلام.

والدين: هو الخضوع لتلك العقيدة وتنفيد أوامرها والإذعان لها، فالاسلام على هذا هو عقيدة المؤمن ودينه ومنهج حياته الذي لا يحول عنه ولايشك في صدقه وجدواه للحياة البشرية، يدافع عنه ويعيش له ويجاهد في سبيله ويلقى الله عليه «قل أن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت».

---

(١) فصلت ـ ٤٢.

(٢) الحج ـ ١٨.

الفصل الثالث

أنواع الدعوة

يقول صاحب هداية المرشدين الدعوة على ثلاثة أنواع :ـ

المبحث الأول

دعوة الناس كافة

النوع الأول: دعوة الامة المحمدية جميع الأمم إلى الاسلام ليكون الدين كله لله وهذا واجب هذه الامة بمقتضى جعلها خير أمة أخرجت للناس مقيداً بكونها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وبحكم وصف المؤمنين الذين اذن لهم في القتال في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(١) **فالواجب دعوة الناس إلى الاسلام فإن أجابوا فالواجب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.**

المبحث الثاني

دعوة المسلمين بعضهم بعضاً

النوع الثاني: دعوة المسلمين بعضهم بعضاً إلى الخير وتآمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر، ويقوم بهذا النوع كالذي قبله خواص الأمة العارفون بأمور الدين وأسرار التشريع، وهم المشار إليهم بقوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾(٢).

---

(١) الحج ـ ٤١.

(٢) التوبة ـ ١٢٢.

المبحث الثالث

ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض

النوع الثالث: ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض، ويستوي في ذلك الخاصة والعامة بالدلالة على الخير والترغيب فيه، والنهي عن الشر والتحذير منه، كل بما يعرفه، فإذا رأى أحد المسلمين أخاه على منكر هو يعمله تصدى له بالنصيحة والارشاد والبيان بما يأمر به الدين الحنيف وما ينهى عنه في هذه الواقعة. كل ذلك برفق ولين، فذلك من التواصي بالحق والتواصي بالصبر الذي جعله الله آية الايمان الصحيح وسبباً للنجاة من الخسران المبين في قوله تعالى ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾ (1).

وعملاً بقوله تعالى « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ » (2).
أ. هـ (3)

وليس المراد حصر الدعوة في هذه الأنواع الثلاثة بل المراد أن هناك أموراً تستوجب جهداً وعلماً وسعة اطلاع وحجة كدعوة غير المسلمين أو أصحاب المذاهب المنحرفة والنحل الباطلة من المسلمين وغيرهم، أو بعض المفتونين والمغزوين بالثقافة الضالة أو غيرهم، كل هؤلاء وأولئك يحتاجون إلى جهد واقناع

---

(1) العصر.
(2) النحل - ١٢٥.
(3) هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ ص ١٧ ط (دار المعرفة) نقلا عن الامام محمد عبده

وحجة لا تتوفر إلا عند الدارسين لـلاسلام وعنـد المختصين بـالدعـوة وأصحاب الدراية.

وهناك أخرون تغلبهم شهواتهم واهواؤهم فيقعـون في أخطاء معينـة هؤلاء يـردون إلى الصواب رداً جميلاً، ويكفي معهم النصح والارشاد بقليـل من الجهد والعلم والحجة التي تتوفر عند جميع الناس.

فالناس كلهم يعرفون أن السرقة حرام فمن رأى سارق نصحـه وبين لـه، والكل يعلم أن الخمر حرام. فمن رأى شارب خمر وعظه ولفته إلى الخير وهـداه، إلى الطريق المستقيم وكل هذه الأمور الظاهرة لا تحتاج إلى حجة كبيرة لوضوحها وعدم خفائها على أحد.

الباب الثاني

ضرورة الدعوة - وجوبها - موضوعها - مصادرها - أهدافها

ويشتمل على :

الفصل الأول : ضرورة الدعوة وأهميتها

الفصل الثاني : وجوب تبليغ الدعوة

الفصل الثالث : موضوع الدعوة ومصادرها

الفصل الرابع : أهداف الدعوة

الفصل الأول

ضرورة الدعوة وأهميتها

مقدمـــة :

وجد الانسان على ظهر الأرض وصاحبته عناية الله سبحانه وتعالى التي تمثلت في الرزق والهداية.

فأما عن الرزق: فقد وجههم الحق سبحانه إلى خبايا الرزق في الأرض بعد أن هيأها لهم فقال سبحانه وتعالى مشيراً إلى ذلك: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾(١)

وقال جل شأنه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(٢).

وجاء هذا الرزق بما يشتهون ويطلبون، ليأنسوا بالحياة ويطيب لهم العيش فيها، وقد أشار القرآن إلى تلك الحقيقة بقوله ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾(٣). وقوله: ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾(٤).

وأما عن الهداية :

فقد أرشدهم الحق إلى الطريق المستقيم وارسل إليهم رسله بوحي من

---

(١) تبارك - ٥ - ١.

(٢) البقرة - ٢٩.

(٣) عبس - ١٧ - ٣٠.

(٤) الرحمن ١٠ - ١٢.

عنده، وبرهان من لدنه. فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾[1]. ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[2].

هذا لتتم النعمة وتكمل السعادة، ولينسجم الانسان المؤمن مع الكون القائم على الحق والسائر بنظام دقيق وتدبير حكيم وطاعة وهداية.

اذن فالدعوة ضرورة للانسان كضرورة الطعام والشراب في هذه الحياة لأنها تكون الشق الثاني في الانسان وتغذي روحه ونفسه، وتهيء استقرار ه في الحياة.

المبحث الأول

قصر العقول عن ادراك كثير من الحقائق

ونستطيع أن نرجع ضرورة الدعوة مع هذا إلى الأسباب الآتية:

١ ـ لأن الانسان مركب من عقل وشهوة. وعقله قاصر عن ادراك كثير من الحقائق وشهوته غامرة تساعد في كثير من الأحيان على تجاوز الحق وتطويع العقل إلى ما تميل إليه وما تهواه وتشتهيه، ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾[4].

---

(١) النساء ـ ١٧٤.

(٢) المائدة ـ ١٦.

(٣) يوسف ٥٣.

(٤) الشمس ـ ٧ ـ ١٠.

فكان لا بد من قانون وهداية من لـدن خالق الانسـان، العالم بمـا يصلحه لتكـون ارشاداً للعقـل وعلامـات على الـطريق، لئـلا يضـل أو يشقى، أو يـذل ويطغى وصدق الله ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[1] ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾[2]

ولبيان ذلك وإيضاحه نقول:

لا شك أن في فطرة الانسان قوة وبصيرة يستطيـع بها أن يفـرق بين طـريق الفساد والصلاح، ويميز بها بين الحق والباطل، ولكن هذه القـوة العاقلة رغم مـا فيها من نور كاشف وعقل منير، لا تستطيع وحدها أن تميز بين المعروف والمنكـر، وليس من شـأنها أن تطلع عـلى كل حقيقـة، أو تبصر كـل صواب، ولا أن تـدير أعمال البشر على نظام لا عـوج فيه ـ فـإنها وإن بلغت من الادراك أشده قـد تنبو عن الحق ويعزب عنها وجه المصلحة ولا تهتدي إلى عاقبة العمل لعجلة أو شهـوة أو هـوى، فقد يتـراءى لها الشـر على أنـه خير والخـير على أنـه شـر، وصـدق الله ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[3].

أمثلة على قصر العقول:

أ ـ تصـدى رجال من أصحـاب هذه العقـول المفكرة عـلى مدار التـاريـخ

(١) طه ١٢٣ ـ ١٢٥.
(٢) طه ـ ١٣٤
(٣) البقرة ـ ٢١٦

للبحث في نشأة الخليقة والبحث عن الخالق، فكانت عاقبة بحثهم أن خروا للاحجار أو الكواكب أو الحيوانات سجداً، وعبدوها من دون الله سبحانه، وهي مخلوقة ومسخرة له جل شأنه وصدق الله . ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

فهذه العوالم كلها مخلوقة لخالق ومسخرة حسب نظام دقيق وخاضعة له سبحانه ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2].

وهذا شيء تقر به الطبيعة والمخلوقات وتستنكر غيره، وقد جاء في القرآن الكريم على لسان هدهد سليمان عليه السلام، انكار ذلك على أقوام عبدوا الكواكب من دون الله سبحانه «فقال عن بلقيس وقومها﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[3]

ب ـ تصدى آخرون لانشاء نظم اجتماعية مختلفة، فأسسوا مذاهب وأقاموا دعوات أشقت الأمم والشعوب ومزقتهم، فما تلك القوانين التي تبيح الخمر والميسر والشذوذ الجنسي، وتحرض الفتيات على الرذيلة والمنكر وإراقة الاعراض، إلا وليدة، أمثال هذه العقول التي تاهت عن طريق الحق

---

(١) فصلت ـ ٣٧.

(٢) الحج ـ ١٨.

(٣) النمل ـ ٢٣ ـ ٢٥.

والاصلاح، وجانبت طبيعة الفطرة البشرية، لترضى حيوانيتها واهواءها.

وما تلك القوانين التي تبيح أخذ ثروات الناس بغير حق، وتحل احتلال الشعوب وتسخيرهم واستعبادهم، بل وقتلهم، إلا نتاج تلك العقول والنظريات الشرود التي ذاقت البشرية وما زالت تذيقها الهوان والشرور والقلق والحرمان.

المبحث الثاني

احتياج الخير إلى رجال

ـ لما كان الخير ليس كائناً متحركاً بذاته ولكنه مفهوم يطبقه ويحمله ويدعو إليه مخلوق. كان لزاماً لسيادة الحق، أن يحمله دعاة وهداة وجند وحزب، وصدق الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(1). ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾(2) ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾(3). ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(4). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(5) ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾(6).

فكان لا بد اذن من دعاة للحق ليحملوا دعوته إلى الآفاق. فما قام دين ولا انتصر مبدأ أو ساد مذهب إلا بالدعوة، وما تداعت اركان ملة بعد قيامها، ولا

(1) المجادلة ـ ٢٢.
(2) الانعام ـ ٩٠
(3) الاحزاب ـ ٢٣.
(4) آل عمران ـ ١٤٦
(5) الانفال ـ ٦٤.
(6) يوسف ـ ١٠٨.

درست طريقة بعد ارتفاع اعلامها إلا بترك الدعوة وصدق الله ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (١)

فالدعوة اذن حياة كل فرد وكل جماعة، وعماد كل أمة، ولازمة من لوازمها ولو كان الحق يقوم بذاته والأمم تنشأ من تلقاء أنفسها والمذاهب والنحل تنتصر لمجرد الأماني والأحلام، لما فرضت علينا الدعوة إلى الحق ولما كان هناك من حاجة إلى الأنبياء والمرسلين في كل أمة، وقد كان ذلك من رحمة الله بهم وصدق الله ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢)

المبحث الثالث

اختلاف المشارب والميول

حتى إذا خلصت النفوس من تخبط الشهوات وأسر الأهواء، فلن تستطيع أن تخلص من اختلاف المشارب والميول والنزعات فكل له استعداده الفطري والمكتسب على حد سواء، فترى الرجل يستحسن ما يستقبحه غيره، بل النفس الواحدة قد يبدو لها الأمر حسناً في حال وقبيحاً في حال آخر، وكثيراً ما يشتمل الأمر في واقعة على أمرين مختلفين أو على وجهين متناقضين، كأن يكون في وجهه الأول مضرة، وفي الثاني منفعة، كمثل قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (٣)

---

(١) آل عمران - ١٥٢
(٢) فاطر - ٢٤
(٣) البقرة - ٢١٩

وتقدير ذلك وبيان وجه المصلحة فيه قد يغمض على الكثيرين . بل وربما يكون هناك أمر فيه منفعة لانسان بعينه ومضرة لآخرين، فيغلبه حبه لمنفعته ويتغلب عليه ميله لمصلحته فيميل إلى ما يضر الجميع .

لهذا كانت الأهواء تتغلب والأنظار تقصر والعقول تتفاوت والميول تختلف والأشياء يغمض فيها وجه المنفعة ، فاحتاج الإنسان الى هداية وإلى هداه وإلى قانون للعقول وضوء للبصائر حتى ترحم البشرية من الشقاء والضلال وصدق الله العظيم ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾[1] .

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾[2] .

المبحث الرابع

تقرير عقيدة الجزاء

٤ ـ لما كان هناك بعث ونشور وحساب على ما قدم الانسان من عمل صالح أو طالح ، كان لا بد من معرفة الطريق الموصلة الى النجاة ، والدلالة على الهداية المرشدة إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، وقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن يبصر الناس بالطريق ، ويفتح أعينهم على الصواب لتنقطع المعاذير وتلزم الحجة وصدق الله ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[3] ولقد كان من فضله ومنه وجوده وإحسانه وعدله وميزانه ، أنه لا يحاسب فرداً أو أمة إلا إذا بلغتهم الهداية وعرضت عليهم الدعوة وتليت عليهم الآيات وكشفت الغشاوة عن قلوبهم وانزاحت الغفلة عن فؤادهم ، وقد أشار القرآن إلى ذلك في كثير من أياته . منها :

---

(١) الاعراف ـ ٢٠٣ .

(٢) الانعام ـ ١٠٤ .

(٣) النساء ـ ١٦٥

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1]

٢ - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾[2].

٣ - ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[3].

٤ - ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾[4].

٥ - ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[5].

٦ - ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾[6]

لهذا فلن يحاسب الله أحداً على أفعاله دون أن يكون قد علم مسبقاً بالدعوة وبالمنهج ، فيجب إذن أن يبلغه الإنذار الإلهي والهدى الرباني حتى يحاسب . لهذا كانت الدعوة ضرورية للبشرية في حياتها ، في الدنيا والآخرة ، ولتظهر حكمة الله من خلق الإنسان على وجه الأرض . وتستقيم الحياة وتظهر العدالة الإلهية في الدنيا والآخرة .

٥ - ما برح الناس بعد إنطواء عهد النبوة في حاجة إلى من يعلمهم إذا جهلوا ويرشدهم إذا ضلوا ، ويذكرهم إذا نسوا ، ويجاددلهم إذا إعوجوا ويكف بأسهم إذا اعتدوا .

وما برجت العصور تلد من الضالين والمعاندين والملحدين والمخادعين الذين يكونون في حاجة ماسة إلى من يقيم عوجهم ويبين لبسهم ويدفع شرهم هذا وما برح أهل الباطل يكيدون للحق ولدعوته ويعملون على إضعاف شوكته وزعزعة تعاليمه وتشويه ثقافته .

(١) الاسراء - ١٥
(٢) القصص - ٥٩
(٣) الشعراء - ١٠٨
(٤) الانعام - ١٣١
(٥) التوبة - ١١
(٦) طه ١٣٤ .

لهـذا إقتضى الأمر أن يكـون هناك جنـد مـدربـون لصـد هـذه الغـزوات الشرسة والثقافات الـدخيلة للباطـل المتحفذ ، حتى يستقيم الأمـر وتسعد الحيـاة وتهنأ الإنسانية .

الفصل الثاني

وجوب تبليغ الدعوة

مقدمـــة :

كل أمة يراد لها أن تندثر وتنحل عراها ويذهب أثـرها ويتحلل كيـانها لا بد وأن يكبت الدعاة فيها وأن يخفت صوتهـا وتبدد رسـالتها وتضيـع غايتهـا ويسحق تراثها . وكل أمة يراد لها أن تسمو وترتفع وتعلو لا بد أن تفهم صدق دعوتها وطهر غايتها ونبل رسالتها ، وتنطلق داعية في الأرض الى مبدئهـا ودعوتهـا ؛ وأن يكون لها صوت داوي وشعار مجلجل وداعية يصدح ولسان يغرد وقلم يصـول ، واعلام يجـول ، ودعايـة تملك الإسمـاع ، وفكر يـأخذ الالبـاب ، وثقافـة تسيطر عـلى العقول والأفهام .

وكل أمة يراد لها أن تبقى وتخلد وتستمر لا بد أن تـدفع إلى تجـديد نفسهـا وإحيـاء مثلها وتـطهير خـطوها وإصـلاح عوجهـا ، لا بـد وأن تفـطن إلى عللهـا وأمراضها فتداويها وتشفيها وتجبرها ، وتحصن نفسها وتقي جسدها من المهلكـات والمـوبقات . وذلـك كله لا يكون إلا بـأن يكون لتلك الأمـة دستـورهـا القـويم ودعاتها المخلصون المدربون الفاقهون المؤمنون برسالتها وغايتها .

وأمة الإسلام أمة رسالة وأمة دعـوة جاءت لغـاية ووجـدت لهدف في هـذه الحياة وقال الله لها ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ[1] ﴾ وقد قـاد تلك الأمة ورادهـا رسول بعث رحمـة للعالمـين

---

(١) آل عمران ـ ١١٠

وسراجاً منيراً للضالين الحائرين ، والدعوة فيها ليست من نافلة القول وإنما هي أساس من أسس الرسالة وركن من أركانها لتربية الجماعة المسلمة وتطهيرها وتقويمها أولاً ، وهداية العالمين وارشادهم ورحمتهم وإسعادهم ثانياً .

ولا شك أن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين والمهمة التي بعث الله لها خاتم النبيين والمرسلين والتي لولاها لذهب مقصود الرسالة وضاع هدف البعثة ، وفشا الفساد وعم الضلال ومنع الهدى والخير . لهذا جاء وجوب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكتاب والسنة وعليه انعقد الاجماع .

المبحث الأول

تعريف الواجب وأدلة الوجوب

تعريف الواجب :

الواجب هو ما أوجبه الله تعالى على عباده، وهو عند الأصوليين ما ثبت بدليل قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، أو قطعي الدلالة وظني الثبوت، أو ظني الدلالة قطعي الثبوت.

وعرفه الشرعيون بقولهم : هو ما طلب الشارع فعله من المكلف طلباً حتما بأن اقترن طلبه بما يدل على تحتيم فعله كما إذا كانت صيغة الطلب نفسها تدل على التحتيم أو دل على تحتيم فعله ترتيب العقوبة على تركه ، أو أية قرينة شرعية أخرى .

فإقامة الصلاة، وايتاء الزكاة وحج البيت وبر الوالدين واجتناب الخمر وغير ذلك من المأمورات التي وردت صيغة الامر لها مطلقة، ودل على تحتيم فعلها ما ورد في عدة نصوص من استحقاق المكلف ، العقاب بتركها . فمتى طلب

الشارع الفعل ودلت قرينة على أن طلبه على وجه التحتيم كان الفعل واجباً سواء أكانت القرينة صيغة الطلب نفسها أم أمراً خارجياً[1].

أدلة وجوب الدعوة :

وقد وردت نصوص كثيرة، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى، تحمل الكثير من الدلالات والأوامر المشددة والمؤكدة منها.

١ ـ اخذ الميثاق على التبليغ :

فقد أخذ الميثاق والعهد على من أوتوا الكتاب والهدى أن يبلغوا ذلك للناس لأن الذكر والهدى ما جاء الاللبيان والارشاد مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ سورة ابراهيم ٢٢٤. ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ النحل ـ ٤٤.

فمنهم من قام بالأمانة ومنهم من نكل عنها واشترى بها ثمناً قليلاً وحاد بها عن الصراط المستقيم وباع هدى الله بعرض من الحياة الدنيا فكان نصيبه الطرد من رحمة الله سبحانه وقد بين لنا ذلك القرآن بقوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ال عمران ـ ١٨٧.

٢ ـ الأمر الصريح بالتبليغ :

توجه الأمر إلى رسول الله ﷺ بتبليغ دعوة الله تبارك وتعالى وإقامة شرعه في الأرض أمراً حاسماً جازماً، أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه وأن يصدع بكلمة الحق

١ ـ القواعد الفقهية لعميم الإحسان المجددي ص ٤١٠ ، مسلم الثبوت ٦١/١ ابن عابدين ١٩٩/٥ ، أصول الفقه لخلاف ص ١٠٥ .

ولا يحجم عن أدائها وإلا فما بلغ وما قام بواجب الرسالة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(١).

اذن فلتكن كلمة الحق حاسمة فاصلة كاملة شاملة قوية لا تردد فيها ولا احجام ولا تهرب ولا فتور، وليس معنى القوة والحسم، الجنوح إلى الخشونة والفظاظة، فقد أمر رسوله ﷺ أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة فقال تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾(٢) وأن المقصود عدم المداهنة في كلمة الحق أو المساومة عليها أو التهاون في تحقيقها في النفس أو في البيت فقال تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(٣) أو في المجتمع مهما كانت قسوته وقوة تقاليده وجحوده واستمساكه بالباطل.واصراره عليه قال تعالى: فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٤) لأن الداعي إذا قام برسالته والتزم بها وعاهد الله على العمل لها أصبح مسئولا عنها من جهات متعددة، بعهده، بعلمه بما عليه الناس من تردي واتباع للباطل ولهذا كان وجوب الدعوة على الفاقهين والمدركين لأخطاء أممهم أمراً لازماً لاغناء عنه لأمة ناهضة ذات رسالة وقد ذكرنا بذلك القرآن الكريم في درس مع بني اسرائيل فقال ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾(٥) .فإذا خان الدعاة الأمانة وإذا تخلى الفاقهون في الامة عن دورهم كان ذلك بئس الصنيع وبئست السيرة والحياة والمجتمعات .

---

(١) المائدة ٦٧
(٢) النحل ـ ١٢٥
(٣) طه ـ ١٣٢
(٤) الحج ـ ٩٤
(٥) المائدة ٦٢

ولهذا كلف المجتمع الاسلامي بالتبليغ أفرادا وجماعات كما كلف رسول الله ﷺ بذلك ، قال تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[1] وكانت الصحابة تلامذة نجباء واتباعا فقهاء ، وعوا الدرس فقاموا بالرسالة واجهزوا على المنكر وطاردوا الباطل في الأرض ، وكانوا حراساً للفضيلة قائمين بالقسط علمهم دينهم هذا ، وأمرهم رسولهم وقائدهم وإمامهم بذلك، فقال: **﴿من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان﴾**[2] وفي رواية أخرى « من رأى منكم منكرا فغيره بيده فقد برىء ، ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء ، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء وذلك أضعف الايمان » اذن لا براءة من العذاب ومن المسئولية إلا بالبلاغ جهد الطاقة حتى إذا ادخر منها شيء انتفت عنه البراءة لأنه لم يقدم ما توجب عليه ، وما طلب منه .

٣ ـ ضرورة الفصل بين الحق والباطل :

لا بد أن يعرف الحق والباطل وأن يستبين سبيل المؤمنين وأن تضيء شموس الحقيقة ويطلع فجر الهداية وتنقشع الغشاوة من على العيون «ليهلك من هلك عن بينه ويحيا من حي عن بينه» لا بد أن يكون هناك رسل وأن يوجد دعاة وأن تنطلق البصيرة ويدوي الصوت الأمين ولهذا جاءت الرسالات ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[3] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[4] .

والنفوس التي تجمح وتشرد بعد سماع الهدى نفوس ارتضت الهوان وتعودت عليه وسول لها شيطانها المنكر وارتدت عن الاسلوب الانساني في الحياة

(١) يوسف ـ ١٠٨
(٢) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه
(٣) ابراهيم ـ ٤
(٤) النحل ـ ٤٤

إلى الاسلوب الحيواني ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾[1] ولا بد كذلك أن تقام الحجة وأن تنقطع المعاذير لئلا يقولوا كما قال القرآن ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾[2] فلا بد أن يكون هناك شاهد ودليل وحجة وبيان ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾[3] إذا لا بد من الدعوة ولا بد من الداعي ولا بد من البيان وظهور الهداية .

٤ ـ التبليغ علامة على إيمان صاحبه

أمة الاسلام أمة رسالة، وأمة دعوة، فلا فائدة فيها بدون رسالتها ولا خير يرجى منها بغير دعوتها، ولهذا كانت هذه الأمة وما زالت أمة رائدة في تعليم الخير والمثل والمعروف يتنافر إيمانها مع المنكر ويتعارض مع الاثم، تقف حياتها لرسالتها وتبذل جهدها لاخراج الناس من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[4] تتكاتف الأمة وتتآزر في سبيل هذا الهدف وهذه الغاية يوضح هذا القول ربنا ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[5] وكان دائماً أبداً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل الايمان وعلامة اليقين عند المؤمنين من أتباع الرسل، وأصحاب الرسالات . عن ابن مسعود

---

(١) محمد ـ ٢٥
(٢) طه ـ ١٣٤
(٣) المزمل ـ ١٥ ، ١٦
(٤) آل عمران ـ ١١٠ (٥) التوبة ـ ٧١

رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ما من نبي بعثه الله في امة قبلي إلا كان له من امته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدرون بأمره، ثم إنها يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون. ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل» رواه مسلم: وهذا واضح كل الوضوح في امة الاسلام وفي تعاليم محمد ﷺ. عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: إذا رأيت امتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم، فقد تودع منهم»[1] «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر» رواه احمد والترمذي وابن حبان في صحيحه.

٥ ـ جهاد وعصمة من الهلاك

كما أن الجهاد يكون بالسيف والرمح والقتال، فهو كذلك يكون بالكلمة وقد تكون الكلمة أوقع وأفضل وأجدى، ولأن كان الجهاد بالسيف يكون في محيط الاعداء فقط، فالجهاد بالكلمة يكون للاعداء وللاصدقاء في الداخل والخارج، بل يكون في كل وقت وفي كل مكان ولكل جنس. يكون للكفار، ويكون للمنافقين بالحجة والبرهان، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾[2] وقال ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[3] ويكون للنفوس بالمنطق والبيان.

يا من يجاهد غازيا أعداء دين الله ... يرجو أن يعان وينصرا
هلا غشيت النفس غزواً أنها ... اعدى عدوك كي تفوز وتظفرا
مهما عنيت جهادها وعنادها ... فلقد تعاطيت الجهاد الا كبرا

(١) رواه الترمذي وأحمد وهو صحيح الاسناد، فيض القدير ١/٣٥٤.
(٢) التوبة ـ ٧٣
(٣) الفرقان ـ ٥٢

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(١) ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾(٢)

في الحديث: «جاهدا المشركين بأموالكم وانفسكم والسنتكم»(٣). وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجمرة الأولى، فقال يا رسول الله، أي الجهاد أفضل فسكت عنه فلما رمى بالجمرة الثانية سأله فسكت عنه، فلما رمى جمرة العقبة وضع رجله في الغرز ليركب، قال: «أين السائل؟» قال: أنا يا رسول الله، قال «كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر»(٤) وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى ﷺ قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره فقتله»(٥).

وكما تكون الدعوة جهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفاح، تكون عصمة من الانحدار والضياع للأمة وحجز بينها وبين الهلاك والهاوية، وذلك واجب على كل قادر عليه. يوضح هذا ويبينه قول الرسول ﷺ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم اسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»(٦) أرأيت كيف ضرب الرسول ﷺ المثل للدعاة

(١) العنكبوت - ٦٩

(٢) الحج - ٧٨

(٣) انظر الجامع الصغير، رواه احمد وابو داود

(٤) رواه ابن ماجه باسناد صحيح

(٥) رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح الاسناد.

(٦) رواه البخاري ومسلم

والمصلحين وكيف أنه وضع في أعناقهم أمانة إذا تخلوا عنها هلكت الأمة وهلكوا معها وضاع معها كل شيء حتى البلاد والأوطان والمال والعتاد كما هلك في السفينة الخارق والساكت والمتفرج . فلا تلبث أن تحيق بالجميع الداهية ويأتي عذاب الله ومقته .

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم .[1] .

٦ ـ تحقير تارك الامر بالمعروف ـ وحجب الاستجابة عنه .

إن مجاراة المنكر هوان وضعف في الشخصية وبعد عن الاستقامة وتحقير للنفس تجعل الانسان يخالف فطرته ويقتل مروءته ويطأطىء هامته ولهذا نهانا رسول الله ﷺ عن ذلك قال ﷺ : « لا يحقرن أحدكم نفسه » قالوا : يا رسول الله ، وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : « يرى أن لله عليه مقال ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل يوم القيامة : ما منعك أن تقول فيّ كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ، فيقول : فاياي كنت أحق أن تخشى » .[2]

ويستطيع الانسان أن يرى الشعوب الحقيرة كل يوم، تساق سوق المواشي والانعام إلى الجزارين وهي تهتف للباطل، ولا تستطيع أن تقول الحق أو أن تفصح به ويستطيع أن يلمس في تلك الشعوب خشية الناس والخوف منهم أكثر بكثير من خشية الله ومن أوامره. كأنها ابدلت ربها بارباب وشريعتها بشرائع واهواء، ولهذا فهي لا ترفع رأساً ولا نفساً وتعيش في الحضيض وتذهب إلى الحضيض غير مأسوف عليها « ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

---

١ ـ رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب

٢ ـ رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ »[1] وهذه المثل والنماذج الهمل الضائعة، ليس لها كرامة عند نفسها ولا عند الناس ولا عند الله سبحانه وتعالى. فإذا دعت الله فدعاءها مردود وإذا نادت فنداؤها غير مجاب. عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على النبي ﷺ فعرفت في وجهه أنه قد حضره شيء: فتوضأ وما كلم أحداً، فلصقت بالحجرة استمع ما يقول، فقعد على المنبر، فحمد الله واثنى عليه وقال: يا أيها الناس، إن الله يقول لكم: **﴿مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم، فما زاد عليهن حتى نزل﴾**[2] فكيف يستجاب لهؤلاء وكيف يعطوا وينصروا. وهم ما نصروا أنفسهم وما استجابوا لربهم وما كانوا دعاة له أو منتسبين لشرعة قائمين به.

٧ ـ لعن تارك الأمر بالمعروف

العصيان والعدوان والإثم، قد يقع في مجتمع من المجتمعات وقد يقترفه ثلة من الشريرين المفسدين المنحرفين، فالأرض لا تخلو من الشر والمجتمع لا يخلو من الشذوذ، ولكن طبيعة المجتمع الصالح لا تسمح للشر والمنكر أن يصبحا عرفاً مصطلحاً عليه، وأن يصبحا سهلاً يجترىء عليه كل من يهيم به، يقف المجتمع سداً منيعاً في وجه الفساد والانحراف والبغي بالعقوبة والقول والانكار عندئذ ينزوي الشر وتنحسر دوافعه ويتماسك المجتمع فلا تنحل عراه، أما أن تشيع الفاحشة ويتلاطم البغي ويطف الاثم ولا يجد إلا تبلداً وخنوعاً وطراوة ومداهنة، أما أن تشيع الاهواء وتنطلق الشهوات ويسود الخبث ولا يجد كل ذلك رادعاً أو عاصماً أو ناصحاً أميناً، فإنه لا بد وأن يصاب القوم بقارعة وأن تنزل عليهم اللعنات، روى الامام احمد باسناده عن عبدالله بن

---

(١) التوبة ـ ٦٧

(٢) رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه

مسعـود، قال: قـال رسول الله ﷺ: لمـا وقعت بنو اسـرائيـل في المعـاصي نهتهم علمـاؤهم فلم ينتهوا فجـالسوهم في مجـالسهم واكلوهم وشاربـوهم فضرب الله بعضهم ببعض ولعنهم عـلى لسان داود وعيسى بن مـريم. . . (ذلـك بمـا عصـوا وكانوا يعتدون) وكان الـرسول ﷺ - متكئـاً فجلس، فقال: «والـذي نفسي بيده حتى تأطرونهم عـلى الحق أطرا». ولم يقتصـر اللعن على الاثمـين والمجرمـين وإنما كان عاماً للجميع لأنهم سكتوا وعايشوا ورضوا ولم يقوموا بأمانـة الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر ولم يؤدوا ما وجب عليهم فحق عليهم اللعن حتى من أنبيـائهم يوضح ذلك القرآن فيقول: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1] ويـوضح قصـة بني اسرائيـل رسول الله ﷺ للمسلمين ويحذرهم أن يقعـوا فيها وقـع فيه من قبلهم فيحل عليهم ما حل بهم من لعن وطرد من رحمة الله تعالى عن ابن مسعـود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل، فيقول يا هـذا، اتق الله ودع ما تصنـع به، فـإنه لا يحـل لك، ثم يلقـاه من الغد، وهـو على حـاله، فـلا يمنعه ذلـك أن يكون اكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضـرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال «لعن الـذين كفروا من بني اسـرائيل عـلى لسان داود وعيسى بن مـريم ذلك بمـا عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهـون عن منكر فعلوه لبئس مـا كانـوا يفعلون، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم، إلى قوله: فاسقون» ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الـظالم، ولتأطرنه على الحق أطـراً»[2] والأفراد والامم التي تتعـايش مع المنكـر ويستأنسهـا

---

١ - المائدة - ٧٨ - ٧٩

٢ - رواه ابو داود واللفظ له والترمذي

ويرضيها بمنهجه قد تودع منها، غلفت قلوبها وتسممت أفكارها وابتلعت الهوان قطرة قطرة حتى ادمنت عليه واصبحت لا تجد بأساً في وجوده وسيادته وهي بهذا لا تستطيع ولا تقدر أن تأمر بخير أو تنهي عن شر لأن هواها اصبح يميل حيث مال، ويتأرجح حيث يتأرجح. وفقدت هدى الله ونوره وعونه ورضاه.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشر بها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب انكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجحياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه»[1]. فلما يصبح قلب الانسان كالكوز المنكوس مغلفاً بالظلام والأثام والبهتان ساكتاً عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حينئذ يأتي اللعن والطرد من رحمة الله سبحانه.

مع الأدلة

ومما ذكرنا يتضح بجلاء أن هذه الأدلة حتمية وحاسمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وأن المتخلفين عن هذه الدعوة لهم عذاب أليم مع اللعن والطرد من رحمة الله تبارك وتعالى، ولا شك أن هذه الأدلة حاسمة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم ومسلمة مكلف بالأحكام الشرعية، ولا يختص العلماء أو كما يسميهم البعض رجال الدين بهذا الواجب وحدهم دون سواهم، وإنما يعم الواجب الجميع. مصداقاً لقوله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف - ١٠٨

١ - رواه مسلم وغيره.

وكل النصوص القرآنية والنبوية التي وردت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت تتحدث عن واجب المسلم في المجتمع المسلم ذلك المجتمع الذي يحمل رسالة الله ويتحاكم إلى شريعته ويقوم بواجبه في محاربة الطغيان ومصارعة الإثم وإرساء دعائم دعوة الله في الأرض ، وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وهذه النصوص كانت لا تستثنى أحداً من المسلمين وتعفيه من المسؤولية ، موجهة إلى الجماعات والأفراد وإلى مجموع الأمة محيطة شاملة ، فلا مناص إذاً من وجوبها على الجميع .

المبحث الثاني
الواجب العيني والواجب الكفائي

ينقسم الواجب من جهة المطالبة بأدائه إلى واجب عيني وواجب كفائي .

الواجب العيني

هو ما طلب الشارع فعله من كل فرد من أفراد المكلفين ولايجزىء قيام مكلف به عن آخر كالصلاة والزكاة والحج والوفاء بالعقود وإجتناب الخم والميسر . فهذه الواجبات يطلب من كل مكلف بها أن يؤديها بنفسه ولا يسقطها عنه أداءغيره لها ، لأنها متعلقة بعين المكلف .

الواجب الكفائي

هو ما طلب الشارع فعله من مجموع المكلفين ، لا من كل فرد منهم ، بحيث إذا قام به بعض المكلفين فقد أدى الواجب وسقط الإثم والحرج عن الباقين وإذا لم يقم به أي فرد من أفراد المكلفين أثموا جميعاً بإهمال هذا الواجب

كإنقاذ الغـريق وإطفاء الحـريق ، والقيام بمصـالح المسلمـين من صناعـة وزراعة وطب وقضاء وإفتاء وأداء الشهادات .

فهذه الواجبات مطلوبـة من الشارع أن تـوجد في الأمـة أيا كـان من يفعلها وليس المطلوب أن يقوم كل فرد فرد بذاته بأدائهـا لأن المصلحة تتحقق بـوجودهـا من بعض المكلفين .

فـالواجب الكفـائي على هـذا ، مطالب بـه مجموع الأمـة بحيث أن الأمـة بمجموعها عليها أن تعمل على أن يؤدي الواجب الكفـائي فيها . فـالقادر بنفسـه وماله على إداء الواجب الكفائي عليه أن يقوم به ، وغـير القادر عـلى أدائه بنفسـه عليـه أن يحث القادر ويحمله عـلى القيام بـه فـإذا أدى الـواجب سقط الإثم عنهم جميعاً وإذا أهمل أثموا جميعاً . أثم القـادر لاهمالـه واجباً قـدر على أدائـه وأثم غير القادر لاهماله حث القادر وحمله على فعل الواجب .

بين الواجب العيني والواجب الكفائي :

الواجب الكفائي قد يكون في اللزوم كالواجب العيني وذلك لأمور منها :

١ - أن يتعين فرد لأداء الـواجب الكفائي ، في هـذه الحالـة يكون واجبـاً عينياً عليه وذلك مثل لو كان هناك شخص يوشـك على الغـرق وهناك فـرد يحسن السباحة وجب عليه عيناً إذا لم يوجد غيره أن ينقذ هـذا الغريق الـذي يستغيث ، وإذا لم يوجد إلا طبيب في البلد تعين لاسعاف المـرضى في تلك البلد ، فالفـرض الكفائي يأخذ هذه التسمية قبل أن يختار الشخص المناسب ويتحدد الجهد المطلوب الذي لايمكن أن يؤدي إلا بواسطته لعدم وجود غيـره أو عدم وجـود من يعرف ويستطيع أن يؤدي العمل إلا هو في ذلك الزمان ، أو في هذا المكان .

٢ - أن يكون العدد الموجود لأداء الفرض الكفائي لا يكفي أو لا يستطيع

أن يقوم بالعمل المناط به على الـوجه الأكمـل ، فإذا كـانت الأمة تحتـاج إلى مائـة صيدلي مثلاً ولم يتوفر إلا خمسون لم يسقط الفرض أو الـواجب الكفائي عن الأمـة حتى تستكمل الخمسين الباقية وظل واجباً على الأمة أن تجتهد حتى يكون العمـل على الوجه الأكمل .

أهمية الواجب الكفائي للامة

الـواجب العيني عـادةً مـا يـرتبط بـالضمـير الفـردي والسلوك الخـاص ، كـالصلاة والـزكاة وأركـان الأخـلاق من صـدق وحيـاء ، وغيـره من تلك الأمور .

أما الواجب الكفائي فإنه يتصل بالامور التي تهم الأمـة والأفراد ككـل مثل حراسة الناس ـ الأمن ـ والقضاء ـ والصناعات والجهاد ، والتعليم وغير ذلك من الشؤون المهمة ذات الخطر الكبير في حياة الأمة ، كما أن فرض الكفايـة يحتاج إلى فئة من الناس أكثر شأنـاً وأكثر تـأهيلاً من أصحـاب فروض العـين.الصلاة مثـلاً فرض عين لأن كل إنسان يستطيع أن يصلي فما يستثنى أحد من وجوبها أما القضاء والتدريس والهندسة فهي فروض كفاية لأنه ليس كل إنسان يقدر أن يكون قاضياً أو مدرساً أو مهندساً أو طبيباً .

وفروض الكفاية أكثر جهداً من فروض العين فربما استغرقت قضيـة واحدة من القاضي أضعاف مـا يستغرقـه وقت الصلاة بـل لعل بعض فـروض الكفايـة يستغرق أعمار الناس كتحسين المخترعات وإكتشاف ما تحتاجه الأمة . . . ولكن هذا هو الطريق وهذا هو الواجب لإرضاء الله وحماية الأمة والحفاظ على الـدين وإنشاء دنيا تصونه وتنميه . . . ! ! ! ولهذا يحسن بنا أن ننقل نصاً لامام الحـرمين يتحدث فيه عن فروص الكفاية وعن الموقف إذا تعارض فرض الكفاية مع فرض العين ؟

قال رحمه الله : «ثم الذي أراه أن القيام بما هو من فـروض الكفايـة أحرى بإحراز الدرجات وأعلى في فنون القربات ، من فرائض الأعيان فـإن ما تعـين على المتعبد المكلف لو تركه ولم يقابل أمر الشارع فيه بـالارتسام-الأنقيـاد ـ اختص المأثم به . . ولو أقامه فهو المثاب ، ولو تعـطل فرض من فـروض الكفايـات لعم المأثم الكافـة على إختـلاف الرتب والـدرجات . فـالقائم بـه كاف نفسـه وكافـة المخاطبين الحرج والعقاب ، وأمل أفضل الثـواب ، ولا يهون قـدر من يحل محـل المسلمين أجمعين في القيام لمهمة من مهمات الدين»[1] .

المبحث الثالث

هل الدعوة واجب عيني

قد علمنا من النصوص السابقة أن الدعـوة إلى الله تعالى واجبـة ولكن هل هـذا الوجـوب عيني بمعنى أنه لا بـد لكل شخص القيـام به . أم هـل هو واجب كفائي ، بمعنى إذا قام به البعض سقط عن البعض الباقي .

قال جماعة من العلماء

بـأن الدعـوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر واجب كفـائي ، واستشهدوا بقوله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2] قـالوا قـد حوت هـذه الأية معنيـين أحدهمـا وجـوب الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر والآخر أنه فرض على الكفاية لقولـه تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ وحقيقته تقتضي البعض دون البعض فدل على أنه فرض على الكفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين .

---

(١) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص ٤٢ .

(٢) آل عمران ـ ١٠٤

كما أن من المسلمين من لايقدر على الدعوة ولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل النساء والمرضى والعاجزين .

وأن هذا الأمر لا يصلح له إلا العلماء ، لأن الآية تشتمل على **ثلاثة** أشياء ، الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر .

ومعلوم أن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر . فإن الجاهل ربما دعا إلى الباطل وأمر بالمنكر ، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير المنكر ، وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة ، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً .

الدعوة واجب عيني : «فرض عيني»

وقال جماعة أخرى من العلماء ، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عيني على كل مسلم ومسلمة لقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(١) فليس هناك مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أما بيده أو بلسانه أو بقلبه ، كما يجب على كل واحد من الناس دفع الضرر عن النفس إذا اعتراه ذلك .

ثم أن النصوص الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تخص فئة دون أخرى ، ولكنها خاطبت الجميع ، فقال عز وجل : «وإن طائفتان من المؤمنين إقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت أحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله» وقال عز وجل ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ

---

(١) آل عمران ـ ١١٠

دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (١) وقال ﷺ «من رأى منكم منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان»

رد على الرأي الأول

رد القائلون بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على أصحاب الرأي الأول. فقالوا إن من في الآية الكريمة التي استشهدوا بها في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (٢) ليست للتبعيض وإنما هي للتبيين، ولبيان الجنس، والمعنى لتكونوا كلكم كذلك. وهي كقوله تعالى ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ (٣)﴾ أي اجتبنوا كل الأوثان فهي رجس، ويقال أيضاً لفلان من أولاده جند وللامير من غلمانه عسكر، يريد بذلك جميع أولاده وغلمانه له عسكر لا بعضهم، وجميع النصوص الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توضح هذا المعنى وتبينه.

والحقيقة أن أصحاب الرأي الأخير حجتهم أقوى وأرجح، ويشهد لهم عمل رسول الله ﷺ وعمل الصحابة من بعده، فقد دعا رسول الله ﷺ وصحابته إلى الإسلام «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني» وإلى تعاليمه وأدابه ولم يفتروا ليلاً أو نهاراً عن تبليغ دعوة الله. فلما ضاقت مكة بهم وضيق عليهم وجدوا متسعاً في المدينة وأمر الرسول ﷺ المسلمين أن

(١) المائدة ـ ٧٨ ـ ٧٩
(٢) آل عمران ـ ١٤٠
(٣) الحج ـ ٣٠

يهاجروا إليها ليجتمع شمل المؤمنين ويبلغوا دعوتهم وعاب القرآن على من أمن ودخل في دين الله وظل بدون هجرة معطل الطاقة مكبوت الصوت مستضعف الرأي فقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾[1] فلو كانت الدعوة واجبة على بعض الناس دون بعض لكان في وجود الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين غناء وكفاية وليس هناك ما يدعو إلى هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة ، ولكن الإسلام كان يستنفر كل مسلم للدعوة إلى الله والجهاد في سبيله ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2] ثم توعد القرآن من تثاقل عن الجهاد ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ . إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة - ٤١

ومن قال بأن الدعوة فرض كفاية قالوا إن ذلك وإن كان واجباً على الكل إلا أنه متى قام به قوم سقط التكليف عن الباقين ونظيره قوله تعالى ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[3] وقوله ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ فالامر عام . ثم إذا قامت به طائفة ووقعت الكفاية زال التكليف عن الباقين . فالأمر على هذا يظل واجباً عينياً إذا كان المسلمون في حاجة ماسة إلى الدعوة وإلى إنهاض الأمة وإلى القيام برسالتها وإلى تنفيذ شرع الله في الأرض ، فإذا قام بهذا العبء فئة من الناس لم يؤدوا الغرض المطلوب ، أو يحققوا المقصود من الرسالة ظل الفرض عينياً كما هو

---

(١) النساء - ٩٧.
(٢) التوبة - ٣٩
(٣) التوبة - ٣٩

ما دامت لم تحصل الكفاية بعـد وما دام شـرع الله لم يحكم أو يسود ومـا دام هناك شرود غالب وعدو متحكم وآمة لاهيـة . والحقيقة يجب أن يفهم بجـانب هذا أن على الأمة أن تكون مدربة على الدعوة حتى تختار منها ما يقوم بهـذا التبليغ ، وقـد جنح إلى ما يقـارب ذلك إبن كثـير في تفسير قـوله «ولتكن منكم أمـة يدعـون إلى الخير» حيث قال المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجباً على كل فـرد من الأمة بحسبـه كما ثبت في صحيـح مسلم عن أبي هريرة قـال : قال رسـول الله ﷺ : «من رأى منكم منكراً فليغيـره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان» (١).

الدعوة واجب عيني اليوم

الـدعوة واجب عيني اليـوم بإجمـاع الأمة كـل في مجالـه وكل حسب طـاقته وحسب علمه وما يعرف ، فبعض الناس يستطيع أن يدعوا أسرته وولـده وزوجه ومن يحيط به إلى التمسك بآداب الإسلام وفرائضه وتعاليمه ، كالصلاة والصيـام والزكاة والحج ، .

وكذلك حب المسلمين والتآخي معهم ونصحهم وزيارتهم وتقديم العون لهم والعمل معهم على تحكيم كتابه وشرعه ، وبعض الناس ، يدعو الى الاسلام مـع ما سبق بإعزاز المسلمين ورفع رايتهم في الميادين المختلفـة ، كالميـادين الصناعيـة والتجـارية والعلمية والثقافيـة وغيرهـا ويقدم الاسلوب العلمي والخلقي في هـذا المجـال كبرهـان على رسـالة الله وشمـول دينه لنفـع الحياة وإعـزازها ورفـاهيتهـا وطهرها وإسعادها .

---

(١) تفسـير ابن كثـير ٣٩٠/١ ، والفخـر الـرازي ١٦٦/٨ ، والقـرطبي ١٦٥/٤ وأحكـام القـرآن للجصاص ٢٩/٢ .

وبعض الناس يدعو إلى الإسلام بالحكم الصالح وبالسيرة الحسنة ورعاية مصالح المسلمين وتنفيذ ما أمر الله في كتابه وما سنه رسول الله ﷺ من سيرة حسنة وقدوة طيبة وبعض الناس أعطاه الله القدرة على فهم دينه والتبحر في شرعه ومعرفة أحكامه واستيعاب تعاليمه يستطيع أن يبصر الناس بما غمض عليهم وما استعصى على إفهامهم ، كما يستطيع أن يفتح أفاقاً جديدة لرسالته ودعوته وأن يقارع الحجة بالحجة وأن يكشف الزيغ ويرد الشبه ويظهر جمال دينه ، وجلال دعوته ويستطيع مع زملائه ومن على شاكلته أن يقودوا كتيبة الدعوة العامة بما يمكن من الوسائل والطرق لرفع دين الله وإزاحة الباطل بالحجة والموعظة الحسنة تارة وبالترهيب تارة أخرى ومن ورائهم المجتمع المسلم عامة وأولياء المسلمين خاصةً .

وقد يسأل سائل فيقول : ولماذا كانت الدعوة إلى الإسلام فريضة واجبه عينييه اليوم ؟

أقول لأمرين :

أحدهما : لحاجة المسلمين إليها ، ونسيانهم لها وتنكبهم طريقها ولبيان ذلك أقول : إن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يحتاجون إلى وحدة ، وإلى أخوه وصلة ، ولن يقوم بهذا إلا رجال الإعلام والدعوة .

كما أن الشخصية الإسلامية تحتاج اليوم إلى التسلح بالقيم الإسلامية التي فقدتها والتي كان لها أكبر الأثر في تطهير المجتمعات الإسلامية من كثير من الأدران والشهوات .

إن الأمة الإسلامية اليوم تتلفت إلى طريق الصواب وإلى سبيل الهداية بعد أن قطعت شوطاً كبيراً في الضياع والهوان وقد تكأكأ عليها القاصي والداني يريد أن ينال من عزتها وكرامتها ومجدها وتراثها وحضارتها . أقول ما دام شعوب

المسلمين وأممهم على هذا النحو «إلا من رحم ربـك» فلا بـد من قيام كـل مسلم صادق الايمان بأمر دينه وتغيير ما يجب عليه حسب مـا ورد في االأحاديث السـابقة لينجو من المسؤولية وليحقق أهداف رسالته ويصحح مسار أمته .

الأمر الثاني : القيام بالـدعوة وإبـلاغ رسالـة الإسلام إلى شعـوب الأرض قاطبة حتى يبلغ الإسـلام ما بلغ الليـل والنهار لأن رسـالة الإسـلام جاءت عـامة للجميع فيجب إبلاغهـا للجميع ، ويجب أن يشتـرك الجميع في تـأهيل الـدعـاة لذلك الأمـر الجلل ، ليسود دين الله وتنعم البشـرية بـه وترحم بهـداه وتخرج من الظلمات إلى النور قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] وأخبر الحق سبحانه أن الإسـلام جاء ليـظهر عـلى الدين كلـه وليمحو بتعـاليمه جهـل المنحرفين وتحـريف الغالـين من أصحاب الـديانـات الشاردة والأهـواء المضللة ، فأخبر الحق سبحانه في ثلاث صور من القرآن الكريم أن الاسلام جاء ليظهر على كل تلك الخرافات والأباطيل ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾(التـوبة ـ ٣٣) ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾(الفتـح ـ ٢٨)

فهل قام أحد بتبليغ الدعوة إلى الله في الأرض ، ودعا إليها في المعمـورة ، إننا نجد ذيول المستعمرين من المبشرين يجوبـون المعمورة ويتسللون إلى الشعـوب كـل الشعوب وخـاصة الشعـوب المسلمة ليخـرجـوهـا من دينهـا ويبعـدوهـا عن عقيدتها ، فهل تحرك المسلمون للدعوة إلى دينهم وإلى رسالتهم أو تحرك المسلمون ليحفـظوا على المسلمـين عقيدتهم ويقـارعوا المبشـرين في تلك الأصقاع بـالحجـة والبرهان .

---

(١) الأنبياء ـ ١٠٧ .

ونجـد كـذلـك دعـاة للشيـوعيـة وللمـذاهب الأرضيـة التي تعبـد النـاس للشهوات والأشخاص والأهواء ، فأين موقع الدعاة المسلمـين في هذا العـالم وفي هذا العصر وأين جهودهم ، وإذا لم تكن الدعوة واجبة اليـوم وجوبـاً عينياً وإذا لم تكن الأمـة الإسلاميـة مسؤولة اليـوم عن دينها وعن رسـالتهـا ، ففي أي وقت يكون الوجـوب وفي أي يوم تقـع المسؤولية ، إن الـذين يريـدون تحويـل الأمة الإسلامية عن هذه الفريضة حولهم علامات استفهـام كبيرة ؟ والـذين يسيرون في فلكهم جماعة فرحوا بالقعود ورضوا بالأماني واستمرؤا [illegible] واستناموا للشر الداخل ، ورياح السموم الموجهة إلى تلك الأمـة الاسلامي[illegible] تعصف بها عصفـاً ولا تجد الأمة ربانـاً ماهراً أو دليل أريبا .

المسلم داعية في كل حال :

المسلم مأمور أن يغير المنكر بكـل ما يستـطيع إذا تهيـأ له ذلـك وقد وضـح حـديث رسول الله ﷺ مـراحـل معينـة ممكن أن يقـاس عليهـا وكلهـا مـرهـونـة بالاستطاعة وبذل الجهد ككل الأحكام الشرعيـة «لا يكلف لله نفساً إلا وسعهـا» وقال ﷺ «إذا أمرتكم بشيء فـأتوا منـه ما استـطعتم» وقالﷺ : «من رأى منكم منكـراً فليغيره بيـده فإن لم يستـطع فبلسانـه فإن لم يستـطع فبقلبه وذلـك أضعف الايمان» فكان على المؤمن أن يغيره بيده إذا إستطاع ذلك ولا يعدل عنـه إلى شيء آخر ، وليس المراد مطلق اليد سـواء كانت يـداه أو يد غيـره ، وإنما المـراد التغيير العملي والفعلي والفوري ، قد يكون بالمباباشرة وقد يكون بخطة ، وقد يكون من الحاكم فيما يخصه ، ومن غير الحـاكم فيما يكـون في دائرة صـاحبه ، كـما إذا كان المنكر في بيته أو في ولده أو فيمن يكونـون تحت وصايتـه أو في نطاق عمله أو تحت رياسته وامرته . وقد تكون الاستطاعة مـوجودة ولكن لهـا تبعات . كـأن يغضب من ذلك أناس ، أو يشق على آخرين أو تتحرج فيها النفس أو يكون فيها عصيان

لوالد أو لقريب أو صديق ، وهنا لا تنتفي الإستطاعة لأنه «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق» قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾[1] وقد تعرض الاستطاعة الإنسان لإنفاق بعض المال أو بذل كثير من الجهد في سبيل التغيير ، أو بعض المناوشات والمضايقات . كل هذا لا يلغى الاستطاعة ، عن عبد الله بن جرير البجلي عن أبيه أن النبي ﷺ قال : ما من قوم يعمل بينهم بالمعاصي هم أكثر وأعز ممن يعمله ثم لم يغيروا إلا عمهم الله منه بعقاب» فإذا لم يستطع النهي عن المنكر باليد كأن كان فيه هلكة له وليس عنده وسيلة لمقاومة الشر والتغلب عليه ، وكانت عنده خطة أفضل للتغيير باللسان ، وإتباع مراحل معينة مدروسة . غير باللسان وحذر من الشر وأبان خطره ونبه الأذهان وحرك القلوب وجيش الأفكار حتى يحصر المنكر ويكشف عواره ويفضح ستره ، وهذه كانت مهمة الدعاة والرسل والصالحين يخاطبون الفكر والعقل ويستطيعون بذلك تجنيد السواعد التي تقف في وجه المنكر وتمنعه وتغيره باليد بعد ذلك . . وهل بدأت دعوة الرسل إلا باللسان والمنطق والحجة والموعظة الحسنة ، خاصة وأن المسلم قد أوتي حجة القرآن وهداية الرسالة وتعاليم السماء التي أحصت كل شيء وجاءت لكل مشكلة بحل ولكل معضلة بتفسير « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وعنده من هدى رسوله وسنة نبيه ﷺ ما سن للبشرية سبل السلام والبر والخير . فإذا تزود المسلم من زاده وتسلح بتراثه وإستنار من وحيه ، فعل الكثير وفتح القلوب واستولى على الألباب إذا صدق في دعوته وأخلص في نيته .

---

(١) النساء - ١٣٥

فإذا لم يستطع أن يبلغ وأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر بلسانه حيث كممت الافواه وسجنت الألسن وحظرت الأفكار وكسرت الأقلام واغتيل الفكر والبيان غير بقلبه ، وقاوم المنكر بالسلبية المطلقة ، السلبية تعني عدم التأييد والمساعدة والاشتراك معه في أي أمر ، كما تعني عدم مجالسته أو مأكلته أو مشاربته ، السلبية تعني عدم إنتخابه ، أو ترشيحه للمناصب أو تقديمه في الأمور أو الرضا به حكماً أو قاضياً أو وكيلاً أو ناصحاً أو مدرساً أو معلماً ، أو شفيعاً ووسيطاً ، أو رفيقاً في سفر أو تجارة وصناعة أو مشاركاً ومعاملاً . تعني المفاصلة القلبية والنفسية والإجتماعية .

وبعد . أليس في هذا الأسلوب دعوة وحث على التغيير وإن كان الأسلوب هو التغيير بالقلب ، إنه أسلوب الإحتقار والازدراء والكره والاشمئزاز ، والتعالي على المنكر والشموخ بالعزة والإعتزاز بالحق . لا يلبث المنكر إزاءه إلا أن يتوارى ويختفي ويزول .

المبحث الرابع

بين الرخصة والعزيمة

الرخصة هي التسهيل والتيسير، يقال رخص له في الأمر: إذا أذن له فيه بعد النهي عنه. والرخصة في الأمر خلاف التشديد فيه، ورخص الله للعبد في

---

(١) انظر القواعد الفقهية ٣٢٩ ط الهند، مسلم الثبوت ١١٦/١، ١١٨، ابن عابدين ١٧٦/١، المصباح المنير ولسان العرب في مادة ـ رخص ـ

اشياء خففها عنه. فمثلاً رخص لـلاعرج في القعـود عن الجهاد تخفيفـاً له ودفعـاً للحرج عنه وكذلك للأعمى وخفف عن المريض في بعض الأشيـاء مثل الصـلاة قـاعداً أو عـلى جنبه أو مستلقيـاً والعزيمـة. عند الاصـوليين: اسم لما هـو أصـل المشروعات غير متعلق بالعوارض وخلافه ـ مثل الرخص. وقد عرف الفقهاء كلا من الـرخصة والعـزيمة فقـالوا: الـرخصة هي مـا بني على اعـذار العباد ويقـابلها العزيمة، وهي مـا كان أصلهـا غير مبنى عـلى اعذار العبـاد[١]. فإذا قعـد الاعرج والاعمى عن الجهاد كان ذلك عملاً بالرخصة وإذا خرجا للجهاد كان ذلك أخذاً بالعزيمة.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اصلاً فرض بـاليد ثم رخص فيـه لغير المستطيع باليد أن يكون باللسان ثم رخص لغير المستطيع باللسان بالتغيير بالقلب وقد وردت الأحاديث تبين فضل من يأخذ بالعزيمة ودرجة من يأخذ بالرخصة.

وكان أصل أخذ الناس بـالرخصـة في الأمر بـالمعروف والنهى عن المنكـر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان»[٢].

وأصل أخذهم بالعزيمة: قول رسول الله ﷺ «سيد الشهداء حمزة بن عبـد المطلب ورجل قام إلى إمام جـائر فـأمره ونهاه فقتله» وقـوله ﷺ: «أفضـل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٣].

---

(١) قواعد الفقه لعميم الاحسان ص ٣٧٩

(٢) رواه الطبراني والحاكم وقال صحيح الاسناد.

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وهو حديث صحيح ـ فيض القدير ٢ / ٣٠

شواهد وأمثلة للرخصة والعزيمة:

أخذ بالرخصة بعض الدعاة وأخذ بالعزيمة بعض أخر منهم: قال عبدالله ابن المبارك لما بلغ أبو حنيفة قتل ابراهيم الصائغ بكى حتى ظننا أنه سيموت فخلوت به، فقال: كان والله رجلاً عاقلاً، ولقد كنت أخاف عليه هذا الامر، قلت: وكيف كان سببه، قال: كان يقدم ويسألني وكان شديد البذل لنفسه في طاعة الله، وكان شديد الورع وكنت ربما قدمت إليه الشيء فيسألني عنه ولا يرضاه ولا يذوقه، وربما رضيه فأكله، فسألني عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن اتفقنا أنه فريضة من الله تعالى، فقال لي: مد يدك حتى ابايعك فاظلمت الدنيا بيني وبينه، فقلت: ولم، قال: دعاني إلى حق من حقوق الله فامتنعت عليه، وقلت له: إن قام به رجل وحده قتل ولم يصلح للناس أمر، ولكن إن وجد عليه أعواناً صالحين، ورجلاً يرأس عليهم مأموناً على دين الله لا يحول. قال: وكان يقتضي ذلك كلما قدم علي، تقاضى الغريم الملح، كلما قدم على تقاضاني، فأقول له: هذا أمر لا يصلح بواحد، ما أطاقته الأنبياء حتى عقدت عليه من السماء، وهذه فريضة ليست كسائر الفرائض، لأن سائر الفرائض يقوم بها الرجل وحده، وهذا متى أمر به رجل وحده، أشاط بدمه وعرض نفسه للقتل، فأخاف عليه أن يعين على قتل نفسه، وإذا قتل الرجل لم يجتزىء غيره أن يعرض نفسه، ولكنه ينتظر، فقد قالت الملائكة «اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال أني اعلم ما لا تعلمون» ثم خرج إلى مرو حيث كان أبو مسلم فكلمه بكلام غليظ، فأخذه، فاجتمع عليه فقهاء أهل خراسان وعبادهم حتى أطلقوه، ثم عاوده فزجره، ثم عاوده، ثم قال: «ما أجد شيئاً أقوم به لله تعالى أفضل من جهادك ولا جاهدنك بلساني ليس لي قوة بيدي ولكن يراني الله وأنا أبغضك فيه، فقتله»[1].

---

(١) احكام القرآن للجصاص ـ ٢/٣٣ ط الكتاب العربي.

فقد أخذ ابو حنيفة رضوان الله عليه بالرخصة لأنه وجد أن الأمر يحتاج إلى خطة واحكام، وعمل ابراهيم الصائغ لا يدفع الشر وإنما سيتسبب في هلاكه لكن ابراهيم رحمة الله أراد أن يكون شهيد الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاختار رحمه الله الأخذ بالعزيمة.

المبحث الخامس

نصوص في الحض على الدعوة

١ - ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1] قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم بالعذاب، وقالت زينب بنت جحش فيما يرويه مسلم سألت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله: انهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»[2].

٢ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[3].

٣ - ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ الزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[4].

٤ - ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[5]

(١) الانفال - ٤٥.

(٢) انظر القرطبي ٢٩٠ الحديث رواه البخاري ومسلم جامع الأصول ٢٣١/٢.

(٣) البقرة - ١٦٠.

(٤) الحج - ٤١.

(٥) فصلت - ٣٣.

٥ - ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾[1] .

٦ - ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾[2] .

٧ - ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾[3] .

٨ - ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾[4] .

٩ - ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[5].

١٠ - ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ﴾ - هود - ١٦٦

١١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾ النساء - ١٣٥ .

١٢ - ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ النساء - ١١٤ .

---

(١) المائدة - ٧٨ .

(٢) آل عمران - ١١٣ ، ١١٤ .

(٣) التوبة - ٧١ .

(٤) الاعراف - ١٦٥

(٥) - المائدة - ٢

١٣ - «وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا» الحجرات - ٩ .

الأحاديث

١ - «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان»[١].

٢ - عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٢] سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله «الترمذي والحاكم وقال صحيح الاسناد.

٣ - عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم اعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في اسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم. فقالوا: لوا أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعاً» رواه البخاري والترمذي.

٤ - عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ما من نبي بعثه الله في امة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل» رواه مسلم. ١/ ٥٠ - ٥١ .

---

(١) مسلم والترمذي وابن ماجه

(٢) ابو داود والترمذي والنسائي بسند صحيح .

٥ ـ عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم» الترمذي صحيح .

٦ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يحقرن أحدكم نفسه «قالوا يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى أن لله عليه مقالا، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا، فيقول: خشية الناس، فيقول: فأياي كنت أحق أن تخشى» رواه ابن ماجة ورواته ثقات.

٧ ـ وعن جرير رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة فلقنني «فيما استطعت، والنصح لكل مسلم» رواه البخاري ومسلم.

٨ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أول ما دخل النقص على بني اسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل، فيقول: يا هذا، اتق الله ودع ما تصنع به، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون اكيله وشريبه وقعيده. فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: «لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم . إلى قوله تعالى ﴿ فاسقون﴾ ثم قال « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً » رواه أبو داود والترمذي . صحيح .

٩ ـ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ (١) ﴾

(١) المائدة ١٠٥

وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذارأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشـك أن يعمهم الله بعقاب من عنـده» رواه ابو داود والتـرمذي وقـال حسن صحيح وابن ماجه والنسائي وابن حبان في صحيحه.

١٠ - وعن حذيفة رضي الله عنه قال: « تعـرض الفتن على القلوب كـالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشر بها نكتت فيه نكتـة سوداء، وأي قلب انكـرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفـا فلا تضره فتنة مـا دامت السموات والأرض، والآخـر أسود مـرباداً كـالكوز مجخيا لايعرف معروفاً ولاينكر منكرا إلا ما اشرب من هـواة » رواه مسلم وغيره.

١١ - عن عبـد الله بن عمر رضي الله عنهـا عن النبي ﷺ قـال: «إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تودع منهم» رواه الحـاكم وقال صحيـح الاسناد.

١٢ - وعن أبي ذر رضي الله عنـه قال: أوصـاني خليـلي ﷺ بخصـال من الخـير، أوصاني أن لا أخاف في الله لـومة لائم وأوصـاني أن أقول الحق وإن كـان مراً » رواه ابن حبان في صحيحه.

١٣ - عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ليس منا من لم يرحم صغيـرنا ويـوقر كبيـرنا، ويـأمر بـالمعروف وينـه عن المنكر » رواه أحمـد والترمذي وابن حبان في صحيحه.

١٤ - عن ابي هـريرة رضي الله عنـه عن النبي ﷺ قال «الاسـلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحـج، والأمر بـالمعروف والنهى عن المنكـر وتسليمك عـلى أهلك، فمن نقص شيئاً منهم فهـو سهم من الاسلام يـدعه ومن تـركهن فقـد ولى الاسـلام ظهـره» رواه الحاكم.

المبحث السادس

دور السلطة في تبليغ الدعوة

قال تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[1] فلا بد إذن من جماعة تدعو إلى الخير ، ولا بد من سلطة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، بلفظ القرآن الكريم وبمنطوق الآية. هذا هو المراد ، فهناك دعوة إلى الخير ، وهناك كذلك أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وإذا أمكن أن يقوم بالدعوة غير ذي سلطان فإن الأمر والنهي لا يقوم بهما إلا ذو سلطان .

لا بد من سلطة تتحمل عبء الدعوة إلى الله تعالى لتبليغها إلى آفاق الأرض ، لا بد من سلطة مؤمنة مجاهدة ، ترتبط بحبل الله وحبل الإخوة في الله ، سلطة تقوم على هاتين الركيزتين لتحقيق منهج الله في الأرض وإقراره في الحياة الإنسانية ومباشرة تنفيذه في الداخل والخارج .

والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقرار الخير بين الناس . تكليف شديد وليس بالأمر الهين أو اليسير ، إذا نظرنا إلى طبيعته وإلى إصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم وأهوائهم ومصالحهم ومنافعهم ، وغرور بعضهم وكبرياء الآخر ، وفيهم الجبار الغاشم ، وفيهم الحاكم المتسلط وفيهم الهابط والمنافق الذي يكره الجد ، وفيهم المسترخي الذي يكره الصعود ، وفيهم المنحل الذي يكره الفضيلة ، وفيهم الظالم الذي يمقت العدل ، وفيهم المنحرف الذي يكره الإستقامة .

---

(١) آل عمران ـ ١٠٤

وهؤلاء وأولئك يحتاجون إلى تكاتف ورعاية حتى تستطيع الدعوة أن تطوعهم للخير ويستطيع الدعاة أن يجدوا منهم أذاناً صاغية وقلوباً مفتوحة تنقلهم نقلة كريمة إلى منهج الله وهديه .

إن اقامة هذه السلطة ضرورة من ضرورات قيام المنهج ذاته ، فمنهج الله في الأرض لا يقوم بمجرد الوعظ والارشاد والبيان فقط وإن كان هذا يمثل شطراً من الدعوة أما الشطر الباقي فهو قيام سلطة وقيادة تحمل منهج الله في الأرض ، وتقوم به وتبلغه للناس بما ترسمه من الوسائل والخطط وبما تنظمه من إمكانيات وتدربه من دعاة وتبثه من اعلام ، ثم تحيط كل ذلك بسياج وحماية ورعاية كما تقوم تلك السلطة بصيانة تقاليد الجماعة وحمايتها من أن يعبث بها كل ذي هوى وكل ذي شهوة وكل ذي مصلحة .

على هذا قامت الجماعة الاولى في المدينة ، واستمرت به الدعوة الاسلامية بعد ذلك في العصور الاسلامية المجيدة ، حيث كان يتنفس في رحابها هذا المنهج ويتحقق في صورته الواقعية ، المعروف فيها هو الخير والفضيلة والعدل ، والسيادة فيها لأوامر الله ، والمنكر فيها هو الشر والرذيلة والباطل والظلم ؛ عمل الخير فيها أيسر من عمل الشر ، والحق فيها أقوى من الباطل والعدل أنفع من الظلم ، فاعل الخير فيها يجد على الخير أعواناً وصانع الشر يجد مقاومة وخذلاناً .

للمحسن فيها أجر إحسانه ، وللمسيء فيها جزاء بطلانه ، تعطى للرجال منازلهم وللابطال أماكنهم ، ولأهل الحق درجاتهم ، لا يضيع فيها أجر المحسنين أو ثواب العاملين ، أو جزاء المخلصين . لهذا طوف الاسلام في أرجاء الأرض وشرق وغرب ودخل الناس في دين الله أفواجاً» .

الفصل الثالث
موضوع الدعوة ومصادرها

المبحث الأول
موضوع الدعوة

موضوع الدعوة الإسلامية هو الإسلام الذي أوحى به إلى محمد رسول الله ﷺ ، متمثلاً في القرآن والسنة .

فهو المنهج الكامل الذي إختاره الله للعالمين وجمع فيه أصول الشرائع ووصايا الأنبياء . وبعث عليه خاتم الأنبياء والمرسلين ، بخصائصه ومبادئه وأهدافه وغاياته ونظامه الشامل الذي يتناول مظاهر الحياة جميعاً .

فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة ، أو رحمة وعدالة وهو ثقافة وقانون ، أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة ، أو كسب وغنى وهو جهاد ودعوة ، أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة وعبادة مخلصة .

إذن فموضوع الدعوة : هو الإسلام الشامل ، الذي ينظم الحياة بأوضاعها المختلفة ، ويحي الفردبهديهليشعر بإنسانيته وكرامته تماماً كما خلقه الله كريماً عزيزاً وصدق الله ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[1] .

فالداعية المسلم ليس ككل داعية وليس كأي داعية ، وليست دعوته أي

---

(١) الانعام ١٢٢

دعوة ولا رسالته أي رسالة ، وإنما هو معلم وطبيب ، ومرشد ، وهادي ، وميزان ورقيب ، ومبشر ، ونذير ، لأنه مبعوث عناية وشاهد أمة ، ومنفذ وحي ، وحامل ضياء .

عمله الأول يبدأ بخطوات محسوبة ومقاييس مقدرة منها : -

١ - يبدأ بنفسه فيصلحها حتى يكون الجسم القوي ، والخلق القويم والعقل النابه وصدق الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾(١) .

٢ - ثم يمضي إلى تكوين بيته فيحمل أهله على احترام فكرته ، ليكون هناك البيت المسلم واللبنة المؤمنة ، التي تكون محضناً للأبطال والعلماء والصلحاء ، وصدق الله ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾(٢) .

٣ - ثم يتوجه إلى المجتمع ينشر دعوة الخير فيه ويعكف على محاربة الرذائل والمنكرات ، وتشجيع الفضائل ، والأمر بالمعروف ، والمبادرة إلى فعل الخير ، وترجمة التعاليم الإسلامية إلى منهج عملي في المجتمع وصبغ مظاهر الحياة العامة بتعاليم الإسلام ، وتحرير العقل المؤمن من كل غزو فكري ، واحتلال ثقافي ، واستخلاص الثقافة الإسلامية من أحضان المتاهات والشطحات التي تمزق العمل المجدي ، فينتفي الاعنات والحرج عن الأمة ، وصد الله ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٣)

---

(١) الصف ٢ -٣

(٢) الفرقان - ٧٤

(٣) البقرة - ١٨٥

وإصلاح ما بين المسلمين وجمعهم على منهج الله ودستوره مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ آل عمران - ١٠٣

وذلك حتى تعود للمسلمين عزتهم ، ومنعتهم وقيادتهم للعالمين ، وصدق الله « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(١) ﴿ لِّيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (٢)

٤ - ثم دعوة غير المسلمين إلى منهج الحق وإلى شريعة الإسلام ، وهديه وتملك المسلمين استاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

كل ذلك أتى به القرآن ووضحته السنة وبينه المنهج الذي هو موضوع الدعوة إلى الله تعالى .

والداعلية المؤمن لا يبدأ عمله من فراغ ولاتيه ، ولا يخوض ظلمات بعضها فوق بعض ، وإنما يسير بمنهج رباني فطري إيجابي متوازن مستقيم لاعوج فيه ولا إنحراف معه ، وصدق الله : ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾(٣) .

---

(٣) آل عمران - ١١٠

(٤) البقرة - ١٤٣

(١) الانعام - ١٥٣

المبحث الثاني

مصادر الدعوة

يستمد الداعية منهجه وأسلوبه من كتاب الله تعالى ، ومن هدى رسول الله ﷺ وسيرته ، ومن سيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم ومن استنباطات الفقهاء ، ومن تجارب الداعية نفسه مع الناس ومن واقع الحياة .

١ - القرآن الكريم :

أ - هو وحي الله المعجز ، وكتاب الدعوة المفحم ، وجماع مبادئها وقانونها ، ودستورها ، ومنهاجها ، وصراطها المستقيم . فضله على مناهج البشرية وعلمها ، كفصل الله على خلقه ، فهو كتاب الإنسانية وحياتها وغذاء فطرتها ، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن إبتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ونوره المبين ، والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبة وهو الذي لم تنته الجن إذا سمعته أن قالوا ، إنا سمعنا قرآناً عجباً ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»[1] .

حسب الداعية أن يعلم أنه كتاب الصواب الذي لا يحتمل الخطأ ، والحق الذي لا يجوز عليه الزيع ، والهداية التي لا يعتريها ضلال ، وصدق الله :﴿وَإِنَّهُ

(١) رواه الترمذي والواردي عن رسوله الله في فضل القرآن وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ورواه أحمد في المسند رقم ٧٠٤ ونحن نذكره لصحة معناه جامع الأصول ٨/ ظ,ذ .

لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]

قال ابن عباس : ضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولايشقى في الآخرة لقوله تعالى ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ طه - ١٢٣

وقال الليث : ما رحمة إلى أحدكم بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقول الله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾الأعراف - ٢٠٤

ب - حسب الداعية أن يكون كتاب دعوته هو كتاب دعوة محمد ﷺ ، وأن يكون على منهاجه ودستوره ، وأن يكون مخاطباً به ورافعاً للوائه وناصراً لملته وصدق الله ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾[2] .

جـ - يجد الداعية في القرآن العقيدة التي تخاطب الفطرة ولا تتنافر معها ، وتقوده إلى معرفة الخالق البارىء المصور وتفسر له سر ذلك الكون الرهيب وتفتح أمامه أفاق الهدوء والسعادة .

العقيدة : التي تحرك الإنسان في الحياة ليؤدي رسالته فيها ، ويقوم بما استخلفه الله فيه على ساحتها .

العقيدة : التي توصل حياته الدنيا بحياته الأخرى ولا تجعله ذرة تافهة في الحياة لا يدري من أين جاء ، ولا أين المصير .

د - يجد الداعية في القرآن الكريم منهج الحياة المستقرة واسلوبها الأمثل وطريقها الواضح ، منهج الحياة ، الخالي من العقد ومن التهاويل ومن الحقد

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ .

(٢) سورة الانعام الآية ١٦١ .

والحسد والغش وسوء الخلق ، والسليم من الفحش والرذائل والخبائث ، والنقي من الظلم والبغي والعدوان وصدق الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾(١) .

هـ - يجد الداعية في القرآن الكريم أريج الفطرة وبرد الحقيقة . الفطرة في معاملة الناس فالناس سواسية ، خلقوا لغاية واحدة ، وهدف واحد ، يتساوون في الحق الجسدي والنفسي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾(٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾(٣) قد أسبغ الله عليهم فضله بدون تمييز ، وأفاض عليهم كرمه بدون تفريق : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾(٤) .

فلا تكريم لجنس على حساب جنس آخر ، ولا تفضيل للون على سواه ، إلا بالعمل الصالح الذي يوزن به الناس ، وتتفاضل به الافهام والعقول ، وترتفع به الأقدار أو تنخفض .

و- القرآن الكريم يحكي تجارب الأمم ويعطي للداعية خبرة وتجربة من تاريخ السابقين وحوادث الأولين . حتى يكون عنده حصانة ومنعه ، فلا تفجؤه شاردة ، أو خاطرة ، أو مذهب ، أو نحلة شيطانية أو إنسانية .

فينظر إلى أمراض الأمم وعللها ، وكيف تتغير أحوالها حتى تستمرىء الباطل وتهيم بالدنس .

---

(١) سورة النحل الآية ٩٠ .
(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٣) سورة النساء الآية ـ١
(٤) سورة الاسراء الآية ـ ٧٠

ينظر مثلاً إلى قوم لوط ، فيـرى كيف شاعت فيهم البليـة ، حتى استحبوا اتيان الذكور ، وهاموا بالفواحش ، وتخلوا عن الفطرة والكـرامة والـرجولـة حتى قـال لهم الناصـح الأمين ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾(١) .

يـرى كيف تنقلب الفطرة في الشعـوب ، وكيف يكون الادمـان على الشـر الذي يبلغ ذروته وهياجة فلا يطيق الـطهر ولا يحب أن يتعـايش معه حـين يصيح بلسان الأمر الناهي المتوعد ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾(٢) وطبيعي لا ينتهي لـوط فتكـون النتيجـة أن تسمـع الهتـاف الغـاضب ، والقـرار الحـانق ، ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾(٣) ، ينظر الـداعية الى قـوم شعيب الذين استمرؤوا السرقة والغش التجاري والفساد الإقتصادي ، فدعـاهم شعيب عليه السلام إلى الإستقامة والاعتدال والشرف : فقال ﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾(٤) دعوة لا يستطيع عاقل أن يسفهها أو يجد فيهاما يضر أو يسيء ، فماذا كان الجواب ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾(٥) تسمع الإخراج ، الإخراج ، وكأن الأرض أصبح بينها وبين الطهر تنافر وبينها وبين الفضيلة عداء وقطيعة وثـارات لا تهدأ ، ولا تخبو إلا بأبعاد الحق وتشريد الداعين إليه .

---

(١) الشعراء ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٢) سورة الشعراء الآية ـ ١٦٦

(٣) النمل ـ ٥٦ .

(٤) سورة الشعراء الآية ١٨٠ ـ ١٨٣

(٥) سورة الاعراف ـ ٨٨

ز - يرى الداعية القرآن الكريم يحكى جهاد الرسل والانبياء والدعاة مع أقوامهم يحكى صبرهم ودأبهم وحرصهم على تبليغ دعوة الله ، ليلاً ونهاراً ، صباحاً ومساءً . أماداً طويلة وأوقاتاً كثيرة .

فمثلاً ينظر إلى نوح عليه السلام ، الذي دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً لا يكل ولا يمل ، في كل وقت ، وكل حين ، وكل حال ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾(١)

فماذا كان بعد هذه الأماد البعيدة وهذا الصبر الطويل وهذا الحرص الدؤوب ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾(٢) ويظل الداعية يتلقى دروس الصبر والحرص والاحتساب حتى تقوى عزيمته ويصلب عوده ويشتد ساعده .

ينظر الداعية إلى القرآن يحكى ثبات الرسل في مواجهة الباطل فمثلاً يتكلم عن ثبات ابراهيم عليه السلام في مواجهة الكفر والبغي في مواجهة الآلهة المزيفة سواء كانت تلك الآلهة من البشر أو من النجوم والكواكب أو من الأصنام والأحجار ، نشهد منظراً من تلك الحوادث التي حكاها القرآن الكريم عن ابراهيم الخليل عليه السلام ننظر إليه في وسط الجموع الهائجة الغاضبة على الهداية ، المعبأة ضد الداعية المتهم بالجناية على معبوداتهم والتعدي على آلهتهم ، وأمام النار الملتهبة التي يملأ سعيرها الآفاق ويشعل الساحات إنتظاراً لساعة

(١) سورة نوح الآية ٥ ـ ٩
(٢) سورة نوح ـ ٢٣

الهلاك المرتقبة لهذا الداعية الآثم وهـذا الجاني العنيـد ، تقام المحـاكمات الهـزيلة الـظالمة الشـرود في وسط الأحكام المسبقـة والإدانات المعـدة والنهايـات المعروفـة ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(1) فماذا كانت النتيجة ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾(2) .

هذا درس من دروس الثبات ، يلقن الداعية ، ويوحي في روعه أنه ما دام مع الله فإن الله ناصره ومؤيده ، كما يلقي في نفسه وقلبه إن الباطل وإن كـثر جنده وارتفع سلطانه فهو مهزوم أمام الحق الصامد والعزيمة القوية والعقيدة المتمكنـة ، وهكذا يظل القرآن يعطي للداعية ويمنحه ويتفـاعل معـه بقدر اتصـاله بـه وأخذه عنه وبقدر معايشته والامتثال لتعاليمه وصدق الله ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾(3) .

وقد كان من رحمة الله بنا ومنه علينا أن أعطانا تجارب السابقين من الرسـل والدعاة والصالحين فقال سبحانه ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(4) ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١١١﴾(5) .

---

١ - الانبياء ٥٩ - ٦٨

٢ - الانبياء - ٦٨

٣ - العنكبوت - ٦٩

٤ - هود ١٢٠

٥ - يوسف - ١١١

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾[1]

لتكون الأمة الداعية على بصيرة وهداية ورشد ، فكأن المؤمن عاش تلك الآماد وعاصر تلك الدهور وصاحب تلك الحوادث ، ونظر إلى ما فيها من دروس وعبر ، نظر إلى الأيام تعمل عملها في ساحة الحق والباطل وفي ميدان العدل والبغي ، وصدق الله ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾[2] .

يرى المؤمن نتائج تلك المعارك المحتدمة التي عاصرت تلك الخليقة ويعرف أسباب النصر والهزيمة ويلحظ دروب السعادة والشقاء ، فيكون على بصيرة من أمره ، ودراية بدعوته ، وذكر بما يؤول إليه حال الظالمين بعد صراعهم مع الحق ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾[3] .

وليكون المؤمن على معرفة وذكر بعاقبه المتقين وسبيل الراشدين الذين هدى الله خطوهم وحقق أملهم وشكر سعيهم وأثلج صدورهم حتى تنطق السنتهم بالحمد والشكر لله سبحانه معترفين بالفضل مقرين بالنعمة والاحسان قائلين «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إنا ربنا لغفور شكور» .

ويظل الداعية يغترف ويتزود وينهل من فيض الكتاب العزيز والذكر الحكيم حتى يكون ربانياً قرآنياً عند أمر ربه وتعاليم خالقه،وصدق الله : ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ . آل عمران ـ ٧٩

---

١ ـ طه ٩٩

٢ ـ الرعد ١٧

٣ ـ ابراهيم ١٣ ـ ١٤

السنة النبوية

أول من قام بهذا الأمر ودعا إلى الله على بصيره في الاسلام، هو سيد المرسلين وإمام المتقين محمد ﷺ، خاتم النبيين، وأمين الله على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده.

أعد اعداداً كريماً لحمل الأمانة، وتبليغ الرسالة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾[2].

ـ فانطلق يدعو إلى الله محتسباً صابراً مجتهداً يردد قول ربه وتعاليم خالقه، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣ ﴾[3].

﴿قل مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦ ﴾[4].

ـ يدعو الناس كلهم غنيهم وفقيرهم، سيدهم وعبيدهم، رجالهم ونساءهم صابراً خاضع الجناح ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[5].

ـ لا يأبه بسخرية ساخر ولا لهزء هازىء ولا لاعتراض حاقد،

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ

---

(١) المزمل.

(٢) المدثر.

(٣) الانعام ـ ١٦٢.

(٤) ص ـ ٨٦.

(٥) الكهف ـ ٢٨.

﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾[1] .

- لا يغريه مال أو منصب أو جاه عن دعوته، ولا تلفته دنيا أو متاع عن رسالته وقد عرضوا عليه ذلك فركله باباء وشمم: فقالوا: «إن كنت تريد بما جئت به مالا جمعنا لك الأموال حتى تصير أغنانا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا».

- لا يقعده ولا يفت في عضده تعذيب أو تجويع أو مصادره أو تخويف ووعيد فقد منعوا عنه الطعام هو وعشيرته حتى أكلوا ورق الشجر، وخوفوه هو وعشيرته فأعلن شعاره وقال قولته المدوية والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

نالوا منه ومن صحابته فكان الصابر المحتسب الشامخ الواثق بنصر الله له وهو القائل لرجاله وجنده « قد كان من كان قبلكن ليمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضح المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف الا الله عز وجل والذئب على غنمه » رواه البخاري .

- يختار لأصحابه ولدعوته ويربي على خطة ومنهج . تمثلت في سيرته ﷺ: في دعوته سراً، ثم في دعوته الاقربين، ثم في الجهر بالدعوة، ثم الهجرة إلى الحبشة، ثم بارسال الدعاة إلى يثرب «المدينة» ثم بالبيعة في العقبة، ثم بالهجرة، ثم بإقامة الدولة، ثم بتنفيذ الشريعة والحكم، ثم بالجهاد، ثم بالمعاهدات، ثم

---

(١) الفرقان ٤١ - ٤٣.

بارسال الرسل في الآفاق، كل ذلك يتم حسب خطوات محسوبة ومنظمة وهو رسول الله ﷺ الذي يوحي إليه.

كل هذه الخطوات يجب أن تدرس لتكون مثلاً للدعوة والدعاة وخطة للعمل في مجال الدعوة الاسلامية.

ـ لهذا يجب أن يسير الداعية على سنن رسول الله ﷺ وهو مأمور بذلك شرعاً من ربه، وصدق الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾(1) ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(2) ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾(3) ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾(4).

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(1).
كما يجب أن ينهج الداعية نهجه ﷺ «لأنه عليه السلام المنهج العملي والتفسير الحي لدعوة الله ولتعاليمه سبحانه وتعالى».

سيرة السلف الصالح.

السلف الصالح: هم عصابة الايمان، وجند الرحمن، وحزب الله، وعسكر القرآن، أصحاب رسول الله ومن تبعهم باحسان، الين الأمة قلوباً، واعمقها علماً، وأقلها تكلفاً واحسنها بياناً، واصدقها إيماناً، اخلصها نصيحة

---

(1) الاحزب ـ ٢١.
(٢) النور ـ ٦٣.
(٣) الشورى ـ ٥٢.
(٤) النور ـ ٥١.
(٥) آل عمران ـ ٣١.

وأقربها إلى الله وسيلة، علم الله ما في قلوبهم فهدى بهم واثابهم فتحاً قريباً فقال سبحانه ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١).

باعوا أرواحهم وأموالهم لله سبحانه، فاشتراها الله منهم بجنة عرضها السموات والأرض وبشرهم وجعلهم من الفائزين: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» ثم قال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾(٢).

بلغوا من الرجولة والاقدام مبلغاً أشاد به القرآن، ومن الوفاء مكاناً سجله الذكر الحكيم، فقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾(٣) ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾(٤).

بلغوا من الحب في الله مكاناً ومن الايثار منزلة نفر منها حقد القلوب وإنزاح عنها شح النفوس، حتى قال القرآن مشيداً بهم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾(٥)

---

(١) الفتح ١٨.
(٢) ـ التوبة ـ ١١١.
(٣) الاحزاب
(٤) الشورى ـ ٢٦ ـ ٢٩.
(٥) الحشر ٩ ـ ١٠.

بنوا بالايمان دولة وشيدوا على الحب صرح وأقاموا على الطهر خير أمة، وصدق الله : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]. أمة بعضها من بعض عقيدتهم هي ملاك أمرهم وشريعة ربهم هي غايتهم ودستورهم.

ورسول الله هو زعيمهم وقائدهم وإمامهم، الصالحون فيها على امتداد الأزمان كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[2].

هم نماذج الدعوة وحملتها على مر العصور وهم الهداة المهتدون، وهم مشاعلها وشموسها وروادها، والقدوة الحسنة والمثل المحتذي لشباب الأمة ودعاتها وعلمائها.

دعوا إلى الله على بصيرة وفهم وصبر واحتساب.

أمثلة

دعوة مصعب بن عمير إلى الله.

ذهب مصعب بن عمير إلى المدينة داعياً إلى الله تعالى فنزل عند اسعد بن زرارة، فخرج به اسعد يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر وكان سعد ابن معاذ ابن خالة أسعد ابن زرارة، فدخل به حائط من حوائط بني ظفر على بئر يقال له بئر مرق. فجلس في الحائط واجتمع إليه ممن أسلم يفقههم في دينهم ـ وسعد بن معاذ واسيد بن حضير يومئذ سيداً قومهما من بني عبد

(١) آل عمران ـ ١١٠
(٢) التوبة ـ ١٠٠.

الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه . فلما سمعا بـه ، قال سعـد لأسيد : لا أبالك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانهرهما وانههما أن يـأتيا دارينـا فإنـه لولا أسعـد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك . هو ابن خالتي . ولا أجد عليه مقدماً . قـال : فأخـذ أسيد ابن حضير حربته ثم أقبل إليهـما . فلما رآه أسعد بن زرارة قـال لمصعب هذا سيـد قومه ، قد جاءك ، فـاصدق الله فيـه . قال مصعب : أن يجلس ألكمـه قال : فوقف عليهما متشتما فقال : مـا جاء بكـما إلينا تسفهـا ضعفاءنـا ؟ اعتزلانـا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة .

فقال مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلتـه، وإن كرهتـه كف عنك ما تكره. قال: انصفت، قال: ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن. فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهـه الاسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله. ثم قال: مـا أحسن هذا وأجمله كيف تصنعـون إذ اردتم أن تـدخلوا في هذا الـدين؟ قالا لـه: تغتسل فتطّهر وتـطهر ثـوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي. فقام فاغتسل وطهـر ثوبيـه وتشهد شهـادة الحق ثم قام فركع ركعتين، ثم قـال لهما: إن ورائي رجـلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنـه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن. سعد بن معاذ.

دعوة مصعب لسعد بن معاذ:

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومـه وهم جلوس في ناديهم، فلما نـظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً، قال: احلف بالله لقد جاءكم اسيـد بغير الـوجه الـذي ذهب من عندكم.

فلما وقف على النّادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حـدثت أن بني حارثـة

خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك.

قال: فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً مخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما أراك اغنيت شيئاً.

ثم خرج إليهما سعد فلما رآهما مطمئنين عرف أن اسيدا إنما أراد أن يسمع منهما. فوقف متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، اتغشانا في دارنا بما نكره؟ قال: وقد قال أسعد لمصعب: أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه أن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. قال فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره.

قال سعد: انصفت. ثم ركز حربته وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ القرآن عليه قيل قرأ عليه أول سورة الزخرف. قالا: فعرفنا والله الاسلام في وجهه قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال: كيف تصنعون إذا أنتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهّر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلّي ركعتين. قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير. فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف عليهم، قال: يا بني عبد الأشهل: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا سيدنا وافضلنا رأياً وإيمننا نقيبة. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة. ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعوا النّاس إلى الإسلام، حتى لم يبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون.[1]

(١) انظر في ذلك سيرة ابن كثير ٢/١٨١ تحقيق مصطفى عبد الواحد ط الحلبي

رجل فرد استطاع بمنطقه وحكمته وصدقه أن يدخل الناس في دين الله أفواجاً بالدعوة الفردية، لا يجبر أحداً ولا يعادي أحداً ولا يسب أحداً.

ـ أم سليم وزوجها ـ

وهذه امرأة اخرى نراها كيف تدخل زوجها في الاسلام وكيف تجعل مهرها ثمناً لهدايته هذه «ام سليم».

أخرج أحمد عن أنسى رضي الله عنه: إن أبا طلحة رضي الله عنه خطب أم سليم رضي الله عنها ـ يعني قبل أن يسلم ـ فقالت: يا ابا طلحة: الست تعلم أن الهك الذي تعبد نبت من الأرض؟ قال: بلى ! قالت: افلا تستحي تعبد شجري؟ إن اسلمت فإني لا أريد منك صداقاً غيره. قال: حتى انظر في أمري. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا اله إلا الله وإن محمداً رسول الله فقالت: لابنها أنس: يا أنس: زوج أبا طلحة، فزوجها.(٢).

ننظر إلى تلك المرأة المسلمة المجاهدة وإلى مطلبها وإلى حجتها مع من جاء يخطبها وكيف أوقفته على حقيقة أمره وارادت أن تجعل مهرها جائزة له على إيمانه واسلامه. فهو أفضل عندها من الدنيا وما فيها.

عروة بن مسعود

وننظر إلى مثل أخر يذكرنا بصاحب ياسين. الداعية عروة بن مسعود.

لما أنشأ الناس الحج سنة تسع وخرج رسول الله ﷺ للحج، قدم عروة ابن مسعود رضي الله عنه على رسول الله ﷺ مسلماً من ثقيف. فاستأذن رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه فقال رسول الله ﷺ «إني أخاف أن يقتلوك» قال: لو وجدوني نائماً ما ايقظوني. فاذن له رسول الله ﷺ. فرجع إلى قومه مسلماً فرجع عشاء فجاء ثقيف يحيونه فدعاهم إلى الاسلام فاتهموه واغضبوه وأذوه ونالوا منه فحلم عليهم، وخرجوا من عنده فجعلوا ياتمرون به، وطلع الفجر فأوفى على غرفة له فأذن الصبح بالصلاة، فخرجت إليه ثقيف من كل ناحية، فرماه رجل

من بني مـالك يقـال له أوس بن عـوف فـاصـاحب اكحله ولم يـرق دمـه فقـامت عشيرته فلبسوا السلاح وقـالوا نمـوت عن آخرنـا أو نثأر بـه عشرة من رؤسـاء بني مـالك فلما رأى عـروة بن مسعود مـا يصنعون قـال: لا تقتتلوا في. قـد تصـدقت بدمي على صـاحبه لأصلح بـذلك بينكم، فهي كـرامة أكـرمني الله بها، وشهـادة ساقها الله إلى، واشهـد أن محمد رسـول الله، لقد اخبـرني بهذا أنكم تقتلونني ثم دعا رهطه فقال: إذا مت فادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم. فمات فدفنوه معهم. وبلغ النبي ﷺمقتله. فقال: «مثـل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه»[1].

أرأيت كيف أثر الله سبحانه وأثر دعوته عـلى حب قومـه وعلى رآستـه فيهم ومكـانته عنـدهم، ثم كيف قام بـدعوتـه يؤدي شعائـرها ويقيم أركـانها وحده لا يلوي على شيء يجأر بالاذان ويرفع صوته ليعلو على هام الشرك ويـرتفع اسم الله ورسوله على أضاليل الشيطان، ثم يخر شهيداً في سبيل عقيدته ويأتيـه من يثأر لـه ويقتل به عشرة من قاتليه، ولكنه يؤثـر أن يكون أجـره على الله وأن يكـون فاتحـة خير على قومه لا فاتحة شر وثأر، وقد أراد أن يكون صاحب يد على قومه في حياته وبعد مماتـه، وأن يريهم ثمـرة الايمان عمليـاً، ويضع أقـدامهم على أول الـطريق الصحيح عسى الله أن يزيح عنهم كابوس الشرك والضلال.

عطاء بن ابي رباح وعبد الملك بن مروان:

عن الاصمعي قال: دخل عـطاء بن رباح عـلى عبد الملك بن مـروان وهو جالس على سـريره وحـوله الاشـراف من كل بـطن وذلك بمكـة في وقت حجه في خلافته ـ فلما بصر به قام إليه واجلسه معه على سريره وقعد بين يديه وقال: لـه يا

(١) أخرجه الحاكم ٣/٦١٦ واسناده حسن.

أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: يـا أمير المؤمنـين اتق الله في حرم الله وحـرم رسولـه فتعاهده بـالعمارة، واتق الله في اولاد المهـاجرين والانصـار، فإنـك بهم جلست هـذا المجلس، واتق الله في أهـل الثغـور فـإنهم حصن المسلمـين وتفقـد امــور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بـابك فـلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم.

فقـال له: افعـل، ثم نهض وقام. فقبض عليـه عبـد الملك ـ يستـوقفـه ـ فقال: يا أبـا محمد، إنمـا سألتنـا حاجـة لغيرك، وقد قضيناهـا مما حـاجتك أنت؟ فقـال: ما لي إلى مخلوق حـاجة. ثم خـرج، فقال عبـد الملك: هذا وابيـك الشرف»[1].

إن دراسة الداعية لسيرة السلف الصالح تعـطيه زاداً لا ينفـذ من الرجـولة والاحتسـاب وحسن التصـرف وتصله بمدرسـة حفظت لـلانسانيـة تـراث النصـح والرجولة والاستقامة وما زالت هذه السيرة تقوم بعملها وتسـري روحها في الأمـة تبعث من تحت الهشيم وتثير من خلف الآكام رجالاً تحمل المجـد، وترفـع الرايـة لتجعل كلمة الله هي العليا.

إستنباط الفقهاء.

علماء الأمة: هم حملة كتاب الله، وحفظة حديث رسـول الله ﷺ، يقول عنهم الإمام أحمد بن حنبـل رضوان الله عليـه،: الحمد لله الـذي جعل في كـل زمـان فترة من الـرسل، بقـايا من أهـل العلم، يدعـون من ضل إلى الهـدى، ويصبـرون منهم على الأذى، يحيـون بكتاب الله تعـالى الموتى ويبصـرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإ بليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هـدوه،

(1) الاحياء ـ ٢/٣٤٥.

فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتب الله تحريف الغالين ، وإنتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على كتاب الله وعلى الله وفي الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتنة المضلين[1]

نذروا أنفسهم لخدمة الملة ، وحمل المنهج ، وتوضيح غامضة وتفصيل مجمله بعد أن أحاطوا بعلوم الشريعة وفنوا أعمارهم في تحصيلها والإفادة منها . فأبانوا أحكام الله لعباده وأوقفوهم على حلاله وحرامه .

قال الشافعي فيما رواه الخطيب عنه في كتابه الفقه والمتفقه له.لا يحل لأحد أن يفتى في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله بناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ، وتأويله وتنزيله ، ومكيه ، ومدنيه ، وما أريد به ، ويكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله ﷺ ، وبالناسخ والمنسوخ ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن . ويكون بصيراً باللغة ، بصيراً بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن . ويستعمل هذا مع الأنصاف ، ويكون بعد هذا مشرفاً على إختلاف أهل الأمصار ، وتكون له قريحة بعد ذلك فإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتى في الحلال والحرام ، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتى[2]

لهذا الجهد ولما تحملوه في سبيل دين الله سبحانه وجب على الأمة احترامهم وطاعتهم والأخذ عنهم . قال الإمام ابن القيم رضوان الله عليه :

«فقهاء الإسلام ومن دارت على أقوالهم الفتيا بين الأنام ، الذين خصوا

---

(١) انظر اعلام الموقعين ١/ ٩

(٢) المرجع السابق ١/ ٦٤

بإستنباط الأحكام ، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام : فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء ، بهم يهتدى الحيران في الظلماء ، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ النساء - ٥٩ قال عبد الله ابن عباس في إحدى الوايتين عنه وجابر بن عبدالله الحسن والبصري وأبو العالية وعطاء ابن أبي رباح والضحاك ومجاهد في إحدى الروايتين عنه : أولو الأمر هم العلماء » .(١)

وقد عصم الفقهاء كثيراً من الناس فلم يقعوا في الإثم سواء منهم الجاهل ، أو المتعلم،لأن ضلال الجاهل مهلكه ، وضلال المتعلم متاهه وجرم وقد حرم الله سبحانه وتعالى القول عليه بغير علم ، بل جعله من أعظم المحرمات وفي المرتبة العليا منها . فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ الأعراف - ٣٣ .

رتب المحرمات في الآية :

فرتب المحرمات في الآية السابقة أربع مراتب : بدأ بأسهلها وهو الفواحش ثم ثنى بما هو أشد تحريماً منه وهو الإثم والظلم ، ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً وهو الشرك به سبحانه ، ثم ربع بما هو أشد تحريماً من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم ولا فهم ولا بينه ، . قال تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ

١ - المرجع السابق ١/ ٩

لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ (النحل ١١٦) وهـذا بيان من الله سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهـذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه .

ضلال الناس بفقد العلماء

في صحيح البخاري من حديث أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال: خرج علينـا عبد الله بن عمـرو ابن العـاص فسمعتـه يقـول : سمعت رسـول الله ﷺ يقول : «أن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه إنتزاعاً ، ولكن ينزعـه مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهالاً يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون»

وقـال وكيع : حـدثنا هشـام بن عروة عن أبيـه عن عبد الله بن عمـرو بن العـاص قال: قـال رسـول الله ﷺ: «لا ينزع الله العلم من صـدور الـرجـال، ولكن ينـزع العلم بموت العلماء ، فـإذا لم يبق عالمـاً إتخذ النـاس رؤوسـاء جهـالاً فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا»

وفي الصحيحين من حديث عـروة بن الزبـير قال : قـالت عائشـة : يا بن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو ، مار بنا إلى الحج فالقـه فاسـألـه فـإنه قـد حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً ، قال ، فلقيته فسألته عن أشياء يذكرهـا عن رسول الله ﷺ ، قـال عروة : فكـان فيما ذكـر أن النبي ﷺ قـال «أن الله لا ينـزع العلم من الناس إنتزاعاً ولكن يقبض العلماء فيرفـع العلم معهم ، ويبقى في الناس رؤوس جهال ، يفتونهم بغير علم ، فيضلون ويضلون»[1]

ولهذا لزم أن يأخذ الداعية عن العلماء بالدليـل فإنهم هم الـذين وضحوا

---

(١) روى هـذا الحـديث وغيـره بـروايـات مختلفـة كتب الحـديث الصحـاح مثـل البخـاري ومسلم والترمذي ، جامع الاصول ٨/ ٣٤ .

الحلال والحرام واستنبطوا الأحكام الشرعية التي يجب على الداعية أن يبصر الناس بها وأن يرشدهم إليها وأن يأمر من خلالها بالمعروف وينهى عن المنكر حسب شرع الله سبحانه وتعالى . هذا إذا لم يكن من أهل النظر في الأدلة ولم تكن عنده القدرة على الفتيا بشروطها السابقة .

تجارب الداعية

١ - يسير الداعية في الحياة بعقل ناضج وفكر نابه يقيس الأشياء ويعرف مداخل الأمور ومخارجها يحسب خطوة ويراقب لفظة ويدرك طريقه فإذا زلت قدمه أو عثر لسانه أو إعوج دربه فليسارع إلى الصواب وليرجع إلى الجادة ، ولا يترك خطأه بدون دراسة أو تمحيص أو مناقشة ، للاستفادة والرشاد فلا تأخذه العزة بالاثم ، ولا يقعده اللوم عن الاعتراف والرجوع إلى الحق وحسبه إن أخطأ فله أجر ، وإن أصاب فله أجران .

٢ - الداعية طبيب النفوس ومداوي الأرواح ، والطبيب قد يعرف دواء المرض فيصفه وقد لا يعرفه فيجتهد بذكائه وحنكته في التعرف عليه واكتشافه .

والطبيب يعرف قبل غيره أن تمريض المريض وملاحظته نصف العلاج ومعظم الشفاء فملاحظة الداعية لرواده ومعرفة أحوالهم وظروفهم . خير معوان له على إصلاح أمرهم وشفاء سقمهم .

٣ - الداعية خبير رجال ، وعالم نفوس ، له فراسة ثاقبة ، وملاحظة كاشفة ، فمن الناس من يكون ذهبي المعدن ، ومنهم نحاسية ، ومنهم رصاصية ومنهم طينية وسفلية «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا»

ومعرفة تلك المعادن يسهل على الداعية أموراً كثيراً ، فلا يثق في غير ذي ثقة ولا يأتمن غير أمين ، ولا يولي خائن أو ينصب جبان ، ولا يركن إلى منافق ولا يسمع لكذوب ، ولا يوالي فاسق أو يصادق لعوب .

٤ ـ الداعية يستفيد من تجاربه في الحياة مع الحوادث والنكابات والنوائب كا يستفيد من تجارب غيره وخيرة سواه ، يفتح عينيه وقلبه على التاريخ والأيام ويقرأ صفحات الزمان فكم فيها من عبر ، ومن مواعظ ، ومن زواجر ، فالتجربة والحوادث خير معلم للانسان لا سيما من يعمل مع الناس في مجال الدعوة . فكم من أذكياء استفادوا وفتحوا أعينهم وأفهامهم ففازوا ونجحوا وانتصروا . وكم من أغبياء صموا آذانهم واغلقوا بصائرهم فهلكوا وفشلوا . وصدق الله ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴾(محمد ـ ١٠) .

وخلاصة القول : الداعية حق بصير ، وصواب مرن ، وإخلاص مجرب ، وعالم فاقه ، وعقل مضيء ، لايلدغ من جحر مرتين « يراعي مقتضى الحال ويقرأ الحوادث ويعي صحائف الأيام والليالي ليقود دعوته ، وينجي سفينته وصدق الله ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ يوسف ـ ١٠٨

الفَصْل الرابع

أهداف الدعوة

جاءت رسالة الإسلام إلى الحياة لتطهرها وتضيئها بأنوار الوحي وأشعة التعاليم .

جاءت تدعو إلى منهج ونظام يخالف غيره من المناهج والنظم الوضعية والفلسفات النظرية ، منهج علمي لم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات في النفوس أو شعارات على الألسن ، أو أهداف في الصحائف أو أراء في الكتب ، وإنما وضع لها مظاهر عملية وخطوات تنفيذية ألزم الأمة ، والمجتمع الذي يدين بها مراعاتها والسير على هداها وإبرازها في صورتها التطبيقية ، حتى يكون المسلم نموذجاً حياً لتلك التعاليم وهذه المبادىء يعلم أنه محاسب عليها ، يثاب إذا أجاد ويعاقب إذا قصر .

جاءت رسالة الاسلام إلى الأمة فعايشتها بمنهج ، جمع الله لها فيه أصول الإصلاح الإجتماعي الكامل ، وبرسالة تفضل الله فيها بتبيان كل شيء وصدق الله ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1] ويكاد تنحصر أهداف الدعوة في سيادة هذا المنهاج وفي الدعوة إليه وإخراجه إلى عالم الواقع وإقراره في الأرض وقيادة البشرية به ، حتى تنعم بالاستقرار والسعادة ويكاد تنحصر خطواته في هذه الأصول التي يجب العمل على تحقيقها :

أ ـ الربانية : وهي أن يتعرف الناس إلى ربهم وأن يستمدوا من فيضه روحانية كريمة ، تسمو بنفوسهم وأرواحهم عن جمود المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وصفائها ، وتعلو بأفعالهم وأعمالهم عن حمئة الشهوات

---

(١) الانعام ـ ٣٨

وإنتكاسة الأهواء وطاعة الشياطين ، وصدق الله ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (٢).

ب ـ تكريم النفس الإنسانية والتسامي بها : فقد كرمها الله سبحانه وتعالى فقال : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٣) فلا استعباد ولا قهر ولا ظلم ولا بغى (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) فالنفس الإنسانية لها حرمتها وعزتها في هذه الحياة لا يهدرها إلا فاجر أو يضيعها إلا فاسق (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» مسلم

جـ ـ تقرير عقيدة الجزاء ، وإن الناس مبعوثون ليوم عظيم «يوم يقوم الناس لرب العالمين» كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النا وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» (آل عمران ـ ١٨٥)

ليعلم كل إنسان أن له حياة أخرى يجب أن يعمل لها وأن يدخر لإستقبالها ولا يعمل لها إلا العمل الصالح ، فيجب أن يبادر بالعمل وأن يتقن الفعل عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «بادروا بالاعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال ،فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر» رواه الترمذي حسن صحيح .

(٢) آل عمران ـ ٧٩
(٣) الاسراء ـ ٧٠

د - إعلان الإخوة والمساواة بين الناس : فلا تفاضل بالاجناس ولا بالأحساب والأنساب ولا بالألوان ، وإنما التفاضل بالأعمال الصالحة والنفع العام والجهد المشكور والفعل الحسن ، والقلب التقي ،«يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل « لتعارفوا» التأكيد على الأخوة الايمانية والرباط الرباني ومراعاة حق كل مسلم على أخيه حتى تدوم المحبة والمودة بين المسلمين(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) متفق عليه أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : تحجزه - أو تمنعه - من الظلم فإن ذلك نصره) البخاري .

هـ - النهوض بالرجل والمرأة جميعاً ، بالعلم الذي يسلح الفضائل ويرفع الهمة ويزكى النفس ويبعد الجهل ويكفل للأمة تقدمها في مجال الحياة وفي ميادينها المختلفة حتى لا تنهزم في أي ميدان صناعياً أو حربياً أو عقلياً وتحديد مهمة الرجل والمرأة في نهضة الأمة تحديداً دقيقاً حسب تعاليم الإسلام الحنيف وإعطاء كل ذي حق حقه ، حتى لا تتسرب الفتن وتتخلل المذاهب الهادمة فتنخر في عظام الأمة وتفرق بين المرء وزوجه .

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة - ١١﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الزمر - ٩) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة» مسلم .

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

و - تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية

والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب الحلال ، فالمجتمعات المستقرة أرسخ فعلاً وأقوم عملاً وأكثر إنتاجاً وأهنأ نفساً وأقدر على حماية نفسها من المجتمعات التي تهدر حقوقها وتراق كرامتها وتفقد الأمن والامان . ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(الانعام ـ ٨٢) .

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما قال : رأى سعد أن له فضلاً على من دونه فقال النبي ﷺ «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » البخاري.وعن أبي الدرداء عويمر رضى الله عنه قال سمعت رسول ﷺ يقول «أبغوني الضعفاء ، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم» ابو داود . باسناد جيد .

ز ـ ضبط الغريزتين غريزة حفظ النفس ، وحفظ النوع وتنظيم مطالب الفم والفرج فمطالب الفم تتلخص : في الكفاية من الحلال ، لكل من لا يستطيعها أو لكل من لا يجد وهذا من سمات المجتمع المسلم : عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«ما مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ، وأقرؤوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»** الاحزاب ـ ٦ .

«فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتيني فأنا مولاه «وفي رواية» والذي نفس محمد بيده ؛ إن ما على الأرض من مؤمن إلا أنا أولى الناس به ، فأيكم ترك ديناً أو ضياعاً فأنا مولاه ، وأيكم ترك مالاً فإلى العصبة من كان» رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وقال تعالى ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩﴾(١) قال ﷺ «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» رواه ابو داود .

وفي رواية لمسلم «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته» رواه مسلم

---

(١) الذاريات ـ ١٩

ح ـ عدم الاسراف في الحلال إسرافاً يؤدي إلى الترف وإضاعة المال بغير حق ، حيث أن الترف مهلكة ومضيعة للعزيمة ، ومدعاة إلى الفسق والفجور والفساد ، وصدق الله ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾(٢) كما أنه يوصل إلى الترهل الفكري والعقلي ويؤدي إلى غمط الحق والتخلف عن جلائل الامور ومعاليها وصدق الله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾(سبأ ـ ٣٤) .

أما إضاعة المال في غير صله ، أو في غير ما يجب أن ينفق فيه . فإنه ضياع لثروة الأمة ولجهدها وقواها، قواها الإقتصادي والإجتماعي والعسكري - ضياع لوقتها وحياتها وعزتها وكرمتها وسعادتها ولهذا كان الإرشاد القرآني الكريم يدعو إلى التوسط في الأمور فيقول : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾(الاسراء ـ ٢٩) .

ويدعو إلى المحافظة عليه ويحذر من إهلاكه أو تبديده قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾(الاسراء ـ ٢٧) .

ط ـ حسن المعاملة وكمال التخلق بالأخلاق الفاضلة ، والأمر بالمعروف وبذل النصيحة والنهي عن المنكر ومقاطعة مواطنه وفاعليه .

فأما حسن المعاملة ، فقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فصلت ـ ٣٠) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(الأحقاف ـ ١٣) .

---

(٢) الاسراء ـ ١٦

قال ﷺ «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» متفق عليه .

وأما كمال التخلق فلأن الإسلام هو دين الخلق والكمال والفضيلة والمثل والطهر . والمجتمعات الخالية من الخلق خالية من السعادة والحياة المطمئنة ، وهي باختصار تعيش عيشة غير إنسانية قال تعالى : ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران - ١٣٤) .

وقال ﷺ «البر حسن الخلق» رواه مسلم . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال : تقوى الله وحسن الخلق ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : الفم والفرج الترمذي - صحيح .

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو واجب كل مسلم وواجب الدولة المسلمة لأن هذه الأمة أمة دعوة وأمة رسالة ، وقد سبقت الشواهد الكثيرة في هذا المجال .

ى - اعتبار الدولة ممثلة لفكرة الإسلام وقائمة على منهجه حماية له ودعوة إليه ، وتوضيحاً لمبادئه وتبيانا لجماله ، والمجتمع مع الدولة مسؤولان عن تحقيق أهدافه في المجتمع الإسلامي وإقامة شعائره ، كما أنهما مسؤولان كذلك عن إبلاغه للناس جميعاً وقد أوضحنا ذلك في ص ٤٦ فارجع إليه .

ك - إلزام الأمة بالجهاد في سبيل مبادىء الحق التي جاء بها هذا النظام . وحماية كل مسلم في أرجاء الأرض يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لقوله تعالى ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1] وقوله تعالى :﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ

(١) الحج - ٧٨

ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ ﴾ التوبة - ٣٨

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ التوبة - ٤١

والآيات في طلب الجهاد كثيرة في كتاب الله : تأمر بالاستعداد مثل قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ الانفال - ٦٠ وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ التوبة - ٤٦ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(التوبة - ١١١

وقال ﷺ «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها متفق عليه ، قال ﷺ : «عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله» رواه الترمذي بإسنادحسن .

قال ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » أحمد وأبو داود والنسائي باسناد صحيح .

وأما إغاثة المسلم فواجبه لقوله عليه السلام : من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة مسلم والترمذي وابو داود .

ولحديث رسول الله ﷺ «من أذل عنده مؤمن فلم ينصره ، وهو قادر على أن ينصره أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة» أخرجه أحمد . وهو حسن . ولقوله ﷺ «إن الله يحب إغاثة الملهوف» وقوله عليه الصلاة والسلام «لا تنزع الرحمة إلا من شقى» أحمد والترمذي وابو داود والحكم . وهو حسن صحيح .

لهذا يجب أن يشعر الداعية أن دعوته جاءت بمنهج مرسوم واجب التنفيذ والتبليغ واضح الهدف مرسوم الخطة ، لا يؤخذ منه جزءا ويترك الباقي ولا يجدي معه الترقيع وإنما تجدي معه المراحل التي توصل إلى الهدف والغاية ليكون الدين كله لله ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والله عزيز حكيم «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز» .

الباب الثالث

أساليب الدعوة

ويشتمل على :

الفصل الأول : تعميق العقيدة والاستفادة من عطائها

الفصل الثاني : إزالة الشبهات

الفصل الثالث : الترغيب والترهيب

الفصل الرابع : التربية والتعليم

الفصل الأول

تعميق العقيدة والاستفادة من عطائها

مقدمـة :

للداعية المسلم أساليب وخطط يتبعها في دعوته الى الله سبحانه وتعالى وإلى منهجه المستقيم .

منها :

التركيز على معاني العقيدة في النفوس ، حيث إن الانسان في هذه الحياة يقوده اعتقاده واقتناعه فالانسان كما هو معروف يقاد من داخله ، وإذا نبض هذا الداخل واستضاء بالعقيدة الحقة ، داخلت نفسه بشاشة الايمان وسرت فيه روح الحياة وتحركت طاقاته ، وانطلقت محلقة بوقود إلهي رباني يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ثم يقصد الداعية إلى إزالة الشبهات التي يثيرها أهل الباطل حول الداعية ودعوته حتى لا يحجب غبن الباطل أنوار الحق الزاهية البراقة الصافية .

ثم يستعمل الداعية لغة الترغيب والترهيب حسب الحال والمقام فمن النفوس من يقودها الترغيب الي الخير ، ومنها ما لا يصدعها إلا الترهيب والخوف .

ويكون من أساليبه كذلك التربية والتعليم : فالقلوب أوعية والعقول مرابع لما يلقى فيها فإذا استقر فيه الخير أعطت ثمارها الطيبة وإذا تركت للشياطين أقفرت وأجدبت وأخرجت الحنظل والزقوم وصدق رسول الله : «كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» .

وسنعرض لتلك الأساليب بشيء من الايضاح .

التركيز على معاني العقيدة

الداعية من مهمته وصل القلوب بالله، وتعريف الناس على ربهم واحياء خشيته في قلوبهم فهو الخالق المعبود بحق المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل نقص : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ - الحشر - ٢٢ - ٢٤ بيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1] وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا إبتغاء وجه ربه الأعلى[2] ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[3] فهو رب العالمين القائم على شؤون خلقه المتكفل بما يصلحهم ، وهو كاشف الضر عنهم ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾[4] وهو مجيب المضطر وكاشف السوء ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[5] سبحانه أحق من ذكر ، وأكرم من عبد وأنصر من إبتغي ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ، وأوسع من أعطى ، القلوب له مفضية والسر عنده علانية . سبحانك ، الحلال ما أحللت ، والحرام ما حرمت ، والدين ما شرعت ، الخلق خلقك ، والعباد عبادك ، وأنت الرؤوف

---

(١) ابراهيم - ٣٤ .
(٢) الليل - ١٩ .
(٣) لقمان - ٢٠ .
(٤) الانعام - ١٧ .
(٥) النمل - ٦٢ .

الرحيم ، أنت الملك لا شريك لك ، كل شيء هالك إلا وجهك ، أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ ، حي قيوم ، بديع السموات والأرض لا إله إلا أنت ، يا الهي : متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الأثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك ، وخسرت نفس لا تداخلها أنوارك ، نعوذ بك من مقام الكافرين واعراض الغافلين ونعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء ، وهكذا يكون المسلم وتكون عقيدته روح حية تسري في أوصاله ، وتضيء في قلبه لأنه بربه كل شيء وبدونه لا شيء ، عقيدته ملاك أمره ، ونور طريقه وأساس منهجه ووقود عمله ومنبع حضارته ومعين فكره ، وإطار علمه ، تعطيه وتمنحه وتلهمه وترشده وتنصره وتثبت قدمه ، وتعزه وترفع رايته وتقيم أعلامه .

المبحث الثاني

عطاء العقيدة للفرد المسلم

نستطيع أن نجمل ما توصي به العقيدة إلى الفرد المسلم بما يلي:

١ ـ تعرفه على الخالق الرزاق الذي خلقه من عدم «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» وابدعه من طين «ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين» وتظل تجيب العقيدة بذلك على تساؤلات واستفسارات تضطرب في مخيلة الانسان وفكرة وتكاد تهلكه وتمزقه إذا لم يكن عنده علم بها. ويضرب الانسان المؤمن لذلك مثلاً فيقول: لو تصورنا أن إنساناً نام نومه ثم استيقظ، فوجد نفسه في قصر منيف يأتيه طعامه وشرابه كل وقت وكل حين، وهو لا يدري من صاحب هذا القصر ومن الذي يأتيه بهذا الطعام والشراب واللباس بدون أن يراه، هل تراه يهنأ نفساً أو يرتاح ضميراً قبل

أن يعرف أين هو، ولمن هذا القصر ومن الذي يأتيه بهذا الطعام والشراب، وما هي الغاية من ذلك، وكم يوماً سيمكث في هذا المكان، فإذا جاءه انسان صادق، وقال له: هذا القصر اعطاه لك فلان الأمير جزاء عملك وهذا الطعام والشراب هو ضمن هذه الانعام، والغاية من ذلك، هي اكرام العاملين وجزاء المخلصين، وستظل في هذا القصر ما دمت محسناً عاملاً مخلصاً، أفلا يرتاح ضميره ويهنأ، كذلك الانسان يرى نفسه في حياة، لا يعرف من خلقه فيها، ومن رزقه، وإلى أين المقر والمصير، فإذا فسرت له العقيدة هذه الاسئلة الحيرى في فؤاده هدأت نفسه واستقر باله وعرف ما يحيط به أما إذا ظل تائهاً في هذه الحياة بغير عقيدة تهديه أو رسالة ترشده فإنه يعيش مشتتاً محتاراً فاقد الاتزان متسرب الفكر. نلحظ هذا في أقوال هؤلاء واولئك: فمثلاً ننظر إلى عمر الخيام يقول:

لبست ثوب العمر لم استشر ∴ وحرت فيه بين شتى الفكر
وسوف انصنو الثوب عني ولم ∴ أدر لماذا جئت؟ أين المفر؟

ويقول ايليا ابو ماضي

جئت لا أعلم من أين ولكني اتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت كيف ابصرت طريقي
لست ادري

إلى أن يقول:

أتراني قبلما أصبحت انساناً
كنت محوا ومحالا أم تراني كنت شيئاً
الهذا للغز حل؟ أم سيبقى أبديا
لست أدري ولماذا لست أدري؟؟
لست أدري

٢ ـ توحي العقيدة إلى الانسان بالسمو النفسي والاستقامة

تعلم العقيدة الانسان السمو النفسي، تطهره من كل رجس ودنس وفسق وفجور وتحرم عليه الفواحش والآثام ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾(١) ترفعه إلى مقام إنسانيته ولا تدعه يهبط إلى حمأة شهوته، وإنما ترسم له طريقاً مستقيماً يرشد خطوة ويرفع رأسه ويعلي همته ولنقرأ قول الحق سبحانه ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾(٢)
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٣) وتظل العقيدة تعلم وترشد، ومن تصفح آيات القرآن الكريم يرى الدستور الأخلاقي الفريد ويرى التربية السامية الساحقة التي تحلق به بعيداً عن آفاق البهتان والبغي والظلم والغطيان.

ومن عجيب ما نرى ونسمع من أمر تلك العقيدة أنها تقول للمسلم، لا تظلم فإن الهك لا يظلم لا تبغ فإن ربك رؤف رحيم لا تجانب الحق فإن خالقك هو الحق المبين يقول الله تعالى ﴿**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظلموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني**

(١) الاعراف ـ ٣٣.
(٢) الانعام ـ ١٥١ ـ ١٥٢.
(٣) الأنعام ١٥٣.

اهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني استغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وأخركم وانسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني فاعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر، يا عبادي إنما هي اعمالكم احصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فلحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه﴾ اخرجه مسلم والترمذي.

والانسانية لا تسعد أو تستقر إلا بهذا السمو النفسي والارتقاء الخلقي الذي يملأ الاسر والمجتمعات نوراً وطهراً وصفاء، ولا تستغني عنه أمه أو جيل من الأجيال.

ولهذا يركز الداعية على احياء العقيدة في النفوس ليسمو الانسان روحاً وفكراً وخطواً ويكون أداة نافعة في محيطه وفي مجتمعه.

٣ ـ العقيدة تزرع الطمأنينة والرجاء في القلب

أفضل ما يورث القلوب الهدوء والراحة والطمأنينة: هو العقيدة والاتصال بالله والتوكل عليه بعد اتباع تعاليمه، والسير على سنن رسوله ﷺ. وصدق الله ﴿وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، وهذا الهدوء الرباني هومنّ

---

(١) التغابن ـ ١١.

الهي ونعمة ربانية يعطيها الله للقلوب المؤمنة، دلالة على رضاه وتثبيتا لها في هذه الحياة وتأييدا في مواجهة الباطل وقد حدثنا القرآن عن كل هذه المواقف موضحاً ومبيناً فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾(٢) ﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(٣) ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾(٤) والسكينة هي الثبات والطمأنينة والمهابة والوقار، تدخل في قلب المؤمن فتنفي عنه الجزع والهلع وتبعد عنه الخور والارتباك وتشعره بمعية الله ورحمته فيأتيه التثبيت وتحوطه الثقة حتى يكون أقوى من النوازل والأحداث. وكيف لا يكون ذلك ومعه معية الله سبحانه، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(١) يشعر بها ويحس، ويناجيها وتسمع، ويدعوها وتجيب ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(٢).

ولهذا صاحبت هذه الطمأنينة المؤمنين في مواقف الشدة فكانت عنصراً أكيداً ومهماً من عناصر النصر والغلبة، صاحبت المؤمنين في غزوة بدر، فقال الحق سبحانه مخبراً عن ذلك ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾(٣) فعند إلتقاء الجمعان وعند مقارعة الجيوش في معركة غير متكافئة في العدد أو العدة. كان التثبيت وكان الربط على القلوب، فوجد التكافؤ، بل رجحت كفة المؤمنين على الكافرين بفصل هذه الطمأنينة التي سكنت الصدور وامسكت النفوس وابعدت عنها الوساوس.

---

(٢) الفتح - ٤.
(٣) الفتح ١٨.
(٤) التوبة ٤٠.

(١) البقرة ١٩٤.
(٢) البقرة ١٨٦.
(٣) الانفال ١١.

وصـاحبتهم كذلـك في غزوة أحـد فما وهنوا لما أصـابهم في سبيـل الله ومـا ضعفوا وما استكانوا ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] وصاحبتهم في غزوة الخندق

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[2]

وصاحبتهم في بيعة الـرضوان وكـانت دائماً تصـاحبهم وتسير معهم، وصـاحبتهم كذلك في موت رسول الله ﷺ وصاحبت الصديق في هذا الموقف العصيب موقف موت حبيبه ورسول الله ومصطفاه، فوقـف كـالطود الـراسخ يعلنهـا داويه عـالية مجلجلة» من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مـات ومن كان يعبـد الله فإن الله حي لا يمـوت، وصاحبت الصـديق في مـوقف أشـد، وهـو عنـد إرتـداد العـرب عن الاسلام وبعد موت رسول الله ﷺ. فوقف كالطود الراسخ والجبل الراسي والعلم الاشم ليقول للدنيا « والله لو منعوني عقال بعير لحاربتهم عليه ما استمسك السيف في يدي » .

وصاحبت من بعدهم من التابعين لهم بـاحسان من المجـاهدين والعـاملين والمخلصـين في ساعـات الشدة والحـرج والضيق وصدق الله ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾[3] .

وهكـذا العقيدة وهكـذا رجال العقـائد تتـزلزل الـدنيا وهم سكـون وتميد الأرض وهم ثوابت، وتثور العواصف وهم جبال وتنخلع القلوب وهم الرجال.

---

(١) آل عمران ١٧٣ ـ ١٧٥ .
(٢) الأحزاب ٢٢ .
(٣) غافر ـ ٥١ .

٤ ـ الجرأة والشجاعة

العقيدة تعطي المسلم الجرأة والشجاعة والبسالة، الشجاعة في كل ميدان من ميادين الحياة، الشجاعة في مواجهة النفس والتغلب على نزعات الحيوانية، وثقلها، فنرى كثيراً من أصحاب العقائد ضربوا أروع الأمثلة في الاستقامة والقدوة الحسنة بعد تاريخ طويل في الجهالة وحب العرض واتباع الشهوات واستطاعوا أن يكونوا هداة إلى الطريق المستقيم، وامثلة للقاصدين والمطهرين والعاملين، ونظرة واحدة إلى المجتمع الجاهلي الذي طلقه شباب أصحاب عزائم استطاعوا أن يقيموا الملة ويبلغوا الرسالة ويكونوا خير أمة اخرجت للناس. تكفي لاثبات ما ورثته العقيدة من شجاعة في مواجهة النفس والتغلب على ثقل الحيوانية في الانسان.

الشجاعة في مواجهة الشدائد، ومقارعة الباطل:

فأصحاب العقائد لا يخافون الموت ولا يرهبون الحمام لأنهم يعلمون أنه حق لا مرية فيه ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾[١] ويعلمون أن الله اشترى منهم نفوسهم بالجنة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[٢] ولهذا كانوا يرهبون الدنيا، لأن الدنيا تريد أي حياة وهم يريدون الحياة التي توصل إلى الجنة فإذا وجد ما يوصلهم إليها كان ذلك هو الفوز المبين، فكان إذا اصيب أحدهم وعلم أنه سيلاقي ربه هتف من فوره «فزت ورب الكعبة» وقد رأينا ورأى التاريخ الامثلة العجيبة لهذه الشجاعة النادرة على مدار التاريخ في شتى العصور المسلمة.

---

(١) الجمعة ٨.

(٢) التوبة ـ ١١١.

فهذا عقبة بن نافع الذي وقف في اخر اليابسة في أفريقيا على شاطىء المحيط الأطلسي وقال قولته الشجاعة الجسورة مخاطباً البحر « والله يا بحر ، لو أعلم أن وراءك أرضا لخضتك بفرسي هذا غازياً في سبيل الله » وهذا قتيبة الباهلي الذي توغل في المشرق حتى وقف على حدود الصين وعزم على أن يدخلها غازيا في سبيل الله سبحانه فقال له أحد أصحابه مشفقاً وخائفاً عليه يطلب منه التريث « لقد أوغلت في بلاد الترك يا قتيبة ، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر » فأجابه قتيبة ، والشجاعة الايمانية تنبض في قلبه وتنطق على لسانه بثقتي بنصر الله « توغلت ، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة » .

رجال رضعوا لبان الوحي وعلموا أنهم على الدرب سائرون تعلموا الدروس وأخذوا العبر وسار وافي ركب الرجال الذين قال الله فيهم ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾(١) وما عقبة بن عامر وأصحابه إلا سائرون على هذا الدرب الذي سار فيه الصحب الأول حتى قال قائلهم لرسول الله ﷺ في بدر : « والله يا رسول الله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، والله يا رسول الله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد » .

ولهذا كان الرجل منهم بعقيدته يزن عشرة رجال وصدق الله ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾(٢) وهذا قانون ثابت لا يخص قوماً دون قوم ولا يحد بزمان دون زمان وإنما هو قانون عام يجري على سنته أصحاب العقائد في القديم

(١) الأحزاب ـ ٢٣ .
(٢) الانفال ٦٥.

والحـديث وصـدق الله ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٣).

وبعـد أرأيت معي لم يركـز الداعيـة على العقيـدة وعلى احيـائها واشعـال جذوتها في النفوس لتكون الوقود الـذي يحرك الانسـان في مواجهـة الباطـل ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٤) وتكـون الحريـة في مواجهـة العبودية، وتكون الأمن في مواجهـة الظلم، وتكـون الهدوء والسـلام والراحة في مواجهة الاضطراب والعقد، ولتكون المنطلق الراسخ في تنفيذ المنهج الـذي أرادة الله للبشرية.

---

(٣) البقرة ٢٤٩.

(٤) آل عمران ١٣٩.

الفصل الثاني

إزالة الشبهات

تمهيـد :

الشبهات جمع شبهة : يقال : إشتبهت الأمور وتشابهت ، إذا إلتبست فلم تتميز ولم تظهر .

والشبهـة في العقيدة : الضـلال المـوهم بـأنـه حق ، سميت شبهـة ، لأن أصحاب الباطل يلبسون ضلالهم ثوب الحق فيشتبه به ، ويلتبس على الناس[1]

وهذا دأب المعاندين للحق في شتى العصور والدهور ، قال تعالى في كشف أضاليلهم ، وبيان زيفهم : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[2] ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[3] .

وقالت طائفة من أهل الكتاب ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾[4] .

والمقصود بالشبهـة هنا : إطـلاق الأكاذيب والإفتـراءات ، وإذاعة مـا يثير الشك والارتياب في صدق الداعية وحول الحق الذي يدعـو إليه ، وإلبـاس ذلك ثوب الحق بالاساليب المختلفة ، فيحجب ذلك نور الحق الـذي يتبناه الـداعية أو يثير حولـه الشكوك ، فيمنـع ذلك التفـاف الناس حـوله ، أو تـأخير الإستجـابة إليه ، أو يؤدي ذلك إلى زعزعة أتباعه والمنتمين إليه .

---

(١) المصباح المنير ولسان العرب في المادة (شبه)
(٢) آل عمران ـ ٧١
(٣) البقرة ـ ٤٤
(٤) آل عمران ـ ٧٢

المبحث الأول

حتمية إثارة الشبهات

من قديم ، قدم الانسان ، وجد الهدى والضلال ، من يوم أن سلط ابليس بالغواية ، وتزعم دعوة الافساد فقال : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾(1)

ووجد كذلك دعاة الحق ، وحملت الهدى والنور والعرفان ، يوم قال الحق سبحانه لذلك المتزعم حركة الإفساد والغواية ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾(2) ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾(3) .

وكانت للباطل قوة ومؤيدون ، رغم وهنه وفساده ، فهو يحاول بها أن يصول ويجول ويسود ، فيتوارى حيناً ، ويتعالى حيناً آخر ، وكانت للحق سطوة وجند ورجال ، يحملونه ويدافعون عنه ويزودون عن حياضه .

وقد مضت سنة الله من قديم أن يصطرع الحق والباطل «كذلك يضرب الحق بالباطل فإما الزبد فيذهب جفاء ، وإما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض»(4)

وإن كان الصراع في مجمله مريراً وشرساً ، يحتاج إلى صبر وجلد ويقظة وتضحية .

---

(1) الاعراف ـ ١٦ ـ ١٧

(2) الاسراء ـ ٦٥

(3) الكهف ـ ١٠٢

(4) الرعد ـ ١٧

ولكنه في النهاية يكون محمود العاقبة ، مضمون النتائج ، لصلابة الحق ووضوحه وسطوته ، وصدق الله ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾(١) ، فكلما وجد حق لابد أن يعترضه باطل ، ويقف أمامه ويتصدى له قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم محمداً ﷺ ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾(٢) والذي قيل للرسول ﷺ في مقابلة الهداية ، هو الباطل المتصدي لكل رسول وكل مصلح ، وكل داعية إلى الحق أي ما قيل لك من باطل وضلال وايذاء وشبه ، هو نفسه الذي يردد على مدار الأيام والأحوال وصدق الله العظيم ﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾(٣)

أي كان هذا هو ديدنهم واتهامهم للرسل والأنبياء على مدار اللقاءات والمناقشات ، كذلك كان من قريش مع رسول الله ﷺ ، حيث إتهمته بالجنون والسحر لتنفير الناس منه وإبعادهم عن دعوته ، وقد أخبر ورقة إبن نوفل بذلك يوم التقى به وسمع منه ، فقال له : يا ليتني فيها جذعاً ، يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ، قال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم ؟ قال السهيلي وإنما قال الرسول ذلك ، لأن فراق الوطن شديد على النفوس .

فقال ورقة : نعم ، إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك انصرك نصراً مؤزرا « أي انصرك نصراً عزيزاً قوياً أبداً »(٤)

---

(١) الانبياء ـ ١٨
(٢) فصلت ـ ٤٢
(٣) الذاريات ـ ٥٢ .
(٤) سيرة ابن كثير ١ / ٣٩٦ ط ، عيسى الحلبي

والقرآن خير شاهد على تلك الشبهات والضلالات التي قوبل بها رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقد حرص القرآن كثيراً أن يبين ذلك للمؤمنين وأن يعرضهم له لأسباب عدة منها

١ - التمحيص والاختبار ، لأنهم سيكونون خير أمة أخرجت للناس ، وسيكونون العمد التي يبنى عليه صرح الانسانية العريض ، ولأنهم خلفاء في هذه الأرض ، يمثلون المنهج الرباني السامق الشامخ ، ولهذا جاءت البيانات والبلاغات القرآنية توضح الطريق وتبين معالمه حتى لا يتسلل إلى الصف الضعاف المهازيل ضعاف النفوس مهازيل القلوب - **فقال** تعالى ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (١)

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢) ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣) ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ (٤) ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٥)

هكذا بكل صراحة ووضوح يراد من الصف المؤمن أن يكون قوى الايمان في مواجهة العواصف الآتية ، وكلما كثر الخبث احتاج إلى رجال أولى بأس شديد وعزم حديد .

وكلما كثرت التبعة وبعدت الشقة احتاج المنهج واحتاجت الدعوة الى الله

(١) العنكبوت - ١
(٢) البقرة - ٢١٤
(٣) محمد - ٣١
(٤) آل عمران - ١٧٩
(٥) آل عمران - ١٤١

النقاء والوضوح والبعد عن الخبث ومفاصله الباطل ، لأن الباطل دائما متسلق رخو ، هش ، يريد شهوته بغير مواربة ويريد الأخذ بغير عطاء ، ويريد السلامة بغير ثمن . وصدق الله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾(١).

٢ - تربية العزائم وتنشئة الرجال ، فإن دعوة الله لا تقوم إلا بهذه العزائم الذي تعرف قيمة الحق وتحس حلاوته وتدافع عنه بشوق وحماس .

وصدق رسول الله « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف به النار »(٢)

العزائم التي تخضع لأمر الله وتعلم أن فيه الخير لأنها تصدق وعد الله وتزعن له .

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾(٣) .

فهذه هي القلوب ، التي طوعت شهواتها لما يحبه الله ورسوله ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾(٤)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾(٥) والنفوس التي هان عليها كل شيء في سبيل نشر دعوة الحق ،

(١) العنكبوت - ١٠
(٢) البخاري فتح الباري ١/٥٦
(٣) الزخرف - ٤٤
(٤) الشورى - ١٥
(٥) الانسان - ٢٤

وصارت لا تنظر إلا إلى القيم العليا ، فأخذت الايمان بتبعاته وشعرت بتكاليفه فهي تقوم به عبادة وايماناً ، وقربه واحتساباً وصبراً وجهاداً وقد رسم القرآن لذلك صورة صادقة فقال جل شأنه : «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون»[1]

٣ ـ للاستفادة من الدروس والعبر ، من هذه الاستفادة ، العمل على نشر الفضيلة التي هي أساس الاصلاح في الأرض ، والحرص على الاستفادة والسير في الطريق الصحيح لأن الباطل مكلف وبغيض .

وصدق الله ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[2]

ومن هذه الاستفادة معرفة أن عدل الله لا يحابي أحداً ، وأنه من أعوج عن الطريق أخذ ولم يفلت من العقاب .

﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (ابراهيم ـ ٤٦ ـ ٤٧) ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(النمل ـ ٥١) .

فلا بد أن يفهم الداعية هذا جيداً حتى لا تعصف به الشبهات والحوادث

(١) البقرة ـ ١٧٧ .
(٢) الحج ـ ٤١ .

وحتى لا يظن أن ذلك من غضب الله عليه أو أن ذلك خاص به وحده ، وإنما هذه سنة الدعوات وطريق الرسالات .

المبحث الثاني

الغرض من الشبهات

لا شك أن مثيري الشبهات ومدبري الفتن يقصدون من وراء ذلك أهدافاً معينة تحط من قدر الداعية ، وتقلل تأثيره على الناس ، وتبعد من التوجه إلى الحق الذي يدعو إليه ، وصدق الله ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾(١)

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾(٢)

من هذه الاهداف :

١ ـ التشكيك في الداعية والدعوة ، قصد التعمية على الناس ولفت أنظارهم عن جلال وجمال ما يدعون إليه ، وبغية إقامة حاجز من الشائعات والافتراءات التي تحجب الرؤيا وتلبد الأجواء بالغيوم والرعود فلا يستبين سبيل المؤمنين أو يتضح صراط المتقين .

٢ ـ منع الناس من فهم الحق والإقتناع به والإلتفاف حوله ، فعندهم هم الحق النافع الناصع وعند غيرهم الزور والبهتان ، الذي يجلب الفتن ويخرج على مألوف الناس وعاداتهم ، ويثير القلاقل ويروع الأمنين ، وهذا هو ما دعا أبو جهل ـ فرعون هذه الأمة إلى الخداع أمام الناس بقوله قبل يوم بدر «اللهم أقطعنا

---

١ ـ الصف ـ ٨

٢ ـ آل عمران ـ٧

للرحم وأتانا بما لا يعرف ، فأحنه الغداة» يريد بذلك أن يصف دعوة الحق بأنها تفرق بين الأرحام وتقطع بين الأواصر ، وأنها غريبة من الغرائب التي يجب الصبر عليها ومجاهدتها ، فإذا بالدائرة تدور عليه وينزل قول الحق تبارك وتعالى : ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾[1]

ومن ذلك ما كانت تفعله قريش ومشركوا الجاهلية حين كانت تأتي بالاساطير والقصص من الفرس وغيرهم ليعموا عن القرآن وقصص الانبياء والمرسلين في الكتاب العزيز ، وليلفتوا الناس عن الحق وعن إتباع سبيل المؤمنين ، فقد كان النضر بن الحارث يشتري الكتب المحتوية لاساطير الفرس وقصص أبطالهم وحروبهم ، ثم يجلس في طريق الذاهبين لسماع القرآن من رسول الله ﷺ محاولاً أن يجذبهم إلى سماع تلك الاساطير والاستغناء بها عن قصص القرآن ، وعن ما تحويه من هداية ورشاد . ليضل الناس بهذا اللهو ويثير الشبهات حول الحق وحول ما يأتي به القرآن .

وقد حكى القرآن ذلك فقال : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾[2] .

٣ ـ المحافظة على الباطل وأهله ، فلا شك أن رؤوساء الضلال ، وقادة الجاهلية في كل زمان ومكان يتقلدون أموراً ليسوا بمؤهلين لها ولا هم بمحسنين لها تدبيراً او مطيقين لها حملاً ، ويحيطون أنفسهم بالغرور والكبر واحلام اليقظة وهالات الخداع ومواكب العبيد ومحافل النفاق ، فإذا أتاهم الحق وداهمتهم

(١) الانفال ـ ١٩
(٢) لقمان ـ٧

سطوته فزعوا وانتفضوا يدافعون عن أمجادهم الكاذبة ومنطقهم الواهي ومكانتهم المتداعية . نرى ذلك في حوار بين رؤوساء المشركين رواه البيهقي فقال خرج ابو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق ليلة ليسمعوا القرآن من رسول الله ﷺ في جوف الليل وهو يصلي في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق .فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا .

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهدا ألا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : اخبرني يا أبا حنظله عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وأشياء لا أعرفها ولا أعرف ما يراد بها ، فقال الأخنس وأنا والذي حلفت به .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد فقال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا ، فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ! فمتى ندرك هذه ، والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه .

ثم روى البيهقي عن المغيرة بن شعبة قال : أن أول يـوم عرفت رسـول الله ﷺ أنى أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكـة ، إذا لقينا رسـول الله ﷺ ، فقال ﷺ لأبي جهل «يا أبا الحكم ، هلم إلى الله وإلى رسوله ، أدعـوك إلى الله»

فقال أبو جهل «يا محمـد هل أنت منتـه عن سب آلهتنا ؟ هـل تريـد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك .»

فانصرف رسول الله ﷺ ، وأقبل أبو جهل على فقال : والله أني أعلم أن ما يقول حق ، ولكن يمنعني شيء ، إن بني قصى قالوا فينا الحجـابة : فقلنـا نعم . ثم قالوا فينا السقاية فقلنا : نعم ثم قالوا فينا الندوة . فقلنا : نعم . ثم قالـوا : فينا اللواء . فقلنا : نعم ، ثم اطعموا وأطعمنا ، حتى إذا تحاكت الركب قالوا : منانبي والله لا أفعل) ومع هذا الـذي يقولـه أبو جهـل واضرابـه يسير وراءهم افـواج من المخدوعـين الذين ينتصـرون للرذيلة ويروجـون لها ويخـدمون البـاطل وأهله ، ويسفهون الحق ودعاته وهم في غرور وخداع ووهم .

٤ ـ خدمة أهداف وأفكار معينة

هناك عوامل وأسباب ودوافـع وراء إثارة هـذه الشبهات منهـا : وأد الفكر الإسـلامي والتراث الإسـلامي وافتـراس أهله ولا يسعني في هـذا المجـال إلا أن أشير إلى تحليل دقيق لهـذه الظاهـرة أورده الاستاذ الـداعية الإسـلامي الكبير أبـو الحسن الندوي حيث قال : « إن هناك صراعاً فكرياً ، بل معركة فكرية في عبـارة أصـح في جميع الأقـطار الإسلاميـة ، بـين الأفكـار والقيم الغربيـة وهي المعركـة الحاسمة الحامية الحقيقية التي يخوضها العالم الإسـلامي اليوم ، وهي التي ستقـرر مصيره ، وهي معركة تتضاءل أمامها جميـع المعارك ، التي يغـالي في تصويـرها أو

تهويلها الكتاب والمؤلفون ، فكل معركة ـ غير المعركة الكبرى الذي ننوه بها ـ إما معركة محلية ، أو معركة فرعية ، أو معركة وهمية ، إن تاريخ هذه الأقطار القديم وحب الشعوب المسلمة للإسلام وصلتها القوية العميقة به ، والاسم الذي قاتل دونه المقاتلون ، وتيسر به الظفر بالحرية والمحافظة عليها إذ كانت من قبل ، كل هذه الحقائق تثبت أن هذه الأرض التي نشبت فيها هذه المعركة ، لا مكان فيها إلا للأفكار الإسلامية ، والقيم الإسلامية ولا يسمو فيها إلا المنهج والنظام الذي دعا إليه الإسلام .

لكن هناك عقول في هذه البلاد . ثقافتها وتربيتها ومصالحها الشخصية والسياسية كل ذلك يقتضي أن تزدهر فيها القيم الغربية وأفكارها وأن تتبع هذه البلاد الدول الغربية شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وهي تغيير مفاهيمها الدينية وتقاليدها القومية وقوانينها الإسلامية بالأوضاع الغربية ، أو تطورها إذا عاكست هذا الهدف وحالت دون الوصول إلى هذه الغاية ، وفي عبارة وجيزة تصهر هذه البلاد بتؤدة وأناة ، ولكن بوعي والحاح في بوتقة الحضارة الغربية .

ومن هذه الأقطار ما قد قطع أشواطاً بعيدة في هذه الرحلة ووصل إلى هدفه المنشود أو كاد ، ومنها ما وقف حائراً على مفترق الطرق ، ولكن يبدو أن موعده قريب[1]

أقول نعم هناك مذاهب وأفكار ونحل تريد أن تقتحم على المسلمين ديارهم وأوطانهم وأن تغتال عقولهم وتخرب نفوسهم ولا يكون ذلك إلا ببذر الشكوك وإشاعة الشبهات وتوهين الإسلام ومنهجه وتعاليمه في نفوس المسلمين ، هذه الوفود الغريبة والافكار المشبوهة لا تخدمها أو تحملها الجيوش المسلحة ، أو الدبابات والطائرات والمدافع ، وإنما تحملها سموم وتوجهات

---

١ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص٥ ـ٦

وافتراءات ملحة على عقول المسلمين وأفكارهم ومعتقداتهم فيجب على الداعية ، أن يجلي هذه الشبهات ويفضح هذه السموم بالحجة والمنطق وأن يظهر جمال الإسلام وروعته ، وهيمنته على هذه المسميات الواهنة المفضوحة التي تقصد سلب هذه الأمة لشخصيتها ولتراثها ومنهجها . وصدق الله .

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾[1] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[2] .

٥ ـ إفساح المجال للغزو الثقافي

والغزو الثقافي اليوم ، هو استعمار العصر الحديث ، الذي لا تحس معه الأمم بوطأة الجيوش أو رهبة الأسلحة ، وإنما هو إستعمار فكري ، وايحاء نفسي يلقي في روع الفريسة ، فيقودها إلى مصرعها وهي مخدرة سكرى ، ونستطيع أن نعرفه بأنه ، هو :

«غزو الأمم من قبل أعدائها بأنواع من الثقافات الدخيلة ، والأفكار المستوردة المنحرفة ، لتضليلها عن ثقافتها الأصيلة ، وسلب شخصيتها ، وجرها إلى التبعية لهؤلاء الأعداء ، واستغلالها واستعبادها بأيسر السبل وأعمقها أثراً»

وأمة الإسلام قوتها في عقيدتها وتماسكها في ثقافتها ، وسطوتها في استمساكها بكتابها ومنهجها . وإذا ما تركت الأمة الإسلامية عقيدتها وتخلت عن غذائها الروحي ، وعمقها الايماني فإنها تصبح كريشة معلقة في مهب الريح ، عرف هذا عنها القاصي والداني . ولهذا كانت الأمة دائماً تتواصى فيما بينها بالثبات والاعتزاز بكتابها وعقيدتها وايمانها .

---

(١) البقرة ـ ٢١٧

(٢) البقرة . ١٠٩

قال عامر بن مطر : قال لي حذيفة في كلام : كيف أنت يا عامر بن مطر ؟ إذا أخذ الناس طريقاً ، والقرآن طريقاً ، مع ايها تكون ؟ قال عامر : فقلت له مع القرآن أحيا ومع القرآن أموت. قال له حذيفة فأنت إذن أنت قال ابن حزم الذي روى الخبر في محلاه معلقاً على هذا.اللهم : أني أقول كما قال عامر : أكون والله مع القرآن أحيا متمسكاً به ، وأموت إن شاء الله متمسكاً به ، ولا أبالي بمن سلك غير القرآن ولو أنهم أهل الأرض غيري»(١)

عرف هذا علماء التاريخ وقادة الأمم .

قال غستاف لوبون «أن سبب إنحطاط الشرق هو تركه روح الإسلام وتشبثه بالافكار الباطلة» .

لقد كان العرب أذل الناس فصاروا سادتهم وكانوا أخس الناس فصاروا خير أمة أخرجت للناس ، وكانوا أضعف الناس وأهونهم فكونوا امبراطورية لم يخرج التاريخ لها مثيلاً أو شبيهاً .

يقول توماس كاريل : خرجت جيوش رعاة الأمس تقتحم الأرض شرقاً وغرباً وتفتح باسم الدين الجديد ، وفي خلال قرن واحد من الزمان قضت على القوى العظمى وملكت الأرض من تحت أرجلهم ، أنها معجزة ، ولولا أنها حقيقة تاريخية لقلت أنها خرافة أو خيال .

لقد كانت صيحة محمد أشبه ما تكون بشرارة ملتهبة وقعت لا على كثبان كسولة من رمال الصحراء ، ولكن على جبال من البارود الذي تفجر مرة واحدة فعم نوره الآفاق من هضاب الهند وحتى سهول الاندلس (٢)

ولهذا ركز أعداء الإسلام هجومهم وتضليلهم على منهج الإسلام وعلى

---

(١) معجم ابن حزم الظاهري ـ ١/٣٥ ط دمشق

(٢) الحضارة الغربية مقارنة بالحضارة الاسلامية للمؤلف ص ٦٧٠

حملته والدعاة إليه ، وأقاموا المؤتمرات والندوات ، وسهروا الليالي الطوال ، في بحث وتدبير وتنصيب وتفكير ، ليقطعوا شرايين العقيدة في القلب المسلم ويسكتوا نبض الايمان من الجسد المؤمن ، ويبدلوه بها أنابيب من صنعهم وأجهزة من اختراعهم ، كي لا يستطع أن يحرك قدماً أو يرفع جسداً .

وكان من أسلحتهم الكبرى أثارة الشبهات حول الدعوة والدعاة ، وحول الفكرة والقائمين عليها ، ثم تلقين تلك الشبهات لأعداء الدعوة والدعاة في الداخل والخارج حتى تتكون سحب قاتمة وينتشر دخان أسود يضل الناس عن الحق ، وحتى يثار دوي وينبعث ضجيج قوي يصم الآذان عن سماع الهدى.

وطبيعي إذا إنصرف الناس عن الايمان والهدى والحق ، فإنه لا يبقى إلا الضلال واتباع الغواية والوقوع في حبائل الشيطان وصدق الله ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ (يونس ٣٢) .

وإذا لوثت دعاة الحق وانكبت حملته ووضعت في طرقهم العراقيل ، وحامت حولهم الظنون فإنه لم يبق إلا أرباب الشهوات ، المقهورين نفساً وفكراً وخلقاً وسيرة ، تميلهم رياح الباطل حيث تميل ؟ وتتصيدهم حبائل الشيطان وترمي بهم في مكان سحيق ، تهون عليهم الإنحطاط وتحببهم في السقوط وتنفرهم من الفضيلة بألفاظ براقة تخلعها على الباطل ، وشعارات أخاذة تلصقها الرذائل ثم تنفرهم من الاستقامة وتسخر من حملتها وتهزأ من دعاتها وتصفهم بأوصاف كريهة وتطلق عليهم ألقاب مهينة وحقيره، وهذا شأن الباطل في كل زمان ومكان وصدق الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ المطففون ـ ٢٩ ـ ٣١

فمثلاً من الألفاظ التي تستعمل في العصر الحديث لتزيين الباطل وتجميل

السقوط ويشيعها الدخلاء واعداء الأمة .

أن يطلق على الكاسيات العاريات ، أنهن متحضرات ، بدلاً من أن يطلق عليهن أنهن خارجات على التعاليم الإسلامية ، أو . . . أو . . . .

أن يطلق على التي تجالس الرجال وتعانقهم وتراقصهم أنها صاحبة شخصية وواثقة من نفسها ، بدلاً من أن يطلق عليها ، أنها منحلة ، أو . . . أو . . .

أن يطلق على بعض النساء اللاتي يقمن باعمال معينة خارجة على تعاليم الاسلام، إنها نجمة، أو كوكب، أو معبودة الجماهير أو سيدة المجتمع، أو رائدة الحرية أو. . . . . . . ، أو. . . . . . . بدلاً من أن تطلق هذه الالفاظ المحببة، على جملة النساء اللاتي يقمن بأعمال جليلة، ويساهمن مساهمة فعالة في خلق جو من العفة والكرامة والبحث العلمي، والرقي الفكري، والمادي والحضاري، في إطار العقيدة السامية والرسالة الخالدة والمنهج الفريد والغاية المرتقبة، لارجاع الامة إلى مكانتها اللائقة بها، ودفع البغي والظلم والهوان عنها، وتقليدها اكاليل العز والنصر والفوز والكرامة، واخراج العالم من الظلمات إلى النور.

والحمدلله في نساء قومنا الكثيرات ممن يعين هذه الحقيقة، ويعملن لها ولا تخدعهن هذه البروق الكاذبة.

وكذلك يطلق على الرجال مثل هذه الالفاظ وغيرها، فمثلاً. يطلق على الرجل الذي يتساهل في عرضه ـ إنه متحرر، بدلاً من أن يطلق عليه أنه ديوث[٢] ومن يتخنث ويتشبه بالنساء، يطلق عليه أنه رقيق الشعور ومتحضر.

---

(١) هذا اللفظ نأسف لذكره فلا يجوز أن يطلق لفظ المعبود إلا على الله سبحانه. ولكنا أردنا أن نبين التجاوزات التي يقع فيها الناس.

(٢) الديوث ـ هو الرجل الذي لا غيرة له على اهله.

بدل أن يطلق عليه لفظ التخنث، أو الجنس الثالث.

ومن يقبل الذل ولا يثور للكرامة، أو يحاول دفع الظلم أو رد العدوان والبغي يطلقون عليه أنه انسان واقعي بدلاً من أن يطلق عليه، أنه جبان أو متخاذل إلى غير ذلك من النعوت والألفاظ التي يخدع بها البسطاء.

أما من يتماسك أمام الباطل ويقاومه أو يغالبه ويريد أن يحفظ على نفسه واسرته ومجتمعه البقية الباقية من خير، أما من يرى علل امته فيؤرقه ويسهده تخلفها وانتكاساتها، فيحاول جاهداً وقف المرض وابراء العلة.

أما من يحاول منع انتهاب عقائد الامة وتراثها ورجولتها وعزتها، فيتصدى لموجات التقليد الاعمى وعواصف الالحاد الاهوج وعدوى التحلل المهلك.

فإنه تخلع عليه النعوت المنفرة والأوصاف المحرضة، فيوصم بالتخلف، ويوصف بالرجعية ويتهم بالجمود وعدم الواقعية، وتثار حوله الشبهات الكثيرة هذا وقد رأى المجتمع المعاصر كثيرين ممن يريدون إشاعة الفوضى في الأمة لتدميرها من الداخل، فنرى اتباع الغزو الثقافي حتى من المسيحيين الذين يدعون الغيرة على النساء فيشيعون سمومهم في وسط المسلمين، ننظر مثلاً إلى الكاتب المسيحي سلامة موسى يتناول الاسلام بالغمز واللمز، ويحرض نساء المؤمنين، فيقول للنساء في مصر: «انبذن تقاليدكن البالية» واخرجن واختلطن بالرجال في جرأة واقتحمن المصانع والمتاجر للعمل، لا دفعاً لضرورة، ولكن تحدياً للتقاليد التي تحجزكن للامومة ورعاية الانتاج البشري، ثم يقول للمرأة انظري إلى الرجال بعينين ثابتتين وارفعي رأسك متحدية ولا تخفضي البصر» هكذا يكون التقدم. لا بالعلم، ولا بالعمل الذي تحتاجه الامة، بل رغبة في الابتذال والخروج على تعاليم العفة والكرامة، وحباً في الصفافة والجرأة في النظرات واللفتات، ولم لا يقول ذلك وهو وامثاله الذين أقاموا مسابقة بين النساء والرجال

لاختيار «ام عيون جريئة» و «أبو عيون جريئة» أي التي لا تستحي ولا تتأدب، وخرجت الأغاني تمجد ابو عيون جريئة ليرددها النساء والفتيات في الامة... هل هذا تحضر، هل هذا يعود على البيت أو الاسرة أو المجتمع بالخير.

يقرأ في تاريخ المسلمين أن السيدة عائشة رضوان الله عليها روت من الأحاديث وافعال الرسول ﷺ ما كان ركناً ركيناً في تعاليم الاسلام، واشتركت في كثير من الامور بالرأي والمشورة، وخاضت المعارك وخرجت مع الجيوش مضمضة للجرحى وتمد الجيش بما يحتاج من طعام وعتاد. وما كانت تكلم الناس إلا من وراء حجاب.

صفة الحياء من مكارم الشيم ومن تعاليم الاسلام ومن أصالة الطبع الانساني التي تمنع عن كثير من الدنايا روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه، إن رسول الله ﷺ، مر على رجل من الانصار وهو يعظ اخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن الحياء من الايمان «وفي رواية لأبي السوار العدوى» قال رسول الله ﷺ «الحياء لا يأتي إلا بخير، فقال بشير بن كعب أنه مكتوب في الحكمة أن منه وقارا ومنه سكينة».

ومما يرويه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه.

وهل شدة حياء السيدة عائشة منعها من الوثوق في نفسها وشدة حياء الرسول ﷺ منعه من ملء العالم نوراً وفضلاً، إلى متى تظل هذه المعاول تهدم في كيان المسلمين وأممهم وصدق رسول الله ﷺ « إذ يقول: « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فافعل ما شئت » البخاري ومسلم.

المبحث الثالث

مصادر الشبهات

يتجمع على الدعوة والداعية كل من له مصلحة في كبت الحق وتنحيته عن طريق الحياة في المجتمعات المختلفة، تجمعهم كلهم غاية واحدة وهدف واحد يتوصلون إليه بشتى الأساليب والطرق من هذه الغايات وتلك الأساليب التشكيك في دعوة الاسلام ومنهجه، وتشويه سيرة الداعين إليه، وبذر الشكوك حولهم واطلاق الشائعات، وترويج الأباطيل، وزرع الشبهات والتضييق عليهم، ومحاربتهم في افكارهم وارزاقهم، وصدق الله ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ﴾ (المنافقون ـ ٧).

وتستطيع أن تقول أن مصادر الشبهات التي تنطلق منها السهام الخبيثة نحو الدعوة الاسلامية وحملتها كثيرة في العصر الحاضر، ومتعددة ومتنوعة وقادرة وفعالة، نلمح إلى ثلاثة مصادر منها.

١ ـ عدو وصاحب مصلحة

انطلق اعداء الاسلام في سعار محموم يكيلون التهم للاسلام ويلصقون به النقائص ويفترون عليه الأكاذيب، ويطلقون حوله الاشاعات والشبهات في عداء غريب وفريد في العصور الانسانية، لأنه كشف دجلهم الديني والنفسي والحضاري، وسفه استعبادهم للناس واكلهم لاموالهم بالباطل، واستباحتهم للاعراض وهتكهم للحرمات.

ولأن الاسلام بني الانسان السوي الذي لا يظلم ولا يستعبد ولا يهن، ولأنه الدين العملي الوحيد الذي أقام دولة تحمي الحق وتأخذ بيد الضعيف، وتطيح بالظلم حيث كان ومتى كان، وقد وقف كالطود الراسخ والجبل الاشم في وجوه الباغين والحاقدين والمتسلطين فتكسرت على نصاله سهام الجبناء المستغلين،

والمقامرين المستعمرين، وكان كالحارس اليقظ الذي يرهب اللصوص والمخربين، ويطلق النار على القتلة المتوحشين، فعاداه السارقون بقسوة، والمتوحشون بفظاعة والظلمة بقوة، ولكنه كان دائماً كالنهار، وكالقدر، لا يقف أمامه ليل ولا يجدي معه اعداد أو عدة لأنه إرادة الله.

ولإن كان بعض الناس اليوم يحسون قسوة العداء للاسلام ويرون شراسته، وهذه حقيقة فإنه يجدر بهم كذلك أن يلحظوا مبلغ الهلع والخوف الذي يرتسم على شفاء اعدائه ويظهر في صحائفهم وفي ارتعاشة أقلامهم ليثقوا في أنفسهم ويواصلوا الجهد حتى يتم الله نوره وتعلو كلمته. وإن كنت احس أن الطريق طويل وأن الشقة بعيدة بقدر قسوة العداء وكبر الحقد الذي يملأ صدور الاعداء يقول لورنس براون «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الاسلام وفي قدرته على التوسع والاخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي»(١) نعم كان الاسلام الجدار الوحيد في صدر الصليبية الحاقدة المتوحشة وكان الجدار الوحيد في صد التتار والهمجية والبربرية المدمرة. وكان الجدار الوحيد أمام الهجمة الاستعمارية الحديثة واستطاعت قلة تعتز بدينها في ارجاء الوطن الاسلامي أن تدوخ كثيراً من الجيوش الاستعمارية وتخرجها على ادبارها بليل بعد أن ظنت أنه قد طاب لها المقام وحلالها الثمار، وقال قادتهم المنتشين بالنصر المؤقت: اقول الحقد التي توارثوها كابرا عن كابر.

يقول باترسون مست في كتابه «حياة المسيح الشعبية»: باءت الحروب الصليبية بالفشل، لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك، حينما بعثت انكلترا بحملتها الصليبية الثامنة ففازت هذه المرة. أن حملة اللنبي على القدس اثناء الحرب العالمية الأولى. هي الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة، ولقد نشرت الصحف البريطانية

---

(١) شبهات التغريب انور الجندي ص ٢٠.

صورة القائد اللنبي الذي دخل القدس سنة ١٩١٨ م . وكتبت تحتها عبارته المشهورة التي قالها عند فتح القدس «اليوم انتهت الحروب الصليبية» وبنفس الطريقة وبنفس الحقد الذي صدر من الجنرال الانجليزي كان مسلك الجنرال الفرنسي غورو قائد الجيش الفرنسي عند دخوله لدمشق، توجه من فوره إلى قبر صلاح الدين الايوبي رحمه الله عند الجامع الأموي وركله بقدمه وقال له: «ها قد عدنا يا صلاح الدين» وفي اليوم الثاني عمل الشيء نفسه في حمص حيث ذهب إلى قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال: «نحن هنا يا خالد»[١] إن جذور هذا الحقد قديمة ضاربة في اعماق التاريخ تظهر عند ضعف المسلمين وانكسارهم كأنها على اختلاف الديار والأقوام تخرج من صدر واحد ولسان واحد. هذا في الناحية العسكرية فلما وجدوا أنها أصبحت لا تلائم العصر وأنها لا تستمر أمام الغيرة الاسلامية، قصدوا إلى تدمير الاسلام والدعاة إليه والمعتنقين له من الداخل ووضعت لذلك المناهج والمخططات ودربت الكوادر والأشخاص للقيام بهذه المهمة، ولابعاد المسلم عن مصدر قوته وهو الاسلام».

يقول العلامة (مسمر) «أن الغربي لا يصير عالماً إلا إذا ترك دينه بخلاف المسلم فإنه لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلاً»[٢].

فلتفت اعداء الاسلام إلى بذر الشبهات واحياء النعرات وتحسين الضلالات ومحاولة احياء الجاهليات والعادات القديمة باسم الفلكلور والاصالة، واحياء الشعوبيات وبعث الزندقة باسم الفلسفة والتخويف من شبح القديم في الأخلاق والعادات الكريمة، وإشاعة الاباحية باسم الحرية، عن طريق القصة، والسكوت عن أمجاد المسلمين ورجال الاسلام، وعدم تربية الأولاد أو اعطائهم الوجبات اللازمة لتربيتهم على المقومات الاسلامية والمناهج الربانية واعلاء

(١) الحضارة الاسلامية مقارنة بالحضارة الغربية للمؤلف.
(٢) شبهات التغريب ص ٢٠.

الامثلة الشـاذة من المنحرفـين في الفكر الاسـلامي مثل أبي نـواس، وبشـار وابن الروندي وابي الفرج الاصفهاني، وابن المقفع وامثالهم.

ولقـد صرح المبشـرون والمستشرقـون أكثر من مـرة أن هدفهم الاسمى من القاء الشبهات هـو خلق اجيال جـديدة من العـرب المسلمين تحتقـر كل مقـومات الحياة الاسلامية وتهزأ بالفكر الاسلامي ودعاته، تتقاتل فيما بينها وتتناحر.

قال لويس التاسع ملك فرنسا الذي أسـر في دار ابن لقمان بـالمنصورة في وثيقـة محفوظـة في دار الوثـائق القوميـة في باريس: «أنـه لا يمكن الانتصـار عـلى المسلمين من خلال حرب، وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع ما يلي:

- إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملاً في أضعاف المسلمين.
- عدم تمكين البلاد الاسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح.
- افساد انظمة الحكم في البلاد الاسلامية بـالرشـوة والفساد والنسـاء حتى تنفصل القاعدة عن القمة.
- الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنـه عليه، يضحي في سبيـل مبادئـه «اي الاسلام».
- العمل على قيـام دولة غـربية في المنـطقة العـربية تمتـد ما بـين غزة جنـوباً إلى انطاكيا شمالاً، ثم تتجه شرقاً، وتمتد حتى تصل إلى الغرب»[1].

ترى كيف كان يـدبر ويـدرس هذا السجـين في قعر سجنـه، وكيف كانت خطته وما زالت تعمل عملها وتظهر أثارها إلى العصر الحديث.

---

(١) من حديث للوزير المصري احمد كمال وزير الري العدد ٢١٠٦ من أخر ساعة.

ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت انكلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية:

أ - الغاء الخلافة الاسلامية، وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله.
ب - أن تتعهد تركيا باخماد كل حركة يقوم بها الاسلاميون انصار الخلافة.
ج - أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام.
د - أن تختار لها دستوراً مدنياً بدلاً من دستورها المستمد من أحكام الاسلام.

فنفذ كمال اتاتورك الشروط السابقة، فانسحبت الدول المحتلة من تركيا ولما وقف كرزون وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا، احتج بعض نواب الانكليز بعنف على كرزون، واستغربوا كيف اعترفت انكلترا باستقلال تركيا، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الاسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب.

فأجاب كرزون: لقد قضينا على تركيا، التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم...

لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: «الاسلام والخلافة. فصفق النواب الانكليز كلهم، وسكتت المعارضة»[1].

أراينا ما هو هدف اعداء الاسلام وما هي اغراضهم ولماذا يلقون الشبهات ويتبنونها ويعدون لها.

لا شك أن وراء تصدير تلك الشبهات الحاقدة على الاسلام واهله ودعاته جمهرة من الحاقدين والأعداء، وأصحاب الأهواء، الذين يجمعهم حزب آثم وغاية رخيصة، ويضمهم تحالف رهيب مدمر وملوث، يساند هذه الأفواج

(٢) كيف هدمت الخلافة ص - ١٩٠.

المشبوهة ذيول من المخدوعين واتباع من المنافقين والنفعيين والجاهلين.

فاعداء الاسلام واعداء الحق في مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف الوانهم واجناسهم يجمعهم الحرص الشديد على عداء الاسلام والكيد له، فمن النادر جداً في التاريخ المعاصر والقديم على سواء، أن توجد مرارة وكراهية شديدة وعنيفة وشرسة نحو دين واحد، مثل تلك التي توجه إلى الاسلام وإلى دعاته، إن الظلم والغشم الفاحش والجور البين الذي صب على المسلمين ويصب عليهم الأن بدون ذنب أو جريرة لغريب في التاريخ وحقيق بالدراسة والتأمل. وإن كان لا يفجؤنا هذا العداء أو يبغتنا، فقد أخبرنا به ربنا جل شأنه من أول يوم، وفي بدء الطريق. فقال، سبحانه: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة - ١٣٠).

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ (البقرة - ٢١٧)

﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ ﴾ (الكهف - ٢٠).

﴿ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (آل عمران ١٤٩﴾

وإذا رجعنا إلى تاريخ الاسلام منذ يومه الأول وإلى دعوته في فجر طلعتها، لاحظنا هذه الظاهرة واضحة، قد سجلها القرآن الكريم في مراحلها الأولى، وكشف عن الخطر الكامن المبيت ضد الحق وأهله، وعن التحفز المستأسد المتربص لالتهام الدعوة الوليدة، فدعا المسلمين إلى اليقظة الدائمة والمواجهة الصامدة، والاستعداد المستطاع فقال: «واعدوا» «وصابروا» «ورابطوا» ورسم

لذلك منهجاً واضحاً للدفاع عن الحق لرفع رايته والسير به قدماً إلى غايته التي أرادها الله أن تكون في الأرض.

فإذا بحثت كثير من الشبه وإذا أريد معرفة أغوارها ومصادرها، وجدت أنها تنتمي إلى اعداء الاسلام والمسلمين، وإلى أصحاب المصالح في كبت الحق واطفاء نوره.

٢ ـ كوادر مدربة للتلبيس على الناس ، والأمر اليوم في تلفيق الشبهات لا يخرج من مجرد القلوب الحاقدة أو الالسن الجارحة ، وإنما يتبع ذلك ويعاضده ويقويه تخطيط محكم وترتيب منظم ، يحمله ويبلغه كوادر مدربة ومهيأه ومعلمة ومنتقاة بأساليب متنوعة ومجربة ، في أشكال مختلفة ، كالارساليات التبشرية والمدارس الاجنبية والجمعيات الخيرية ، والمنظمات الدولية ، والبعثات العلمية والشعارات الوطنية .

يصاحب ذلك الدعاية المناسبة ، والصحيفة المرغبة ، والكتاب المشوق والرواية المحببة ، والاذاعة القوية ، والمؤتمرات والمحاضرات ، والدراسات والندوات واستغلال العواطف ، والنزعات . ولهذا تداعب تلك الشبهات عقول الشباب وتطرق قلوب الفتيان وتلح على نفوسهم وأعصابهم وغرائزهم . فلا يملكون لها دفعاً إلا من عصم ربك .

٣ ـ فاسد وصاحب هوى. أصحاب الشهوات والأهواء وعشاق الضياع وقتلى المذاهب الهدامة ، وصرعى الترف والدمار الروحي ، يريدون الغرق في الملذات والغوص في الشهوات ، واستنفاد الطاقة ، يسكرون بالضلال ، لا يريدون أن يصحوا من نوم ، ولا أن يتيقظوا من غفوة أوبله ، يتبعون كل غريب شاذ ويلهثون وراء كل متعة مستقذرة ، فتراهم يصابون بالأمراض الفتاكة

من العرى والخنفسة وتخنث الرجال وترجل النساء وكل شاذ غريب مما يشوه انسانية الانسان ويقضي على رجولته ويباعد بينه وبين كرامته التي خصه الله سبحانه وتعالى بها من بين سائر مخلوقاته .

فهو بهذا يكره الرجولة ويمقت الفضيلة ، وينفر من الاستفادة ويعادي الهداية لا يحب الجد ولا يهوى طريقه ، ولا يحمل التبعة أو يقوي على حمل الامانة ، وإنما يفر منها ويمقتها .

ولهذا تراه حرباً على الدعوة ورجالها ، لأنه يظن أنهم سيسلبونه هناءه ، ويغتصبوا منه ملذاته وشهواته ، ويكشفون عوراته ويطاردون باطله ، يريد أن يظهر له شرفاً فيفتري على أصحاب الدعوة ومنهجها وأن له فضلاً فيثير الشبهات حول دعاة الفضل وأهل الحق والمعروف، وصدق الله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ (البقرة ـ ١٢، ١٣) .

ومن هذا ، أصحاب الأهواء والظلمة الذين يأكلون لحوم الناس ويمتصون دماءهم فإذا رؤوا الحق ، افترسوه دفاعاً عن باطلهم ، ومن هؤلاء من يستعبدون الناس ويسخرون قواهم ويستحلون حرماتهم فإذا أراد هؤلاء الفرار إنقضوا عليهم وفتكوا بهم ، وإذا طالبهم دستوراً أو سلطان أو دعوة أو دعاة ، صبوا عليهم الدمار، والغي، وصدق الله ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (البقرة ـ ٧٨) .

وأصحاب الأهواء والمفسدون في الأرض لا يفعلون ذلك بالدعوة والدعاة إلا ويكونوا قد فقدوا كل نزعة للخير فيهم وكل إثارة للضمير في جوانحهم ، قد صموا آذانهم واغلقوا عقولهم ، وأهلكوا أنفسهم ، ولو شاؤوا لرفعوا بالحق نفساً واعلو به همة ، وأسسوا به كرامة ، ولكنها الإخلاد إلى الحيوانية الجانحة وإلى

الـطينية السـافلة ، وصدق الله ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ (الاعراف ١٧٦) .

ينقلب صـاحب الهوى عن الهـدى يتبـع هـواه ، ويهبط من الأفق المشـرق فيلتصق بالطين المعتم فيصبح غرضاً للشياطين ، وإذا هو مسخ في هيئة الكلب . أفتـرى هذا ، بعـد أن صار إلى هـذا الدرك ، يقبـل أي قيمة أو يهـادن أصحاب الحق .

٤ ـ الملأ

الملأ هم أشراف النـاس ووجهاؤهـم الـذين يملأون العيـون جمالاً والقلوب هيبةً[١]

وعـادة يكون المـلأ لهم علاقـة بـالسلطة يمـالئونها وتمـالئهم ، ويمـدحـونها وتعطيهم ، ويتقربـون إليها وتتقـرب منهم ، يشتركـون في كثير من المصـالح مـع السلطة ، ويرتبطون بوشائـح المنفعة والمصلحـة ، فهم بطانـة السلطة وشموسهـا وأقمـارها ، تشتـرك معهم في مجرة واحـدة ، وتـدور معهم في فلك واحـد ، إذن فكل ما لا يرضى السلطة لا يرضيهم ، بـل غالبـاً ما يكـونون لسـان حالهـا ، أو المحرضين لها على فعل ما يوافق أهواءهم ومصالحهم بما يزيدهم وجـاهة وسـطوة وقوة على العباد وترفاً في أموال الناس .

وقـد تكلم القرآن عـلى الملأ ، وبـين دورهم في مواجهـة دعوات الـرسـل صلوات الله وسلامه عليهم .

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ـ في المادة .

- فنرى القرآن يحكي مواجهة الملأ لنوح عليه السلام فيقول :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾(الاعراف - ٦٠) .

- نراهم في مواجهة هود عليه السلام ، ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٦٦ ﴾(الاعراف - ٦٥) .

- ونراهم في مواجهة صالح عليه السلام : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴾ .

- نراهم في مواجهة شعيب عليه السلام «قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ (الاعراف - ٩٠)

- في مواجهة موسى عليه السلام «قال الملأ من قوم فرعون أن هذا لساحر عليم»

- نرى كيف كان هؤلا الملأ يقفون حجر عثرة في سبيل دعوة الحق وفي سبيل تبليغ الهدى ، وكيف كانوا يتصدون للرسل ويحاولن القضاء عليهم وإشاعة الافك حولهم حتى لا يستطيع رسول أو مصلح أن يغير ما هم عليه من فساد واستغلال وتسلط ، بل ونراهم إذا هدأت العواصف واستقرت بعض الزوابع يثيرونها من جديد وينفخون نار العداوة ويوقدون سعار العنجهية في أصحاب السلطة ، فنسمع ، ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى

ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾(الاعراف ـ ١٢٧) .

فإذا رأى الملأ من السلطة بعض الفتور قاموا هم بعبء محاربة الداعية والتحريض عليه ، بل بقتله إن أمكن والتأمر عليه ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾(القصص ـ ٢٠) .

إذن فما الذي يدفع هؤلاء الملأ إلى كل هذه العداوة وإلى كل هذا الحقد وهذا التصدي المميت ، يدفعهم حب شهواتهم ، المحافظة على ما اكتسبوه بغير حق ، الاستفادة من الفساد ، إحتلال ما لا يستحقونه من مناصب ومراكز ، فلو وسد الامر لأهله لكانوا هم في القاع لا في القمة ، وفي الحضيض لا في الذؤابة وفي شظف العيش ، لا في رغدة ، وترفه واسرافه . فهل ترى أنهم يسلمون بيسر أو يؤمنون برغبة .

٥ ـ العوام «الجهلة»

هؤلاء فئة من الناس ، يسميهم بعض الناس بالعوام وإن كان في هذه التسمية بعض التجاوز، ويسميهم البعض بالجهلة بعواقب الامور . وهم جماعة من الناس لا يقدرون العواقب ، أو يعرضون أفعالهم وأقوالهم على عقولهم لتمحيصها وهذه الطائفة هي التي عناها القرآن بقوله ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (النساء ـ ٨٣) .

هؤلاء الناس وإن كانوا من المسلمين إلا أنهم لا يقدرون النتائج فيأخذون الأخبار الكاذبة ويشيعونها بحسن نية حباً في إذاعة الأخبار وإرضاء لشهوة في

نفوسهم ، فيساعدون الأعداء من حيث لا يشعرون :

والصورة التي يرسمها النص هي صورة جماعة من المسلمين لم تألف نفوسهم النظام ، أو يقدروا أو يفهموا قيمة وحجم ما تحدثه الشبهة أو الاشاعة في خلخلة الصف المسلم ، وفي النتائج التي تترتب عليها . وقد تكون قاصمة لأنهم لم يرتفعوا الى مستوى الاحداث ، ولم يدركوا جدية الموقف أو مكانة الداعية ، وإن كلمة عابرة وفلتة لسان قد تجر من العواقب على الشخص ذاته وعلى الدعوة وعلى الداعية ما لا يخطر على بال ، وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال . فإن الصف المؤمن يستحيل أن يسلم من بعض الأخطاء غير المتعمدة فإذا وضعت في مجاهير ، وأشيعت ، واستشهد عليها ببعض الاغرار الذين لا يقدرون العواقب كان لها مردودها السيء على الدعوة والدعاة .

وعلى أي حال فهذه تكون سمة الأمة أو الجماعة التي لم يكتمل نظامها بعد ولم تعود على ضبط الامور وتحمل المسؤولية ولم يكتمل ولاؤها لقيادتها ولأمتها وعقيدتها ، وهذه كانت موجودة في المجتمع المسلم قبل ذلك ، ثم استطاع المجتمع بتعاليم القرآن وبهداية الرسول ﷺ أن يربي هذه الفئة ويلفتها إلى ما يجب عمله عند سماع أخبار تضر العقيدة أو المسلمين أو الدعاة ، فقال سبحانه ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1] أي أنهم ردوا ما يبلغهم من أنباء وأخبار وشبه إلى الرسول إن كان معهم ، أو إلى أولى أمرهم والمختصين فيهم لعلمه القادرون على إستنباط الحقيقة ، واستخرجوا من ثناياها ، السموم المغرضة التي يراد منها إشاعة وبلبلة الأجواء حول الدعوة والداعية وحول المسلمين .

وقد يكون من هؤلاء من يستغلون . ضد أقوامهم وضد عقائدهم ، من الذين يرغبون أو يرهبون . مثل أصحاب الثقافات الدخيلة ، ومثل الطابور

(١) النساء - ٨٣ .

الخامس ومثل المطرودين من بلادهم لسوء سلوكهم ، أو اقترافهم في حق عقيدتهم ودعوتهم ما يشين ، أو مثل المهزومين نفسياً وعقائدياً ، أو مثل من يخوفون بإطهاد أسرهم أو مصادرة أموالهم . إلى غير ذلك .

يستغل هؤلاء وأولئك في التقول على الإسلام والمسلمين وعلى أممهم وعلى دعوتهم وعلى دعاتهم ، ويكونون مادة للدعاية وركائز للشبهات .

المبحث الرابع
أنواع الشبهات

إنطلق المثيرون للشبهات حول الدعوة والداعية ، يروجون الاشاعات المغرضة ويفترون الاكاذيب المضللة ، في كل ناحية ، في المجتمعات في الصحائف في الكتب ، في الاذاعات في التلفاز .

في الندوات في البحوث والمؤتمرات ، يريدونها دوياً مهلكاً وضباباً كثيفاً بل ولهباً مستعراً حول الدعوة والداعية ، أو حول الفكرة والتنفيذ ، أو حول المنهج والقدوة . ولكي تكون كذلك ولكي تؤدي غرضها المطلوب منها على أحسن وجه . قذفوا تلك الشبهات الى ثلاثة أغراض :

الغرض الأول : هو الداعي ، الثاني : هو الدعوة ، الثالث : هو حقل الدعوة ،وهم الناس المحيطون بالداعية .

شبهات حول الداعي

فأما ما يتعلق بالداعي ، فإن الشبهات لا بد وأن تحيطه من جميع جوانبه إحاطة السوار بالمعصم كما يقولون ، يتمثل ذلك في الطعن في شخصه ، وأهله وعشيرته ، وحلقه وسلوكه وسيرته في مكانته وحالته الإجتماعية ، في عقله ، برميه بالسفه والجنون والجهالة والضلال والكذب ، في غايته وهدفه ، بأنه يريد رياسة يسعى إلى حكم أو منصب أو جاه وسلطان ، في امانته : فيقولون أنه

عميل أو جاسوس ، يعمل لحساب الاعداء أو جهات أجنبية ، إلى غير ذلك من الأوصاف التي يختار لها القرائن والادلة والشهود ، حتى ينخدع البسطاء ، ويرتاب العقلاء ، وييأس المخلصون ، ويكبت المتحمسون ، ويهلك العاملون .

ونرى القرآن يحدثنا عن تلك الطعون والافتراءات التي اطلقها المشركون على رسول الله ﷺ ، وعلى الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بما يلي :

١ ـ اليتم والفقر

فقالوا عن رسول الله عليه وسلم أنه يتيم فقير «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» ، وكذلك قيل في الانبياء «أني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال» .

٢ ـ أبتر لا عقب له

يقال : أبتر لا عقب له ، قال المفسرون كان أكبر ولد لرسول الله ﷺ القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقيه فمات القاسم عليه السلام ، وهو أول ميت من ولدة عليه الصلاة والسلام بمكة ثم مات عبدالله عليه السلام ، فقال العاص بن وائل السهى قد انقطع نسله فهو ابتر ، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1]

٣ ـ الجنون ، الشعر ، السحر ، الكهانة

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ (الحجر ٦) .

ويقولون ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (الذريات ٥٢) ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩﴾ (الطور ـ

١ ـ تفسير الالوس «روح المعاني» جـ ٣٠ ص ٣١٧ دار الفكر ـ بيروت

٢٩) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ (المؤمنون ـ
٧٠) ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ
كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الحاقة ـ ٤٠ ـ ٤٣) .

عجيب أمر هؤلاء الناس ، لقد مكثت الرسل بينهم أزماناً متطاولة قبل الرسالة فما اتهموا بشيء وإنما كانوا موضع الاحترام والتجلة والعقل والرصانة والأمانة والفطانة وحسن السمعة والسيرة ، فلما اكتمل هذا الهدى بالرسالة وأتم الله النور بالوحي ، صاروا مجانين وسحرة وكهنة وشعراء ، وكان الأولى أن تقاس الامور بأشباهها وترد إلى أصولها ، فالعاقل والنابه والامين صغيراً ، يكون كبيراً وراشداً ، أقوى ما يكون وأعقل ما يجب وأهدى ما يبتغي ، هذا هو ما لفت القرآن الكريم إليه هؤلاء الناس فقال ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (الشعراء ـ ٢٢٢) ، وما لفت إليه لقوله ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ (الشعراء ـ ٢٢٦) .

أي أن الشياطين لا تنزل ولا تلامس أو تتصل اتصال عون واتفاق إلا على أمثالهم من شياطين الإنس الآثمين الكاذبين المفترين ، أما الانبياء والهداة والمخلصون فإنهم يعانون بأنوار الوحي وأشعة الهداية ، وتوفيق الله سبحانه وتعالى وكذلك أتباع الرسل وصحابة الأنبياء وحواري الهداة ، يقتبسون من مشكاتهم ويهتدون بهداهم ويسيرون على نهجهم ، بالأرواح جنود مجندة ما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها اختلف ، ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (النور ـ ٢٦) .

هذا ما يجب أن يفهمه أصحاب العقول ، وأهل الألباب واولو الحجا ، أما أصحاب النفوس المريضة والأفهام السقيمة والأذواق العليلة ، أما المتربصون

الحاقدون الهابطون ، فإن لهم شأناً آخر وأفقاً مختلفاً يتميز بالهبوط والغباء والجحود ، ويتصف بالنذالة وتغيير الحقائق الى النقيض ، فتراهم يصفون العباقرة بالجنون ، والهداة بالسحرة ، والعباد المخلصين بالكهانة ، إلى غير ذلك من الأوصاف الشاردة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾(ابراهيم - ١٠ ، ١١) .

٤ ـ الافساد في الأرض

قصة الافساد في الأرض ، وقصة الفتنة من أغرب ما سمع في القديم والحديث . والعجيب أن هذه القصص وهذه الأقاويل تنطلق من أعتى المفسدين ، ومن أبغى الظالمين ـ ضد أطهر الناس وأفضلهم وأصلحهم ضد الأنبياء والهداة والدعاة إلى الفضيلة ويكاد الانسان يذهب عقله دهشة وحيرة ، حين يسمع هذا القول مثلاً من فرعون ومن كل فرعون على مر الزمان والعصور ، الذين يقتلون الناس ويشربون الدماء ليل نهار ، والذين يهتكون الحرمات ويستبيحون الناس صباح مساء ، ننظر إلى هذا المشهد لنرى من المفسد ومن المصلح ، من الباغي ومن الصابر المحتسب ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ونرى مشهداً آخر لفرعون وملئه ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ (الأعراف : ١٢٧) ظلم وبغي وسفه ورعب وإبادة جماعية ، فلما جاء موسى بالهدى والعقل والسعادة والأمن كان هو المفسد الباغي وهو مقيم الفتنة ومحرض على العصيان ولو فعل موسى ذلك في مواجهة هذه الابادة الباغية الماحقة لكان حقيقاً به ولكان أسلوباً

من أساليب رد الظلم ، ولكنه قال لقومه غير ذلك ، ولكنه اتخذ جانب السلامة والمهادنة المطلقة « قال موسى لقومه استعينوا با واصبروا » ولكن كيف يقول : اصبروا ، أليس في هذا إفساد ، وفي هذا فتنة ، نعم إنها لاحدى الكبر التي تتكرر دائماً ولايلتفت إليها إلا أولو الألباب .

ولنترك القرآن يقص علينا هذه القصة في سطور ونسمع هذا البيان العجيب والايحاء المعجز يصور لنا هذا الغرور والسفه والكبر في مواجهة هداية الله ورسوله «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ، الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ، فلما جاءهم بالحق من عندنا ، قال اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوانساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال ، وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ، وقال موسى أني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب» ، وتتكرر المأساة مع الأنبياء والمصلحين والدعاة ، وما ذكرها القرآن إلا ليظهر الحق من الباطل وينبه الأذهان إلى أن الحكم على الأشياء يجب أن يكون من خلال الحقائق لا من خلال الشعارات والدعاوي والدوي الإعلامي ، ومن خلال استعمال مقاييس الفضيلة ومنهج الهداية الربانية ، لا من أفواه أصحاب المصالح والشهوات .

٥ - طلب الرياسة والسلطة :

إن السلطة على الجماهير في حقيقتها تعب ومسؤولية وإرهاق ، لأنها أمانة في كل جوانبها ، لا يصلح لها إلا القوي الأمين ، ولذا فإن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر حينما قال له يا رسول الله ألا تستعملني ؟ قال فضربني بيده على منكبي ثم قال : «يا أبا ذر أنك ضعيف وإنها أمانة» . فالحاكم مسؤول عن رعيته ومكلف برعاية مصالحهم والقيام على شأنهم ، شأن أي راع ، فقد روى البخاري والترمذي وأبو داود بسنده عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت

رسول الله ﷺ يقول «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعيـة في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها ، والولـد راع في مال ابيـه وهو مسؤول عن رعيتـه ، والعبد راع في مـال سيـده ، وهـو مسؤول عن رعيتـه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»

وهذه الأمانة عليها رقـابة من الله ومن النـاس ، فإن حـاد الامام عنهـا قوم بـالقول والفعـل . روى أنس بن مالـك ما خـلاصتـه قـال : كنـا عنـد عمـر بن الخطاب إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال : يـا أمير المؤمنـين : أجرى عمـرو بن العـاص الخيل بمصـر ، فأقبلت فـرس لي ، فلما تراءهـا الناس ، قـام محمـد ابن عمرو بن العاص فقال: فرسي ورب الكعبـة، فقلت فرسي ورب الكعبـة، فقام وضربني بالسوط وقال خذها وأنا ابن الاكرمين . فاستدعى أمير المؤمنين عمرو بن العاص وابنه فلما قـدما ، إستحضـر المصري . وبعـد أن استوثق أمـير المؤمنين ، قال للمصري دونك الدرة . اضرب إبن الأكرمين ، فضربه ، وقال عمـر لواليـه عمـرو : والله إن إبنك مـا ضر بـه إلا بفضـل سلطانـك ، أيـه يـا عمـرو ، متى إستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» وأذن للمصري بالانصراف وقال : «إن رأبك شيء فاكتب لي»[١]

فإذا استقام الحاكم وإلا خلعه الناس : قال القاضي عياض فلو طـرأ عليه «أي الخليفة» كفر ، أو تغيير للشرع او بدعة ، خـرج عن حكم الولايـة وسقطت طـاعته ، ووجب عـلى المسلمين القيـام عليـه وخلعـه ونصب إمـام عـادل وهـذا مصـداقاً لحـديث رسول الله ﷺ الـذي رواه عبـادة بن الصـامت رضى الله عنـه قـال : قال رسـول الله «سيلي أمـوركم من بعدي رجـال يعرفـونكم مـا تنكـرون

---

١ - سيرة عمر لابن القيم ٧٣

وينكرون عليكم ما تعرفون فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل» رواه الحاكم والطبراني . وهو حديث صحيح .

فالحكم والسلطة على هذا أعباء ، لا يجري إليها شخص لمجرد شهوة أو هوى وإنما لا بد أن توليه الأمة وترضى به وتعرف أنه سيحمل الأمانة : ولهذا قال ﷺ «لن نستعمل على عملنا من إرادة» وفي رواية «إنا لا نستعين في عملنا بمن سألنا» البخاري ومسلم .

فالرياسة إذن حمل كبير وعمل ليس بالهين على من يقوم بحقه .

أما من يعتبرها مغنماً ومتاعاً وترفاً واستغلال للناس ، أما من يستعبد الناس ويستغل حقوقهم ويركب ظهورهم ، فهو لا يشعر بشيء من تلك الأمانة ومن هذه الحقوق ويهيأ له أنها ملكاً عاضداً ، وأنها حقوق مكتسبة او ميراث عن الاجداد يحق له أن يتصرف فيه بالبيع أو الهبة ، ولهذا فكل من يخالفه أو يدعو الى حق أو يتقدم بإصلاح أو نقد أو ضجر ، أو حتى مجرد اعتراض على خطأ . يتهمه بالطمع في هذا المتاع الذي تحت يده ، وهذا النعيم الذي هو فيه .

ولهذا نرى أن رسل الله حينما جاءت بالهداية لازاحة الكفر والظلم والبغي والعدوان ، اتهموا سريعاً بأنهم يريدون السلطة والملك ، فقال تعالى عن قوم نوح ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (المؤمنون ـ ٢٣) .

وكذلك قيلت لموسى عليه السلام «قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه أباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض» وقيلت لرسول الله ﷺ «إن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا» وتقال لكل طالب إصلاح وصاحب دعوة إذا كان في مثل تلك الأجواء الملبدة بالشهوات الشاردة عن الحق .

٦ ـ الخيانة والاتصال المشبوه

من أساليب المبطلين في إثارة الشبهات حول الداعية ، زعمهم أنه متصل بجهات أجنبية أو بقوم معينين يعمل لحسابهم ، ويحرضونه على ما يفعل ، وأن هذا الداعية له صلات مريبة ، تقصد إلى إثارة القلاقل وبث الفتن وزعزعة النظام ، ومعنى هذا أنه عميل خائن يخشى منه . وأن دعوته سبيل إلى الوصول إلى ما يريد من تلك الأهداف المدمرة ولهذا يجب الضرب على يده بشدة ، وتحذير الناس منه ، وكشف مخططاته واغراضه . فبإسم الحق وبإسم الحرية وبإسم الأمة يجب تدارك هذا الخطر ، وفصل هذا الداء ، والقضاء على هذه العمالة والخيانة .

وتظل المصادر المثيرة للشبهات تردد على أسماع الناس هذه الأكاذيب صباح مساء ، وتظل تدبج لها البراهين الواهية والأدلة التافهة وتشيعها وتستفتى عليها ، حتى تجسمها حقيقة ، وتجعلها صرحاً ، وتنصب لها الرايات .

وقبل ذلك وبعده تبيت النية على إرهاق الداعية وتلويث سمعته وإهلاكه وإزاحته من طريق الباطل ، وليست هذه الشبهة بجديدة ، فقد واجهها رسول الله ﷺ وواجهتها دعوة الإسلام وذكرها القرآن الكريم ونبه عليها فقال : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ﴾ (الفرقان ٤ -٦).

ومن العجيب أن الداعية قد يتهم بنقيض ما يدعوه إليه وما يعارضه فمثلاً سمعنا في أرجاء الوطن الإسلامي أن المتمسكين والداعين إلى الإسلام عملاء لاسرائيل ، والواقع أن كل مسلم عامل للإسلام حامل لرسالته عدوه الأول اسرائيل لاغتصابها وطناً إسلامياً وطردها المسلمين من ديارهم وأخذ أموالهم

وفضح حرماتهم وسفك دمائهم ، ومن ناحية أخرى فإن عدو اسرائيل الأول ، هو هذا الصنف من الناس ، المتمسكين بدينهم المحافظين على قيمهم المجاهدين في سبيل رسالتهم ولهذا يقول : ابن غوريون ، رئيس وزراء اسرائيل : أن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد[1] ويقول الكاتب الصهيوني «ايرل بوغر» في كتابه العهد والسيف الذي أصدره عام ١٩٦٥ ما نصه : «إن المبدأ الذي قام عليه وجود اسرائيل منذ البداية هو أن العرب لا بد أن يبادروا ذات يوم إلى التعاون معها ، ولكي يصبح هذا التعاون ممكناً يجب القضاء على جميع العناصر التي تغذي شعور العداء ضد اسرائيل في العالم العربي ، وهي عناصر رجعية من رجال الدين والمشايخ»[2] .

فأعداء الإسلام كل أعداء الإسلام يعرفون تماماً من عدوهم الأول الذي يجب أن يباد ، وما هي العقبات التي يجب أن تزول من طريقهم حتى يستطيعوا سحق تلك البلاد الإسلامية وأخذها كلقمة سائغة شهية ، وأول تلك العقبات هي . المتمسكون بالإسلام والدعاة إليه . فلا بد من إزالتهم والقضاء عليهم .

حدّث ضابط عربي كبير وقع أسيراً في أيدي اليهود عام ١٩٤٨ ، أن قائد الجيش اليهودي دعاه إلى مكتبه قبيل إطلاق سراحه ، وتلطف معه في الحديث .

سأله الضابط المصري : هل أستطيع أن أسأل ، لماذا لم تهاجموا قرية صور باهر ؟

أطرق القائد الاسرائيلي إطراقة طويلة ، ثم قال : أجيبك بصراحة ، إننا لم نهاجم قرية صور باهر ، لأن فيها قوة كبيرة من المتطوعين المسلمين المتعصبين .

(١) انظر جريدة الكفاح الاسلامي ١٩٥٥ ـ عدد الاسبوع الثاني من نيسان
(٢) الاسلام في معترك الحضارة لعمر بهاء الاميري ص ٢٨ ط ١ دار الفتح بيروت سنة ١٩٦٨ م .

دهش الضابط المصري ، وسأله فوراً : وماذا في ذلك ، لقد هجمتم على مواقع أخرى فيها قوات أكثر . . . وفي ظروف أصعب !!

أجابه القائد الإسرائيلي : ان ما تقوله صحيح ، لكننا وجدنا أن هؤلاء المتطوعين من المسلمين المتعصبين يختلفون عن غيرهم من المقاتلين النظاميين يختلفون تماماً ، فالقتال عندهم ليس وظيفة يمارسونها وفق الأوامر الصادرة إليهم ، بل هو هواية يندفعون إليها بحماس وشغف جنوني . وهم في ذلك يشبهون جنودنا الذين يقاتلون عن عقيدة راسخة لحماية اسرائيل، ولكن هناك فارقاً عظيماً بين جنودنا وهؤلاء المتطوعين المسلمين إن جنودنا يقاتلون لتأسيس وطن يعيشون فيه ، أما الجنود المتطوعين من المسلمين فهم يقاتلون ليموتوا . إنهم يطلبون الموت بشغف أقرب إلى الجنون ، ويندفعون إليه كأنهم الشياطين ، إن الهجوم على أمثال هؤلاء مخاطرة كبيرة ، يشبه الهجوم على غابة مملوءة بالوحوش ، ونحن لا نحب مثل هذه المغامرة المخيفة ، ثم إن الهجوم عليهم قد يثير علينا المناطق الأخرى فيعملون مثل عملهم ، فيفسدوا علينا كل شيء ، ويتحقق لهم ما يريدون .

دهش الضابط المصري لإجابة القائد الاسرائيلي ، لكنه تابع سؤاله ليعرف منه السبب الحقيقي الذي يخيف اليهود من هؤلاء المتطوعين المسلمين .

قال له : قل لي برأيك الصريح ، ما الذي أصاب هؤلاء حتى أحبوا الموت وتحولوا إلى قوة ماردة تتحدى كل شيء معقول ؟ !!

أجاب القائد الإسرائيلي بعفوية : انه الدين الإسلامي يا سيادة الضابط . ثم تلعثم وحاول أن يخفي إجابته فقال : إن هؤلاء لم تتح لهم الفرصة كما أتيحت لك ، كي يدرسوا الأمور دراسة واعية تفتح عيونهم على حقائق الحياة ، وتحررهم من الخرافة ، وشعوذات المتاجرين بالدين ، إنهم لا يزالون ضحايا تعساء لوعد

الإسلام لهم بالجنة التي تنتظرهم بعد الموت .

ثم تابع مسترسلاً : إن هؤلاء المتعصبين من المسلمين هم عقدة العقد في طريق السلام الذي يجب أن نتعاون عليه ، وهم الخطر الكبير على كل جهد يبذل لاقامة علاقات سليمة واعية بيننا وبينكم وتابع مستدركاً ، وكأنه يستنفر الضابط المصري ضد هؤلاء المسلمين : تصور يا سيدي أن خطر هؤلاء ليس مقتصراً علينا وحدنا . بل هو خطر عليكم أنتم أيضاً . إذا إن أوضاع بلادكم لن تستقر حتى يزول هؤلاء ، وتنقطع صرخاتهم المنادية بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، هذا المنطق الذي يخالف القرن العشرين قرن العلم ، وهيئة الأمم المتحدة والرأي العام العالمي ، وحقوق الانسان . واختتم القائد الاسرائيلي حديثه بقوله : يا سيادة الضابط ، أنا سعيد بهذا الحديث الصريح معك . واتمنى أن نلتقي لقاء قادماً ، لنتعاون في جو أخوي لا يعكره علينا المتعصبون من المسلمين المهووسين بالجهاد وحب الاستشهاد في سبيل الله»[1]

وبعد كل هذا وبعد توالي الحوادث أرأيت من المشبوه ومن الذي ينفذ أوامر أعداء المسلمين ومن يسير على مخططاتهم ، إن أعداء الإسلام لن يتركوا المسلمين بغير فتن أو تخاصم أو تقاتل ، فليحذر الجميع وليعيش المسلمون أخوه في ظل هداية ربانية حانية .

شبهات حول الدعوة

لم تسلم دعوة رسول من الرسل من الشبهات ومن التجريح الذي يلازم ظهورها ، ويواكب تقدمها ، في القديم والحديث ، فقد اتهمت الدعوة قديماً بما يلي : -

(١) مجلة المسلمون ـ العدد الاول من المجلد الثامن ـ شهر تموز عام ١٩٦٢م . ، واختصار قادة الغرب يقولون لجلال العالم ص ٤٣ وما بعدها .

١ - بالابتداع والخروج على مألوف الناس وتقاليدهم ونظمهم ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾ (ق - ٢ - ٣) .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ (يس - ٧٨)

﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص ٤ -٥) .

٢ - الخروج على دين الأباء وتراث الاجداد قالوا ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (الاعراف ٧٠)

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الزخرف - ٢٣ - ٢٤) .

من العجيب أن يكون هذا هو أسلوب الناس مع الهدى ، ومع الرسول فما جعل العقل للانسان إلا ليكون ميزاناً للصواب والخطأ ، فتعطيله جريمة ، خاصة إذا كان الانسان على خطأ بين ، وجاءته رسالة واضحة صحيحة رائعة ، على يد رسول أمين يشهدون له هم بذلك ويقرون ، فكيف يترك هذا الحق وهذا النور ، ويسير الانسان معصوب العينين لعادة بينة القبح ، لا سند لها إلا عمل الأجداد والأباء الذين خرجوا عن جادة الطريق ببعدهم عن الهدى وبعمل شياطين الانس والضالين من عباد الله سبحانه . وأعجب منه أن يخرج اليوم أناس عن الهدى الصحيح وعن طريق أبائهم المستقيم وعن نور عقولهم لباطل ليس عليه دليل أو برهان ، أو لإلف أو عادة ورسلهم في ذلك جماعات من الافاكين والمدجلين الذين يشهد الجميع بمكرهم وخبثهم وعدائهم للمسلمين .

٣ - دعوة تستغل معانات الناس : وتستهوى الفقراء والمغمورين ، ولهذا

فهم أول الساعين إليها ، وأكثرها الملتحقين بها والمؤيدين لها ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هـود ـ ٢٨) ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ .(١)

ان دعوة الله تبارك وتعالى هي ناموس من نواميسه فهي كالشمس والقمر والهواء والماء فالشمس تدخل كل بيت ، سواء كان كوخاً أو قصراً منيفاً . وكذلك القمر ، وكذلك الهواء يسري في كل رئة ، ويدخل كل صدر وينقي كل دم ويغذي كل جسم بالأوكسجين ، ولكن هناك أقواماً حجبوا أنفسهم عن الشمس والقمر ، وعاشوا في الأجواء الآسنة ومنعوا الهواء النقي أن يتسرب إلى صدورهم ، فهل ترى من الملام ومن الآثم ومن الخاسر .

ولقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا للهدى الذي جاء به ، بالماء الذي ينزل فيعم الجميع ويروي الجميع ، ويصل إلى كل إنسان ، فمنهم من انتفع ونفع ، ومنهم من كان سبباً في النفع لغيره فقط ومنهم من لم ينتفع أو ينفع .

فقال ﷺ : «مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثيرة وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » (البخاري ومسلم)

إن هناك قلوباً غلفت بالآثام وشحنت بالأهواء فتراها تتنافر مع الهداية وترد

(١) الشعراء ـ ١١١

الحق والعدل والنور ، وصدق الله ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (المطففون - ١٤) .

وهذه القلوب لا تستطيع حمل رسالة ، أو الدعوة إليها أو حتى التعايش معها اللهم إلا إذا ، خلصت نفسها من أدرانها ولوثها ، وتحاتت عنها أوساخها وأقذارها وإلا ستظل تنظر بمنظار ملوث قاتم ملطخ ، إلى الوحي وإلى إشراق الرسالة وفجر الهداية ، فتحسبه ليل طويل وظلام بهيم .

ومع هذا ترى هذه القلوب تتحول سريعاً إلى أمر آخر ، يرضى غرورها وكبرها وإن كان في نفس الوقت يكذب دعوها الأولى : تراهم يطلبون من أصحاب الدعوات أن يطردوا هؤلاء المغمورين الفقراء ليلتحقوا هم بهذه الدعوة وتكون لهم الصدارة والوجاهة . لذات الصدارة والوجاهة لا لذات الدعوة والرسالة ، وإلا لطامنوا من كبريائهم ، وخففوا من غلوائهم وخفضوا من تلك الهامات الشامخة ، واستشعروا جلال الله الذي تتساوى في ظله الرؤوس ، وأحسوا رابطة العقيدة التي يصبح معها الناس أخوة ، ولكنهم إنما يتبعون أهواء الجاهلية ، ويحكمون مقاييسها في العقيدة وفي العباد ، والعقيدة لا تنتصر ولا تعتز إلا بمن يريدونها لذاتها خالصة . أما من يريدونهم لشهاوتهم ، أو لأنها غالبة ، ليقودوا بها الأتباع وليبتغوا بها المناصب ، فإنها تكون وبالاً عليهم ويكونون وبالاً عليها . ولهذا أمر القرآن رسول الله ﷺ أن يتجنب هذا الصنف من الناس ويطرح هالتهم ومناصبهم لأنها بغير الإسلام تكون قيم زائفة زائلة لا تثبت بغير تقوى في مجال الدعوات .

روى الامام مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال «كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ أطرد هؤلاء ولا يجترئون علينا ، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت

اسميهما ، فوقع في نفس الرسول ما شاء الله أن يقع فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ وقيل فإذا لم يجدوا استجابة لمطلبهم طلبوا من الرسول أن يجعل لهم يوماً ولهؤلاء الضعفاء والعبيد يوماً ، لأن عليهم ثياباً تفوح منها رائحة العرق فتؤذي السادة من كبراء قريش . ولكنهم يمنعوا هذه الأخرى ، فترى القرآن بعد ذلك يأمر الرسول بملازمة هؤلاء الضعفاء والصبر عليهم فيقول : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف ـ ٢٨) .

نعم إصبر نفسك مع طلاب الحق قصاد الايمان ، فهم لا يريدون بعملهم إلا وجهه سبحانه فعلى مثلهم تقام الدعوات وتسود الرسالات بهذه العزة وهذه الصراحة وهذا الوضوح يسير الحق في طريقه قيماً عزيزاً لاعوج فيه ، قوياً لاضعف فيه ، صريحاً لامدارات فيه ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، فما نزلت الرسالة لجيل من الناس أو لفترة من الزمان وإنما هي هداية لأمة ممتدة ، ورسالة باقية للعالمين ، ونظام ينفي البغي والعدوان ، ويكون الناس في ظله سواسيه كأسنان المشط .

ـ هذه شبهات قديمة حديثة لأن الانسان هو الانسان وان تغيرت المظاهر أو الأسماء وهناك شبهات إخترعت حديثاً ، وما يزال الباطل يفتري وسيظل ما دام هناك حق وباطل وما دامت هناك هداية وضلال .

٤ ـ فهم يقولون ، إن الإسلام أباح الرق ، والحقيقة أن الإسلام وجد الرق نظاماً قائماً ، فسد منافذه وحض على تحرير الرقيق وجعلها قربى إلى الله سبحانه ، وأعطى هذا الرقيق حقوقاً مساوية لسيدة « من كان أخوه تحت يده

فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه ما لا يطيق فإن كلفه أعانه » .

قال ﷺ « إخوانكم خولكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم مايغلبهم فإن كلفتموهم فاعينوهم » وقد أوصى القرآن بهم ضمن ما أوصى فقال : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ (النساء ـ ٣٦) .

ولو سار الناس حسب شريعة الإسلام لانقرض الرق بعد سنين معدودات ، ومن يتهمون الإسلام بهذا يستعبدون الشعوب لا الافراد وما زالت التفرقة العنصرية تضرب أطنابها في أرجاء أوطنانهم ولا يستحون .

٥ ـ وهم يقولون أن الإسلام هو النظام الذي يجعل المرأة نصف الرجل والحقيقة أن المرأة ظلت على مدار التاريخ مهضومة الحقوق ، لأنها كانت المخلوق الأضعف من الرجل والعالم كان لا يتعامل إلا بالقوة ولا يزال ، فالضعيف مهيض الجناح ومهضوم الحق والدنيا مسبعة يأكل القوي فيها الضعيف ، وحتى الشعوب الضعيفة ككل ، لا بد وأن تسخر للشعوب القوية ، ولكن الإسلام نظام أخلاقي يحق الحق ويبطل الباطل الناس فيه سواسية كأسنان المشط ، فهو نظام يغاير تلك الأنظمة الوحشية والحيوانية والعنصرية . ولهذا أخذت المرأة وضعها في هذا النظام وكانت صنواً للرجل بل قرة عين له وجوهرة مصونة عنده : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ (النساء ١) فهي إذن الوحدة الكاملة بين الرجل والمرأة في المنشأ والمصير ، والمساواة الكاملة في الكيان البشري ، بل جعلها الله آية من آياته سبحانه فقال : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1] وقال تعالى ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا

(١) الروم ـ ٢١

﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [1] هذه هي المساواة في الكرامة ، في حين أن الأديان السابقة المحرفة كانت تضن على المرأة بالبشرية ، وكان هذا رأي العلماء والفلاسفة في الغرب إلى عهد قريب : حيث كانوا يتجادلون في أمرها . هل لها روح أم ليس لها روح ، وإذا كان لها روح فهل هي روح إنسانية أم حيوانية هذه كانت أفكار الغرب المتحضر في حين أننا نسمع الإسلام يقول : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ . . . أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ (الاحزاب ٣٥) .

ونسمع قول ربنا ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [2] ثم جعل لها الإسلام ذمة مالية منفصلة عن الرجل ، فلها مالها الخاص التي هي حرة في تصريفه لادخل لزوجها أو وليها فيه ، ثم ينفق عليها بنتاً أو زوجة ، يعد لها المسكن والملبس والمأكل والمرضع والخادمة إن كان يخدم مثلها . لا تتحمل من ذلك شيء .

فهل يقاس ذلك بالتي تطرد من بيتها عند سن السادسة عشر ، والتي لا ذمة مالية لها والتي لاينفق عليها الخ الخ .

أما كونها نصف الرجل في الميراث ، فالواقع أن الإسلام يسوي بين الرجل والمرأة في العطية والتبرعات والوصايا وما إلى ذلك ، أما في الميراث ، فإن الإسلام فرض النفقة على الرجل دون المرأة نفقة الزوجة في المأكل والمشرب والملبس والمسكن ، نفقة الأولاد في التعليم والمعيشة وفي كل ما يلزمهم ، نفقة الانفاق على الأهل ، وتحمل الديات مع العاقلة في قتل الخطأ وشبه العمد ، فلزم لذلك أن يعان الرجل على هذه الأعباء وليس هذا من قبيل التفضيل ، وإنما هو من قبيل مراعاة الظروف والأحوال والتبعات ، والمسألة في الحقيقة إذا رددناها حسابياً تكون في جانب المرأة أكثر من جانب الرجل فالمرأة تأخذ الثلث ولا تنفق

(١) الفرقان ـ ٧٤

(٢) آل عمران ـ ١٩٥ .

منه شيء ويأخذ الرجل ثلثي الثروة لينفقها على زوجه ، أي على المرأة ـ والتبعات . فمن يصيب أكثر ومن يكون الرابح . المسألة تحتاج إلى عقل وإخلاص لا إلى إدعاء .

فالإسلام يسوي بين الرجل والمرأة حينما تكون التسوية هي العدالة ويفرق بينهما حينما يكون التفريق هو العدالة .

٦ ـ ثم يقولون إن الإسلام صاحب عقوبات الرجم والقطع والجلد . . . إلى آخر هذه الافتراءات التي لا تحصى ولا تعد ، لأنها أكاذيب والأكاذيب تتبع الأهواء والاحقاد ، وهي لا تنقطع إلا إذا تقطعت قلوبهم .

ولكن الإسلام رغم هذه الافتراءات يفجؤهم بجذبه للنفوس وسحره للقلوب وحياته المستمرة الغازية المتنفضة العملاقة يفجؤهم بأنه يملك من مقومات الحياة في المستقبل ما لا يملكه أي نظام آخر عرفته البشرية حتى اليوم . رغم الدعايات والشنشنات التي تبهرج تلك الأنظمة ، ورغم الحرب المعلنة على الإسلام وعقيدته ودعاته وأهله .

شبهات حول المدعوين :

لم يترك أعداء الدعوة والداعية المدعوين بدون تشكيك أو إجهاض لتلك المعاني التي عرفوها عن الدعوة ، ولم يخلو بينهم وبين الدعاة يسمعون منهم ويقتدون بهم ويعملون بدعوتهم ، وكيف يترك الأعداء النبتة الغضة تنمو وتترعرع ويكون لها ساق وثمر ، وكيف يتركون سحر الحق وجمال المنطق وهدى الله ، يعمل في القلب ، ويقر في الافئدة والضمائر . لا يتأتى هذا ، ولا يمر في منطقهم بغير وقفات أو مخططات ، أو شبهات هنا وهناك .

فتراهم يضربون على آذان الناس ، ويشوشون على أفكارهم وأفهامهم

بالباطل المبهرج ، والكذب الخبيث . ولهذا نرى القرآن يحذر من هؤلاء الشياطين وبما يخفون في صدورهم من ضلال فيقول ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (آل عمران ٦٨ ـ ٧٢)

فهذه الطائفة الضالة تنصب الشراك وتحيك المؤامرات لتبعد الناس عن الحق وتشوش عليهم ، وتنفق على ذلك الأوقات والاموال ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النساء ـ ٤٤) .

فهم يريدون أن يضلوا المسلمين بشتى الوسائل والطرق والألاعيب ، ويحاولون طمس معالم الهدى من حولهم حتى لا يكون هناك حول الدعوة والداعية من أحد أو من مجيب ، ثم هم يفضلون كل شيء ويحسنون كل شيء ولو كان هذا الشيء هو عبادة الاصنام والجبت على دين المسلمين وعلى دعوة الهداية . وما زال هذا العداء وهذه النزعة تترعرع الى اليوم . ففي الدنيا من عبدة البقر ، والاوثان والحيوانات اليوم الكثير ، ولا أحد من هؤلاء أو أولئك يسفه أحلامهم أو يعيب معبودهم : ونسمع القرآن يحدث عن ذلك الأمر العجيب فيقول :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا[1] ﴾ أخرج ابن اسحاق عن ابن عباس قال : كان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة ، جماعة من اليهود ، هم ، حيي بن أخطب وسلام بن الحقيق ، وابو رافع ، والربيع بن الحقيق ، وابو عامر وهودة بن قيس وجماعة من أحبار اليهود وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتاب الأول

(١) النساء ـ ٥١

فاسألوهم : أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم : فقالوا : دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن إتبعه فأنزل الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (النساء ٥١ ـ ٥٢) .

وكان عجيباً أن يقول اليهود ،إن دين المشركين خير من دين محمد ﷺ ومن معه وإن المشركين أهدى سبيلاً من الذين آمنوا بالوحي والهدى ولكنه في الحقيقة ليس بعجيب على اليهود وإضرابهم من أعداء الحق لأنهم إنما يعملون لاطماعهم التي لا تنتهي واهوائهم التي لا تخبو ، واحقادهم التي لا تزول ، والكفر كله ملة واحدة ، والكفر والضلال ، لا يجد عند الحق وأهله عوناً في شيء من أطماعهم وأهوائهم وأحقادهم ، وإنما يجد النصر والعون دائماً عند أهل الباطل .

هذه حال دائمة وسببها كذلك قائم وهم يقولون اليوم وغداً ، إنهم سيشوهون بوسائل الدعاية التي في أيديهم كل حركة اسلامية ناجحة على وجه الأرض ويعينون عليها الباطل ، ويثيرون حولها الشبهات ، ويفتنون الناس من حولها لتشويهها وتحطيمها ، وأنهم سيستعينون بكل باطل وسيعينهم ، ويستنصرون بكل منحرف وسينصرهم ، علهم يقضون على الحق وأهله ودعاته والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ويلبس أصحاب الشبهات دائما مسوح الرهبان ، وأثواب النصاح الخائفين على الناس وعلى مصالحهم ومكاسبهم كما يدّعون . فيقولون إنهم يسهرون على راحتهم ويأرقون لاطمئنانهم يحزنون لحزنهم يفرحون لفرحهم ، يدخلون بهذا في روعهم أنهم النصاح الذين يجب أن يسمع لهم وأصحاب الفكر الذين يجب أن يسلم له وأهل الاخلاص الذين يجب أن يسار وراءهم

ولهذا فإذا دعوا الناس إلى شيء يجب أن يخرج الناس سراعاً ملبين لاهثين ، حامدين شاكرين ، لأن هذا النداء وتلك الدعوة لايقصد بها إلا عزهم وسعادتهم ورفاهيتهم والحفاظ على معتقداتهم وتراثهم ، ومخلفات آبائهم ومجد أمتهم ، وكرامة شعبهم الخ الخ . . ولهذا نرى أصحاب الإفك والبهتان والنصب والاحتيال والبغي والقهر يسخرون من عقول الناس وافهامهم ويثيرون ضد الحق وأهله ونراهم في القرآن يحرضون على ابراهيم عليه السلام ليقتلوه ويحرقوه دفاعاً عن هذه الصروح المنهارة وعن هذا الباطل العتيد ، لا على أديانهم كما يدعون ولا على آلهتهم كما يظهرون ، فهي أشياء لا تنفع أو تضر ، وإنما هي ستار وضباب يستر مظالم هؤلاء وشهواتهم واهوائهم ، ويحكي القرآن هذا المشهد العجيب فيقول : ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء ـ ٦٨)

أنصروا الأحجار بقتل الأنبياء والهداية ، يا لها من كارثة عجيبة ، ويا له من ضلال بعيد ويحسب الغافلون أن هذا هو الطريق لقتل الحق وابعاد الهدى ، وتثبيت الباطل، ونسوا قوة الحق، وقوة القادر القاهر، وسطوة الهداية ونور الرسالة ،وأشعة الصباح في قوله تعالى ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾ (الأنبياء ـ ٦٩) .

كيف أصبحت الأحجار آلهة هكذا أراد الأسياد أن تكون إرادتهم هي الارادة .

وكيف تحرق في سبيلها الأنبياء والمرسلون ، وتنخسف الهداية وتذوب في لهب الجحيم ، وكيف تسارع تلك الشعوب مجمعة ، مطيعة خافضة الرؤوس ، لا تسمع إعتراضاً ولا اختلافاً أو استنكاراً ، أو حتى اعراضاً ، أليس فيهم رجل رشيد!!! إنها الدعاية المحكمة ، والترويض المتقن ، والعبودية الماحقة والاذلال المميت، وتسمع نفس الخداع ونفس الضلال على لسان فرعون وحاشيته وأعوانه

في مقابلة موسى وعداوته : لما حاجة موسى ، وآمن السحرة عندما بهرتهم أنوار المعجزة قال : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ (الاعراف ـ ١٢٣ ـ ١٢٤) ، أي أن الهدى وأتباع موسى مؤامرة على الناس وعلى المدينة ، واستهواء لعقول الناس لجرهم إلى الفساد وترك الديار وتخريبها ، وهذا فيه تخريب للاقتصاد ، وفيه تعطيل للعمالة ، وتيتيم للاولاد وتقطيع للاسر ، وتفريق بين الرجل وزوجه ودعوة إلى كره الأوطان ، وتحويل الولاء عنه إلى غيره .

إلى غير ذلك من القوائم المعدة لخداع الناس ، وتحريضهم واثارتهم على الهدى وعلى الدعاة إليه . إبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله عن غرضه الأصلي المراد منه وهو حفظ الباطل وأهله وتدمير الحق وأهله ـ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

المبحث الخامس

موقف الداعية من الشبهات

لا شك أن الشبهات تشكل أمام الداعية عقبات وتضع أمامه عراقيل وتسبب له ألماً نفسياً لا يستهان به ، وإن كان هذا يختلف من مكان إلى مكان ، ومن داعية إلى آخر حسب الظروف وحسب ما يحيط به من أجواء وحسب مكانته في قومه ، ولكنها في مجملها تسبب ألماً وحيرة وتشويهاً للرأي العام أمام الداعية ، إن المجتمعات لا تسلم أبداً من ضعاف النفوس ومن المنافقين والجهلة الذين يكونون جمهوراً يتشهى أمثال هذه الشبه ويؤلفون أبواقاً تصدح بهذه الاكاذيب ، فخذ مثلاً . رسول الله ﷺ بين قومه وصحابته ، فمكانته فيهم لا تخفي وحب الناس لرسول الله ﷺ لا يتوارى ، ورغم هذا قد تنطلق إشاعة وتذاع فرية وتثار شبهة ، فتجد في القوم من يلوكها ويرددها ويذيعها .

فحديث الإفك الذي كان في أمر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والذي رماها به أهل الإفك والبهتان من المنافقين إيذاء لرسول الله ﷺ وتشهيراً به، وخاض فيه بعض من المخدوعين من المؤمنين أمثال، مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنه بنت جحش.

هذا الحادث قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها الكثير وأصابه بآلام لا تطاق، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل، وأصاب قلوباً كبيرة بالحيرة والشك والقلق، قلب رسول الله ﷺ، وقلب عائشة رضى الله عنها، وقلب أبي بكر رضى الله عنه، وقلب صفوان بن المعطل، أصابهم بالقلق والألم والحزن الذي لا يطاق شهراً كاملاً، لأنه يتناول بيت النبوة الطاهر الكريم وعرض رسول الله ﷺ أكرم إنسان على الله وعلى الأمة الإسلامية وعرض أبي بكر رضى الله عنه أكرم إنسان عند المسلمين بعد رسول الله وعرض رجل من الصحابة ـ صفوان بن المعطل، وما عرف الرسول والمسلمون عنه إلا خيراً.

ولنلقي ضوءاً على القصة:

أخرج الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر قرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة رضي الله عنها، فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، وخرجت مع رسول الله ﷺ، وذلك بعد نزول الحجاب، فأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين أذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي، فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذي كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت

أركب ، وهم يحسبون أني فيه ، قالت وكان النساء إذ ذاك خفافاً ، لم يثقلن ، ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكانت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم ليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلى فبينما أنا جالسة في منزلي ، غلبتني عيناي فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي الذكواني ، قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني ، وكان قد رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حين أناخ راحلته ، فوطىء على يدها ، فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش ، بعدما نزلوا معرسين فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره ، عبد الله بن أبي سلول ، فقدمنا المدينة فشكيت حين قدمناها شهر ، والناس يفيضون في قول أهل الأفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله ﷺ ، فيسلم ، ثم يقول : «كيف تيكم ؟» فذلك الذي يريبني ، ولا أشعر بالشر ، حتى خرجت بعدما نقهت ، وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا ، وأمرنا آمر العرب الأولى ، في التنزه في البرية وكنا نتأذى بالكنف ، أن نتخذها في بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب ابن عبد المطلب بن عبد مناف ، وامها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثه بن عبد المطلب فاقبلت أنا وابنة أبي رهم ، ام مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح ، فقلت لها بئس ما قلت تسبين رجلاً شهد

بـدراً ، فقالت : أي هنتـاه ، ألم تسمعي ما قـال ، قلت ومـاذا قـال : قـالت : فـاخبرتني بقـول أهل الإفـك ، فازددت مـرضـاً إلى مـرضي ، فلما رجعت إلى بيتي ، دخل رسول الله ﷺ فقـال : «كيف تيكم» فقلت إئذن لي أن آتي أبـوي ، وأنـا حينئذٍ أريـد أن أستيقن الخبر من قبلهـما ، فأذن لي ، فـأتيت أبوي ، فقلت لأمي يـا أمتاه ، مـاذا يتحدث النـاس به ، فقـالت يا بنيـة ، هوني عـلى نفسـك الشأن ، فـوالله لقلما كانت امرأة قط ، وضيئة عند رجل يحبها ، ولها ضرائر إلا أكثرن عليها . فقلت سبحـان الله ولقد تحـدث الناس بهـذا ؟ قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي ، فدعـا رسـول الله ﷺ على بن أبي طالب وأسامـة ابن زيد رضى الله عنه حـين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت : فأما أسامة فأشار عليه بمـا يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم في نفسه من الود لهم ، فقال أسامـة : هم أهلك يا رسـول الله ، ولا نعلم والله إلا خيـراً ، وأما عـلي بن أبي طالب فقـال : يا رسـول الله لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثـير ، وسل الجـارية تخبـرك ، قالت : فـدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد رضي الله عنـه حين استلبث الوحي فقالت : لا والذي بعثك بالحق نبيا ، أن رأيت فيها أمراً أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله .

قـالت : فقام رسـول الله ﷺ من يـومـه ، واستعـذر من عبـد الله إبن أبي سلول فقال وهو على المنبر ، من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهـلي ، فوالله مـا علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي ، قالت : فقام سعد بن معاذ رضي الله عنـه فقال : يا رسول الله أنا والله أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربنا عنقـه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج . فعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة رضي الله عنه وهو سيد الخزرج وكـان رجلا صـالحا ولكن أخـذته الحميـة ، فقال لسعـد بن معاذ

كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك ، فقام اسيد بن خضير رضي الله عنه وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة ، كذبت لعمر الله ، لنقلته فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر ، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا ونزل وبكيت يومي ذلك لايرقأ لي دمع ، ولا اكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة لايرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم فأصبح أبوايا عندي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء ، فآلق كبدي ، فبينما هما جالسان عندي ، وأنا أبكي إذا استأذنت امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي ، فبينما نحن كذلك ، إذ دخل علينا رسول الله ﷺ ، ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل فيما قيل قبلها ، وقد مكث شهراً لا يوحي إليه في شأني بشيء فتشهد حين جلس ثم قال : أما بعد فإنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة ، فسيبرئك الله تعالى : وإن كنت ألممت بذنب ، فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه ، فلما قضى رسول الله ﷺ ، مقالته قلص قلص دمعي حتى ما أحس منه بقطرة ، فقلت لأبي ، أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال ، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ .

فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال ، قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ :

قالت : وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ، فقلت أني والله أعلم أنكم سمعتم حديثاً تحدث الناس به ، واستقر في نفوسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم أني بريئة ، لا تصدقوني بذلك ، ولأن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقوني ، فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف ، إذ قال : «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون» ثم تحولت فاطجعت على فراشي

وأنـا حينئذ أعلم أني بـريئة وأن الله تعـالى ، مبرئي ببـرائتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله تعالى في شـأني وحيا يتـلى ، ولشأني في نفسي كـان أحقر من أن يتكلم الله تعـالى فيّ بأمـر يتلى ولكن كنت أرجـو أن يرى رسـول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله تعالى بها ، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء فسـرى عنه وهـو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها ، أن قال لي : يا عائشة أحمـدي الله تعالى : فإنه قد برأك : فقالت لي أمي قومي إلى رسول الله ﷺ :

فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمـد إلا الله تعالى : هـو الـذي أنـزل بـراءتي فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾﴾ العشر الآيات (النور ١١ ـ ٢٠) .

ها هي القصة التي جاءت بها عصبة الإفك ، فلم يكن عبـد الله بن سلول وحده هو الذي أطلق هذه الفرية وروج لها ، وإنما كـان معه عصبـة من المنافقـين واليهود الذي يعجـزوا عن حرب الإسـلام جهرة ، فتـواروا وراء أساليب الكيـد والتشهير ليكيدوا للإسلام وداعيته خفية ، وكان حديث الإفك إحدى مكـائدهم القاتلة ، ثم جاراهم فيها بعض المسلمين فخاض منهم من خاض ، وكان الأولى به أن يتثبت وأن يظن خيراً بالمسلمين والمسلمات وأن يكـون مطمئنـاً لأن القلوب المؤمنة وخاصـة في بيت النبوة يستحيـل عليها هـذا الأمر ، وكان هـذا درساً قيـماً للمؤمنين . حتى يكونوا على حذر من تلك الاشاعات ، وأن يثقوا في ايمـانهم وفي أنفسهم ولا يخـوضوا مـع الخـائضـين الـذين يـطلقـون الشبهـات بغيـة التشهـير بالمسلمين .

ولقد كانت معركة خاضها الرسول ﷺ وخاضها المجتمع المسلم والجماعة المسلمة الشابة يومذاك ، وخاضتها الدعوة ، وخرج منها الرسول ﷺ منتصراً شامخاً طاوياً جراحه كاظماً لآلامه ، محتفظاً بوقار نفسه وعفة منطقه وصبر جنانه ، ولم يؤثر عنه ﷺ في هذه الفترة الدقيقة رغم أنه مطعون في أعز شيء في بيته أنه تصرف تصرفاً صغيراً أو متهافتاً ، حتى يفرق صف الجماعة المؤمنة ، أو يلفتها عن غايتها ، ولقد كانت الفترة دقيقة وخطيرة على الدعوة ، وعلى سمعتها وجلالها ، بل لعلها كانت من أعظم الآلام والمحن التي واجهتها الدعوة الإسلامية في تاريخها . ولكن ايمان القائد وحنكته وعظمة الرسول وايمانه وصبره ، كانت أكبر من تلك المحنة وأصلب منها ، ولهذا فرج الله الكرب ، وأظهر الحق بعد درس نافع ولكنه موجع للجماعة المسلمة ، وبعد محنة شديدة ، ولكنها تطعيم للصف وزاد له على الطريق ، حتى لا يخدع بأمثال هذه مرة أخرى ، فموقف الداعية إذن إزاء الشبهات يتلخص في أمور منها :

ما ينبغي أن يفعله الداعية :

١ - الإبتعاد عن الشبهات : يجدر بالداعية الإبتعاد عن الشبهات ما أمكنه إلى ذلك سبيلاً لقول الرسول ﷺ «من اتقى الشبهات، استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه» بعض حديث متفق عليه، فمن ابتعد على الشبهات أمن ما يتلمسه الناس عنه من عيوب واستبرأ لعرضه واحتاط لنفسه ولدينه ودعوته وقطع الطريق على كثير من المتربصين به ووفر كثيراً من جهده ووقته وعمل على تهدئة نفسه وباله وضميره.

عن ابن الجوزاء قال: قلت للحسن بن علي، ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال حفظت منه «دع ما يريبك إلى مالا يريبك» أخرجه النسائي والترمذي وإبن ماجة بسند صحيح .

قال حسان بن سنان: ما رأيت شيئاً أهوم من الورع «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» البخاري.

وكانت الصحابة والعلماء يبتعدون عن الشبهات خاصة في زمن الفتن حين يخشى من كل هفوة وينظر الناس إليهم، وكان المختار يبعث إلى ابن عمر وابن عباس عطايا فيقبلان، وبعث عبد الملك بن مروان إلى ابن عمر في الفتنة في قتال ابن الزبير مالاً، فأبى أن يقبله، فلما ذهبت الفتنة، بعث إليه فقبله «أي أنه امتنع زمن الفتنة، خوف التهمة وحتى أنه لا يقال أنه مناصرة لأحد في الفتنة فلما استقر السلطان واستقر المؤمنون، زالت الشبهة».

والمراد من الداعية في هذا الشأن أن ينظر الداعية في كل قول يقوله ويعلم مدخله ومخرجه وفي كل عمل يعمله فيعلم أثره وما ممكن أن يؤدي إليه أو ما يجره من متاعب أو أعباء أو شبهات.

ونذكر واقعة حديثه لأحد العلماء الأفاضل وهو الشيخ مصطفى عبد الرزاق العالم الكبير الذي يشهد له الناس بالعلم والفضل تولى وزارة الأوقاف المصرية ثم مشيخة الأزهر استدعى إلى حفل أقامته امرأة تسمى هدى شعراوي.

وكانت هدى شعراوي هذه تدعو إلى تحرير المرأة كما يقولون، وتكون مخلب قط لأفكار الإستعمار وللغزو الثقافي الذي هجم على الشرق في تلك الفترة وكانت صاحبة مكانة عند المستعمرين والمستشرقين ودعاة التغريب، أو التخريب ودائماً كانت حفلاتها مختلطة بين الرجال والنساء.

ويقدم فيها ما يقدم في مثل هذه الاحتفالات، ويختار أي مناسبة تكثر اللقاءات والتعارف، بين الجنسين ويحصل الانس وقد دعت هذه السيدة الشيخ

مصطفى عبد الـرزاق وزير الأوقـاف المصريـة في ذلك الـوقت إلى حفلة من هذه الحفلات، تحت ستار عمل خيري

وما أن دخل الشيـخ حتى أحاطت بـه هدى وبعض الحسنـاوات في مكيدة مدبرة ونشرت الصحف صورة لـوزير الأوقـاف الشيخ مصـطفى عبد الـرزاق في لقـطة امام هـدى شعراوي في هـذه الحفلة في وضع يخيـل للنـاظـر لأول وهلة أن الشيخ بعمامته يراقص هدى شعراوي وقـد امسكت بيدهـا سيجارة، وتعمـدت مجلة المصور المصرية نشر الصورة في حيز ملأ الصفحة. مما جعل بعض الغيـورين يكتب مقـالاً تحت عنوان «هـذه العمـامـة نبـرأ منهـا، ويستعـدي الملك في ذلـك الوقت، وطبع المقال، وزاد من فظاعة الأمر أن بعض الناس طبع المقال والصورة في منشورات وصار يـوزعها في شـوارع القاهـرة، وما أن وصـل المقال إلى محمـد محمود باشا وزير الـداخلية ورئيس الوزراء في ذلك الـوقت وكان مـريضاً طـريح الفـراش حتى هاج ومـاج وأمر بمصـادرة المجلة ومحاكمـة رئيس تحريـرهـا، ولكن الشيخ مصطفى عبد الرزاق الرجل الفاضل عندما علم بـذلك، سـارع إلى بيت رئيس الوزراء وهدد بالإستقالة إذا تم شيء مما أمـر به رئيس الـوزراء، وقال: يـا باشاأنا مخطيء ، فما كان لي أن أحضر هذا الإحتفال، وكان واجباً على أن أتحـرى وأتبين الحقيقة قبل الذهاب إلى هذا الإحتفال.

ومن هذا نرى مقـدار الخبث والدهـاء الذي يـدبر للدعـاة والعلماء، ونرى كـذلك في الجـانب الآخـر، مقـدار صـراحـة العلماء واعتـرافهم بـالخـطأ وثقتهم بـأنفسهم، ومنع أي ضـرر يقع عـلى أي إنسـان بسبب خـطأ وقـع منهم. وكـان تصرف شهم وواضح من الشيخ رحمه الله، وكان وضعاً للأمور في نصابها.

ولقد كنت ألاحظ أحد الدعاة الكبار في مثـل هذه الأحـوال، إذا دعى إلى احتفال ظاهره فيه الـرحمة، أو يغلب عـلى ظنه أن لـه حقيقة، وطـلاء أو يشك في

تصرف أهله كحفل عرس أو مناسبة أو ما إلى ذلك، أن يرسل أحد المخلصين ليتحرى الأمر، فإن وجد ما يثير الشبهة، اعتذر أو أرسل برقية مجاملة ولم يذهب، وإن كان الأمر عادياً وليس هناك ما يخدش الحياء أو يخالف تعاليم الإسلام ذهب وجامل وأجاب ولا بأس عليه في ذلك.

ولهذا يكون الداعية حصيفاً مفكراً مقدراً لعواقب الأمور، يستعمل ما وهبه الله من فكر، ولا يسير بالعاطفة في كل أموره، أو يجعل العفوية رائدة، وقد قال، له سبحانه: «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً» وليكن كما قال القائل:

قدر لنفسك قبل الخطو موضعها   فمن علا زلجا عن غرة زلقا

فيجب أن يكون الداعية ذا بصيرة، ينظر في الأمور على ضوء من دعوته وواقعه، فلا يتكلم الكلمة إلا إذا كان يدري عواقبها وآثارها، وقديماً قال أكثم بن صيفي ـ مقتل الرجل بين فكيه ـ وقال: رب قول أشد من صول وقال المهلب لبنيه، إتقوا زلة اللسان، فإني وجدت الرجل يعثر قدمه فيقوم من عثرته، ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه، وقد قيل.

وجرح السيف تأسوه فيبرأ   وجرح الدهر ما جرح اللسان
جراحات الطعان لها التئام   ولا يلتأم ما جرح اللسان

وقيل

إحفظ لسانك لا تقول فتبتلى   إن البلاء موكل بالمنطق

كما ينبغي للداعية أن يكون حريصاً كتوماً لأمره عن أعدائه وقد قيل: من كتم سره كانت الخيرة في يده، ومن عرض نفسه للتهم لا يلومن إلا نفسه وقد

قيل لأبي مسلم بأي أمر أدركت هذا الأمر. قال: ارتديت بالكتمان واتزرت بالحزم، وحالفت الصبر، وساعدت المقادير فأدركت طلبي وحزت بغيتي.

وقد روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قوله:

لا تفش سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحاً
فإني رأيت غواة الرجال ... لا يدعون أديماً صحيحاً

وقال رضي الله عنه: وار شخصك، لا تذكر، واصمت تسلم[١]

يعني بهذا لا تفش سرك إلى عدو، ولا دخيلة أمرك إلى متربص حقود يشهر بك ويجعلك غرضاً لسهامه.

٢ ـ الرد على الشبهات بالحجة، لما يحتاج منها إلى بيان، وقد يكون هناك شبهه لا تحتاج إلا إلى الإهمال، والشبهة التي تحتاج إلى إيضاح غالباً ما تكون شبهه لها دوي، أو تكون شبهة أساسية في الدعوة أو عند الداعية، أو تكون شبهة تؤدي إلى فتنة كبيرة، وقد رأينا رسول الله ﷺ يرد شبهة الإفك، بالحكمة والمنطق فيقول: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا.

ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي ورأينا القرآن يرد بالحجة على هذا الحادث أيضاً، وينبه إلى أشياء يجب أن يعيها الإنسان حتى يكون حكمه صحيحاً. من هذه الأشياء:ـ

أ ـ يجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً، ولا يسمعوا للأعداء والمنافقين.

(١) كنز العمال ٣/ ٧٦٨ ط مؤسسة الرسالة.

ب ـ لا قـول في الأعراض بـالظنـون، فمن تقول، عليـه أن يأتي بـأربعـة شهداء، وإلا صمت أو ضرب حد القذف.

جـ ـ يجب أن يعرض كل قول على العقل والمنطق بـالحجج والبـراهين ولا تقولون بأفواهكم بغير حجة أو علم.

د ـ إشاعة الفاحشة ووصم المسلمين بها جريمة في الـدنيا والآخـرة تؤدي إلى عذاب أليم فيهما، فكيف ببيت النبوة.

هـ ـ ويختتم القـرآن الحـديث عن حـادث الإفك بحقيقـة واقعـة في دنيـا النـاس يجب أن تكون ميـزاناً عنـد الحكم على الأشيـاء. وهي أن النفس الخبيثـة تلتئم مع النفس الخبيثة وإن النفس الطيبة تمتزج بالنفس الطيبة، وعلى هذا تكون العلاقة بين الأزواج، وما كان يمكن أن تكون عائشة رضي الله عنها، كما رموها، وهي مقسومة لأطيب نفس على وجه الأرض:

ورأينا القرآن يرد على اتهام الرسل بالكهانة والسحـر والسفه والجنـون لأنها شبهات أساسية.

ورأينا القرآن كذلك يرد على من عدد الآلهة ومن أنكر وجود الحق سبحـانه ورد على كل الشبه الأساسية التي لازمت الدعوة والداعية.

لكنه في نفس القوت يأمر بتجاوز الشبهات والطعون اليومية قليلة التـأثير، ويأمر بعدم الوقوف عندها، لأنها تعطل الداعية وتشغله عن دعوته وتأخذه بعيـداً عن هدفه المحدد المرسوم الذي ينبغي الوصول إليه قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القصص الآية٥٥) وقـال سبحانـه ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾(المؤمنون الآيـة ٣) ثم قال تعـالى في وصف عباد الـرحمن :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ (الفرقان - ٦٣)

فلا تشغلهم سفاهة السفهاء عن عملهم المتواصل الدؤوب ولا عن غايتهم السامية ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(الأعراف - ١٩٩) .

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾الأنعام ٦٨ .

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾التوبة ٩٥ .

وهكـذا يجب أن يكون الـداعية واعيـاً لما يـدور حولـه، وكذلـك المجتمع المسلم والأمة المسلمة تدافع عن نفسها، ولا تشغلها التفاهات، وترد الإهانـة ولا تشغلها عن العظائم والغايات.

٣ - عـدم الإسفاف ومعـاملتهم بالمثـل: فالـداعية قـوي بعقيدتـه قـوي بخلقه، قوي بثقته في خطوه والإغضاء عن الضعف البشري للجـاهلين والعطف عليهم، والسماحة معهم واجب الكبار الأقوياء تجاه الصغار الضعفاء، وأولى الناس بالسماحة واليسر والإغضاء هم الدعـاة الذين يعلمـون الناس الفضـل ومكارم الأخلاق .

قـال بعض العلماء، الناس رجـلان، فرجـل محسن فخذ مـا عفـا لـك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته، ولا مـا يحرجـه، وإما مسيء فمـره بالمعـروف فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله، فاعرض عنه، فلعل ذلـك أن يرد كيده كما قال تعالى﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ وقال تعالى :

(١) المؤمنون - ٩٦ .

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت - ٣٤)

وقال تعالى ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ الأعراف ١٩٩

فهـذه الآيات في الأعراف، والمؤمنون،والسجدة ترشد إلى معاملة العاصي من النـاس بالمعروف بل هي خطة للدعوة في وسط المسلمين الغافلين.

وقد تكون هناك خطة أخـرى لمعاملة العصـاة من قبل الحـاكم إذا انتهكت حرمات الله تبارك وتعالى. وخـطة أخرى لمعـاملة المجتمع المسلم لهؤلاء النـاس. فالحاكم له خطة أخرى في إقامة حدود الله والحفاظ على شريعته ومنهجه وتعاليمـه فلا يتغاضى الحاكم المسلم في العقيدة ولا في الواجبات الشرعية فليس في عقيـدة الإسـلام ولا في شريعتـه يكون التغـاضي، وقـد كـان رسـول الله ﷺ لا يغضب لنفسه قط، فإذا كان في دين الله لم يقم لغضبه شيء. فشريعة القصـاص وإقامـة الحدود لا تهاون فيها، ولا يحق في الحدود لأحد شفاعة أو تهاوناً، وكذلـك في منع الجرائم والإعتداء على الأموال والأعراض والأنفس والعقول، والمجتمع المسلم له خطة أخرى في معاملة المجرمين الخارجين عن منهج الله تبارك وتعالى من اعتزالهم وإسقاط شهادتهم وعدالتهم بشروطها التي فصلها الفقهاء فمن أراد الرجوع إليها فأمامه كتب الفقه الإسلامي.

وإنما الذي نحن بصدده هنا هو المعاملة في الأخلاق والصحبة فيما يكون بين المسلمـين بعضهم مع بعض، أو فيـما يكون من الصبـر على الجـاهل أو المتعلم أو الإيـذاء الشخصي من غلظة وتعنت وحب للذات وميـل إلى الأثـرة، والـداعيـة رجل يدعو إلى رسالة بالكلمـة الطيبـة والقدوة الحسنـة والسيرة العـطرة فسلاحـه

الأول هو ما يتحلى به من صفات، ولأن الداعية يريد أن ينشىء ويربي على تعاليم وقيم، هي في الحقيقة هداية تقود الإنسان إلى الكمال وتمنعه من الإنحراف، وتمنعه من أن ينتهك حرمات الله تعالى أو أن يتعرض للمساءلة من الحاكم أو المجتمع، فالتعاليم أولاً والهداية أولاً.

والدعوة أولاً والمعاملة بالحسنى والتعود على قانون الإنسانية والصبر بغير حدود في هذا الطريق وهذه مهمة الدعاة، فإذا شذ فرد واعتدى على الحقوق الأساسية للناس والمجتمع ضارباً عرض الحائط بكل دعوة وهداية وتعاليم. كانت مهمة الحاكم أن يوقفه ويمنع ضرره.

وهذا ما يتمشى مع نظرية العدل الذي أبرزها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ الأسراء - ١٥.

وقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ (١) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ التوبة ١١٥ ومهمة الداعية مهمة البيان في أول الطريق ثم بعد ذلك ينبه السلطة إن كان هناك سلطة مسلمة فإذا لم تكن موجودة عليه أن يوجدها بعد ذلك أو يدعو إليها.

مهمة الدعاة هي البيان والهداية والأمر بالمعروف والأخذ بيد الناس في حنو وعطف إلى الطريق المستقيم، حتى تتكون خير أمة اخرجت للناس.

وقد رأينا القرآن الكريم يأمر رسوله بتلك الآيات البينات ويقول له ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «أنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق».

وروى البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن أخيه عبدالله بن

(١) الشعراء - ٢٠٨

الزبير في قوله « خذ العفو وأمر بالمعروف » قال : ما أنزل الله هـذه الآية إلا في اخلاق الناس .

قـال الألوسي في قـولـه تعـالى ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أي ولا تكـافىء السفهاء بمثل سفههم قال ابن كثير في قـوله تعـالى ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أمر الله نبيه عليه السلام أن يأمر عباده بالمعروف، ويدخل في ذلـك جميع الـطاعات، وبـالأعراض عن الجـاهلين، وذلك وإن كـان أمر لنبيـه ﷺ فـإنـه تـأديب لخلقـه باحتمال من ظلمهم واعتـدى عليهم لا بالاعـراض عن جهل الحق الواجب من الله تعـالى، ولا بـالصفـح عمن كفـر بـالله وجهـل وحـدانيتـه وهـو للمسلمـين حرب»[2].

وقـد كان الـدعاة والصحـابة عـلى مدار التـاريخ مثـلاً حياً لهـذه الاخلاق الحسنة وهذا البيان الالهي روى البخاري أن عيينه بن حصن استأذن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعـه الحربن قيس فلما دخـل عيينة قـال يا بن الخـطاب، والله ما تعطي الجزل ولا تحكم بالعدل: قال: فغضب عمـر حتى هم بأن يقـع به فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين، ان الله قال لنبيـه عليه السـلام ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ[3] ﴾ وإن هذا من الجاهلين ، فوالله ما جاوزهـا عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل .

قـال عصام بن المصـطلق: دخلت المدينـة فـرأيت الحسن بن عـلي عليهـما السلام، فاعجبني سمته وحسن روائه، فأثار مني الحسد ما كان يجنه صدري لأبيه من البغض، فقلت أنت ابن أبي طالب!!

قال نعم: فبالغت في شتمه وشتم ابيه، فنـظر إلى نظرة عـاطف رؤف، ثم

---

(١) روح المعاني - ٨/١٤٧ . ط دار الفكر

(٢) ابن كثير - ٢/٢٧٨ . (٣) الأعراف - ١٩٩ .

قال: اعوذ بـالله من الشيطان الـرجيم بسم الله الرحمن الـرحيم «خذ العفـو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين» فقرأ إلى قوله تعالى ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ ثم قال لي: هـون عليك، استغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا اعناك، ولو استرفدتنـا أرفدناك، ولو استرشدتنا ارشـدناك فتـوسم في الندم عـلى ما فـرط مني فقال: «لا تثريب عليكم اليوم يغفـر الله لكم وهو أرحم الـراحمين» أمن أهـل الشام أنت قلت نعم، فقال شنشنة اعرفها من أخزم، حياك الله وبياك وعافاك وأداك، انبسط الينا في حوائجك، وما يعرض لك تجدنا عند ظنك، إن شـاء الله. قال عصـام: فضاقت علي الأرض بما رحبت وودت أنها ساخت بي، ثم تسللت منـه لواذا ومـا على وجه الأرض احب إلى منه ومن ابيه[1].

وعلى هذا فإن الداعية ينبغي أن لا يعامل الناس بمثـل معاملتهم لـه، وإنما يكون بهم رفيقاً رحيماً يقابل الاساءة بالاحسان.

٤ ـ الصبر والاحتساب الصبـر من شيم الداعيـة الصبر عـلى الأذى الصبر على تبليغ الدعوة الصبر على طول الطريق وبعـد الشقة، والحـرمان من شهـوات الدنيا، الصبر على جهل الجاهل وغرور السفيه، والصبر في الاسلام، هو الصبـر عـلى تحمل المشـاق في سبيل الله، وهـو صبر المكـافح المنـاضل الشجـاع لا صبـر الخنـوع والذلـة والمسكنة، فليس هـذا من شـأن المسلم ولا من طبعـه وشيمتـه، ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الاحقاف ـ ٣٥ .

صبر أولى العزم وأهل البأس، ولهـذا كانت مـدرسة الصبـر، هي مدرسـة الائمة والقادة والعظماء، وصدق الله ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة ٢٤.

ولهذا نرى القرآن يلفت إلى هذا الصبر في مواطنه العظيمة، ويجعله علامـة

(١) الجامع لاحكام القرآن القرطبي ٧/ ٣٥٠ ط دار الكتب المصرية.

على الصدق والتقوى والاخلاص وحسن الجهاد، فيقول بعد أن يعددصفات التقوى والايمان، ويختمها بقوله ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة ـ ١٧٧.

ثم يقول ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾ البقرة ـ ٢٥٠ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران ـ ١٤٢).

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران ـ ١٤٦) اذن فهو صبر المجاهدين، صبر الربانيين صبر الأئمة الابطال، الصبر الدافع، بل هو تلك القوة التي لا تعرف اليأس، والاحتمال الذي لا يعرف الخور، والثبات الذي لا يعرف التراجع والعزيمة التي لا تعرف الوهن ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (هود ـ ١٥).

هذا هو الصبر المأمور به، هو صبر الداعية المسلم، صبر النصر والكفاح والعمل وبذل الجهد ليتحقق الفلاح والنصر، وصدق الله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(كال عمران ـ ٢٠٠).

يقول صاحب الظلال «القرآن حافل بذكر الصبر وبذكر التقوى، يذكران مفردين ويذكران مجتمعين وسياق الآية التي مرت والسورة التي فيها حافل كذلك بالدعوة إلى الاجتماع والمجاهدة ودفع الكيد، وعدم الاستماع لدعاة الهزيمة والبلبلة، ولهذا جاءت الآية بالصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى.

والصبر هو زاد الطريق في هذه الدعوة، إنه طريق طويل، شاق حافل بالعقبات والاشواك مفروش بالدماء والاشلاء، وبالايذاء والابتلاء.. الصبر على

اشياء كثيرة، الصبر على شهوات النفس ورغائبها، واطماعها ومطامحها وضعفها ونقصها، وعجلتها وملالتها من قريب والصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصرفهم، وانحراف طباعهم، واثرتهم، وغرورهم والتوائهم، واستعجالهم للثمار، والصبر على الباطل ووقاحة الطغيان، وانتعاش الشر، وغلبة الشهوة، وتصعير الغرور والخيلاء والصبر على قلة الناصر، وضعف المعين، وطول الطريق، ووساوس الشيطان في ساعات الكرب والضيق والصبر على مرارة الجهاد لهذا كله وما تثيره في النفس من انفعالات متنوعة من الالم والغيظ والحنق والضيق وضعف الثقة احياناً في الخير، وقلة الرجاء أحياناً في الفطرة البشرية والملل والسأم واليأس والقنوط احياناً.

والصبر بعد ذلك كله على ضبط النفس في ساعة القدرة والانتصار والغلبة واستقبال الرخاء في تواضع وشكر، وبدون خيلاء وبدون اندفاع إلى الانتقام وتجاوز القصاص الحق إلى الاعتداء والبقاء في السراء والضراء على صلة بالله، واستسلام لقدره، ورد الأمر إليه كله في طمأنينة وثقة وخشوع والصبر على هذا كله وعلى مثله ـ مما يصادف السالك في هذا الطريق الطويل[1].

ثم يقول: «إن هذه الدعوة تواجه الناس بمنهج حياة واقعي، منهج يتحكم في ضمائرهم، كما يتحكم في أموالهم، كما يتحكم في نظام حياتهم ومعايشهم منهج خير وعدل مستقيم، ولكن الشر لا يستريح لمنهج الخير العادل المستقيم والباطل لا يحب الخير والعدل والاستقامة، والطغيان لا يسلم للعدل والمساواة والكرامة». ومن ثم ينهد لهذه الدعوة، اعداء من أصحاب الشر والباطل والطغيان وينهد لمحاربتها المستنفعون، المستغلون الذين لايريدون أن يتخلوا عن الاستنفاع والاستغلال، وينهد لحربها الطغاة المستكبرون الذين لا يريدون أن يتخلوا عن الطغيان والاستكبار، وينبري لحربها المستهترون المنحلون، لأنهم لا

(١) انظر في ظلال القرآن ١/٥٥٢ ط الشروق.

يريدون أن يتخلوا عن الانحلال والشهوات ، ولا بد من مجاهدتـهم جميعاً ، ولا بد من الصبر والمصابرة » **ولهذا يلزم الداعية أن يكون صبوراً حكيماً محتسباً يعد لكل أمر عدته ويدع سنناً الكون بعـد ذلك تعمـل فلا يتعجـل ولا ييأس وصـدق الله** ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ٩٦ النحل .

الفصل الثالث

الترغيب والترهيب

المبحث الأول

معنى الترغيب والترهيب لغة وشرعاً

الرغبة لغة: هي إرادة الشيء: يقال رغبت في الشيء إذا أردته قال تعالى ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾[1] ويقال: رغب عن الشيء زهد فيه ولم يرده، قال تعالى ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾. (البقرة -

والمقصود بالترغيب في الشرع: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه.

الرهبة لغة: طول الخوف واستمراره، ومن ثم قيل للراهب، راهب لأنه يديم الخوف.

والترهيب: هو التخويف والتوعد.

والمقصود بالترهيب في الشرع، كل ما يخيف وكل ما يحذر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه.

قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾. (الأنبياء - ٩٠

فالترغيب والترهيب على هذا هو: تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة، وتخويفهم من عذاب الله والنار .

---

(١) الانشراح - ٧

قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عند موته: راغب راهب. أي راغب في ثواب الله راهب من عذابه.

الترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال، والنفوس، والمواقف يأتي علاجاً وردعاً، يأتي بشيراً ونذيراً.

فمن النفوس من ترغب في الخير، وتهفوا إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، ذكر الخير يرغبها، ودعوة الاحسان تدفعها، ونور الحق يدفئها،

ومن الناس من يلهث وراء الشهوات، ويجري وراء المادة، ويشغف بالمنكر، فهذا يقرعه الترهيب، ويوقفه الانذار، ويوقظه التخويف من عواقب ما هو فيه،

ولهذا كان القرآن مثاني: قال تعالى ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾[1].

قال ابن كثير في الآية: أي سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من المتشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين، وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا، فهذا من المثاني كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ وكقوله عز وجل كلا إن كتاب الفجار لفي سجين إلى أن قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ إلى أن قال ﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ ونحوه من السياقات، فهذا كله من المثاني أي في معنيين اثنين.[2]

وكذلك نجد سنة رسول الله ﷺ على هذا المنوال. ترغيب وترهيب.

---

(١) سورة الزمر الآية ٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ ٤/ ٥٠ احياء التراث العربي.

يقول ﷺ: «ومن سن خيرا فاستن به كان له أجره، ومثل اجور من تبعه غير منقص من اجورهم شيئاً، ومن سن شرا فاستن به كان عليه وزره، ومثل أوزار من تبعه غير منقوص من أوزارهم شياً» رواه احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد.

وقال ﷺ: «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً، ثم يعلمه أخاه المسلم، «رواه ابن ماجه باسناد حسن.

ثم يقول ﷺ: «مررت ليلة أسرى بي بأقوام تقرض شفاهم بمقاريض من نار، قلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وإن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة» وفي رواية، لما يرى من فضل الشهادة رواه البخاري ومسلم.

ثم يقول ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات: قالوا يا رسول الله: وما هن؟ قال: الاشراك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، واكل الربا، واكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» رواه البخاري ومسلم وابوداودو النسائي.

ثم يقول ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق» رواه مسلم وابوداود والنسائي.

والترغيب والترهيب كان من اساليب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين. يبين هذا القرآن الكريم فيقول: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ

وَمُنذِرِينَ ﴾[1] ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[2].

ويقول عن رسول الله ﷺ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[3].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[4].

فرسل الله، دعاة جاءوا بوحي ورسالة، وحق وهداية. فمن قبل هدى الله فلا يضل ولا يشقى، تبشره الرسل بالهداية وتسره بالفوز في الدنيا والأخرة، ومن أعرض عن هدى الله سبحانه، أنذروه بالويل والثبور في الدنيا والأخرة، وتوعدوه وأرهبوه بعذاب الله وغضبه عليه، جزاء كفره وبغيه واتباعه لشيطانه.

المبحث الثاني

بم يكون الترغيب والترهيب

الأصل في الترغيب: أن يكون في نيل رضاء الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة وكسب ثوابه في الأخرة والفوز فيها، والأصل في الترهيب أن يكون بالخوف من غضب الله وعقابه في الدنيا والاخرة مصداق ذلك من كتاب الله قوله:

١ ـ عن نوح عليه السلام ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة الانعام ٤٨.
(٢) سورة النساء ١٦٥.
(٣) سورة الاحزاب ٤٥.
(٤) سورة سبأ ٢٨.
(٥) سورة نوح الآية ١٠ ـ ١٢.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

(نوح - ١)

٢ - عن مؤمن آل فرعون ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] .

وقد يكون الترغيب بما يأتي :

١ - بما يصيبهم في الدنيا من الخير العميم، والهداية الغامرة، وذلك كله للاستقامة على أمر الله واتباع منهجه والسير على تعاليمه قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل - ٩٧) . ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ . (الجن - ١٦) . ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[2] .

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

(النحل - ٣٠) .

٢ - بما ينالهم من النصر والفوز في الحياة الدنيا، والعزة والكرامة في

---

(١) سورة غافر الآية ٢٩ - ٣٣ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٦ .

العالمين . ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (١) . ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾ (٣) ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤) .

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ (٥) .

٣ - بما يعيشون فيه من أمن ، وبما ينعمون فيه من سلام واطمئنان ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ (٦) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ (٧)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : يعني يحبهم الله ويحببهم إلى خلقه .

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ : «إذا أحب الله عبداً يقول لجبريل عليه السلام : إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء : «إن الله أحب فلاناً فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له المحبة في الأرض» مسلم ٨/ ٤٠ - ٤١

---

(١) سورة النور الآية ٥٥ .
(٢) سورة المنافقون الآية ٨ .
(٣) سورة الاحزاب الآية ٢٧ .
(٤) سورة المجادلة الآية ٢١ .
(٥) سورة الاحزاب الآية ٢٧
(٦) سورة قريش
(٧) سورة مريم الآية - ٩٦

٤ ـ ومن أنفع وسائل الترغيب تنبيه الفرد والأمة الى ماضي أسلافهم الصالحين الذين رفعوا منار العلم والدين ، ونشروا لواء العدل والحرية وقهروا الظلم والبغي وأناروا العالمين وشرقوا وغربوا في أرجاء المعمورة فاتحين مكبرين هادين وكانوا كما قال القائل» :

كنا جبالاً كالجبال وربما ... سرنا على موج البحار بحاراً
بمعابد الافرنج كان أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الامصارا
لم نخشى طاغوتاً يحاربنا ... ولو نصب المنايا حولنا أسواراً
ندعوا جهاراً لا إله سوى الذي ... خلق الوجود وقدر الاقدارا

فلعل الأمم والشعوب تستحي إذا رأت قصورها وقعودها عن اللحاق بأسلافها فتندم وتنهض ، وتحاول أن تتشبه وتلحق بالركب الميمون ، ولعلها تقلع عما هي فيه من شرور وفساد في الأخلاق والعادات والأقوال والأفعال ولعلها تخجل من تخلفها حتى صارت في أخريات الأمم بعد أن كانت هي الرأس والمقدمة .

٥ ـ الترغيب في العبادة وحب الفضائل الانسانية ، حيث أن العبادة تنهي عن الفحشاء والمنكر ، وتربي على الأخلاق الفاضلة ، وتبعد عن وساوس الشيطان .

وقد يكون الترهيب بما يأتي

١ ـ بلفتة إلى الآخرة ، وإلى ايثار الدار الباقية على الفانية حيث أن هناك نفوساً يغريها المتاع الدنيوي والشهوة عن جلائل الأعمال والأفعال ، ويوقعها في حمأة الظلم والبغي ، حتى تدمر كل صالح في سبيل الحصول على العرض الأدنى واستبدال الضلالة بالهدى . وصدق الله ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ

يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩)﴾[١]

ولهذا يجب على الداعية أن يحذر من الغرور بالدنيا والانسياق وراء الشهوات الجانحة ، وقد نبه على ذلك القرآن بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]

وقال تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠)﴾[٣]

وفي مثل هذا يقول الرسول ﷺ : إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » متفق عليه . وعن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» متفق عليه .

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : «أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ألهاكم التكاثر» قال : يقول ابن آدم : مالي ، مالي ، وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟ ! رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : نام رسول الله ﷺ على حصير ، فقام

---

١ - سورة الاعراف الآية ١٦٩

٢ - سورة يونس الآية ٢٤

٣ - سورة الحديد الآية ٢٠

وقد أثر في جنبه . قلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء ! ، وفي رواية ابن ماجة : فقلت يا رسول الله لو كنت آذنتنا ففرشنا لك شيئاً يقيك ! فقال : «مالي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» رواه الترمذي : وقال حسن صحيح وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال ﷺ أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد

«ألا كل شيء ما خلا الله باطل»

متفق عليه

المراد بالزهد

والمراد بهذا كله ، أن لا يركن الإنسان إلى الدعة والشهوات ويترك الباقيات الصالحات ويقعد عن جلائل الأعمال ، وعن الإصلاح وبذل الجهد في عمل الخير ، وأن يستعمل ما أتاه الله سبحانه وتعالى من مال وخير وصحة وعافية ووقت وجهد ، وعقل وتدبير في سبيل تحقيق منهج الله في الأرض وتثبيت الحق ورفع راية الهداية ، لا أن يكره الدنيا ويبغض المال ، ويحتقر المادة فما الدنيا إلا مزرعة للآخرة ، وحقل المؤمن الذي يزرع فيه الخير ويحصد المعروف والثواب ، وما جاءت رسالة الإسلام إلا لإصلاح الحياة وإقرار منهج الله فيها وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وقد أمر المسلم بالسعي في مناكبها بقوله تعالى ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ وبإقامة الحق والعدل فيها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾[1]

وقد أمر الله تبارك وتعالى بالكسب والعمل ، فعمل الصالحون والمرسلون ، ويذكر القرآن أن داود عليه السلام كان صاحب صناعة يحقق منها الخير لنفسه

---

(١) سورة النحل الآية ٩٠

ولمجتمعه فقال ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[1]

ويقول ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[2]

وقد كان من الأنبياء من هم أصحاب ثروات ضخمة وأملاك عريضة لم تؤت لأحد من بعدهم كسليمان عيه السلام ، لكن ثروته هذه كانت في طاعة الله سبحانه .

هذا وقد أمر الله سبحانه بحفظ المال وعدم التبذير فيه فقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[3] .

وقال : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[4]

وقد جعل الإسلام المال قوام الافراد والجماعات والامة وأمر بالحفاظ عليه وتجنيبه الخرقى والسفهاء فقال تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾[5] .

٢ - يكون الترهيب بالتحذير من غضب الله ومن نقمته ، فيذكر الآيات الواردة في القرآن الكريمة المخوفة للمذنبين والعصاة والفاسقين والمتجبرين . كقوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴾ (الزخرف - ٥٥)

---

١ - سورة الانبياء الاية ٨٠

٢ - سورة سبأ الاية ١٠ -١١

٣ - سورة الاسراء الآية ٢٧

٤ - سورة الاسراء الآية ٢٩

٥ - سورة النساء الآية ٥

نالوا غضب الله بما اقترفوا من معاصي وبما اجترؤوا على الحرمات وبغوا على الهداية فجعلهم الله سبحانه عبرة لمن يأتي بعدهم ، ومثلاً للآخرين على مر الزمان .

ومن ذلك قول الحق سبحانه في شأن بني اسرائيل ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(1) وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾(2) وكان هذا عقاباً من الله تعالى جزءاً على عتوهم واستكبارهم وبغيهم ونبذهم للهداية بأن ورثهم الله الغباء والخسة والذلة والمسكنة وخبث الطوية .

وفي هذا ترويع وتخويف للمتجرئين الباغين على شرع الله ومحارمه ، قال تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(3) لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

٣ ـ يكون بالتخويف من تغليف القلوب وفساد الفطرة وخوف الختم على القلوب والخروج عن طريق المؤمنين ، وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾(4)

روى أحمد والترمذي والحاكم وصححاه والنسائي وابن ماجه وغيرهم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : «أن المؤمن إذا أذنب نكتت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب واستغفر صقل قلبه ، وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه «أي تغشاه وتغطيه تلك النكتة السوداء» فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه ـ كل بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون .

١ ـ سورة الاعراف الآية ١٦٦
٢ ـ سورة المصطفين الآية ١٤
٣ ـ النساء ـ ١١٥
(٤) سورة المائدة الآية ٦٠

وقال حذيفة رضي الله عنه : إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يصير قلبه كله أسود .

ويؤيده قول السلف : المعاصي بريد الكفر ، أي رسوله باعتبار أنه إذا أورثت القلب هذا السواد وغلفته لم يعد يقبل الخير قط وصدق الله ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾[1] .

عن حذيفة رضي الله عنه قال : كنا عند عمر بن الخطاب فقال أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن ؟ فقال القوم : نحن سمعناه فقال : لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وماله وجاره ؟ قالوا : أجل قال : تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر التي تموج موج البحر ؟ قال حذيفة : فأمسك القوم ، فقلت أنا ، قال : أنت لله أبوك ؟ قال حذيفة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «تعرض الفتن كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكت فيها نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى يصير على قلبين : على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً ، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، إلا ما أشرب من هواه» رواه مسلم .

فالتعود على المعاصي وألفها خروج من ربقة الهداية ، وتمرد على تعاليم الفضيلة والايمان وتبجج على حرمات الله وهذا يسبب انفلاتاً من طريق المؤمنين وسبيل المهتدين .

٤ - يكون بالتخويف من فساد الذرية ، لأن الآثام والأعمال الفاسدة

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٠

تنسحب على النفس والولد ، وعلى الحاضر والمستقبل ، فبر الوالدين يدعو إلى بـر الأولاد وعقوق الوالدين يحرض على عقوق الاولاد .

عن ابن عمـر رضى الله عنهما قـال : قال رسـول الله ﷺ : «بـروا أبـاءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم» رواه الطبراني بـإسناد حسن ورواه أيضـاً غيره من حديث عائشة .

كما خوف القرآن من تأثير الفساد عـلى الذريـة في الدنيـا والآخرة ، فـأما في الدنيا فبمثل قوله تعالى ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[1] .

وأمـا في الآخرة فبمثـل قولـه تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[2] .

أي فإن كان لك خوف على أولادك الصغار والضعفاء فاتق الله في أعمـالك وأقوالك وارع الله وحافظ على حدوده فإن الله سبحانـه يتولى ذريتـك وييسر لهم من يأخذ بيدهم ويهيء لهم من أمرهم رشداً ، مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾[3]

ولاشـك أن كل إنسـان يحب أطفالـه وأولاده وذريتـه ، لهم يجمـع المـال ويسهر ويجد ويجتهد ، فإذا عرف أن طاعتـه الله والعمل في رضـاه ، تعود عـلى أولاده وذريته من بعده دفعـه ذلك إلى العمـل الصالـح والبر وعـدم الإفساد في الأرض .

هذا فضلا على أن الشر يعدي كما أن الخير يعدي ، فـإن كانت العـدوى في

١ ـ سورة النساء الاية ٩

٢ ـ سورة التحريم الآية ٦

٣ ـ سورة الكهف الآية ٨٢

الأمراض الحسية شائعة ومعروفة فالعدوى كذلك في الصفات والأفعال والأعمال أشد وأنكى وصدق الله ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾(1)

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤﴾(2) ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝٢٨﴾سورة مريم - ٢٨

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾(3) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾(4)

ومن استقرأ أحوال الفجار ، وجد أنهم لا يلدون إلا فجاراً ، إلا من رحم ربك .

قال نوح عليه السلام في دعائه : ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾سورة نوح - ٢٧.

وقد يأتي أولاد الفجار صلحاء ، ولكن هذا يكون على خلاف القاعدة لأمر يريده الله سبحانه .

وفي هذا يقول القائل :

إذا طاب أصل المرء طابت فروعه ... ومن عجب جادت الشوك بالورد
وقد يخبث الفرع الذي طاب أصله ... ليظهر فعل الله في العكس والطرد

(1) سورة الاعراف الآية ٥٨
(2) سورة آل عمران الآية ٣٤
(3) سورة الطور الآية ٢١
(4) سورة الحديد الآية ٢٦

٥ ـ يكون بالتخويف من تبدل الحال من خير الى شر ومن نعيم إلى بؤس ، ومن رخاء إلى قحط وبلاء .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ (سبأ ١٤ ـ ١٥) .

وصدق رسول الله ﷺ : «إن الرجل يحرم الرزق بالذنب يصيبه» رواه الحاكم بإسناد صحيح .

وفي هذا تقول عائشة رضى الله عنها «ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر»

وفي هذا يقول بعض العارفين : إني لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري ـ وقال آخر : وهو ابو سليمان الداراني رحمه الله : لا يفوت أحد صلاة الجماعة إلا بذنب يذنبه .

والرزق الذي يقصد هنا هو الرزق بنوعيةالحسي والمعنوي ، فأهل الدنيا يعاقبون في رزق الدنيا بتعذر طرق الاكتساب ونقص الاموال وهلاكها ، وأهل الآخرة يعاقبون بحرمان رزق الآخرة من قلة التوفيق لصالح الأعمال وتعذر فتوح العلوم النافعة»

ولهذا أثر عن الامام الشافعي قوله :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فارشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدي لعاصي

وقال بعض العلماء : إذا جاءت العاصي نعمه وهو دائم على معصيته ، فإنما هي له استدراج يحرم جميل الشكر عليها حتى يعاقب على كفرانه .

وإذا جاء الطائع بلاء : فإنما هو له امتحان ، وكفارة لذنوبه ورفعه لدرجاته .

قال بعضهم : كل بلية اقترنت بالصبر كانت نعمة .

وعلى هذا فالداعية طبيب بارع وصيدلي ذكي يقطف من أدوية القرآن ومن رحيق السنة ما يشفى به النفوس ويطب به القلوب وهو كذلك مرشد خبير ودليل ناصح أمين ، يضيء بمصابيح القرآن وقناديل السنة دروب السالكين وسبل القاصدين وهو كذلك أب رحيم وأخ عزيز ، وصديق حميم ، ورفيق ودود ، يحب للناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها ، ينصح بغير إسفاف ويعظ من غير تيئيس ، وقد يضر كثرة اللوم كما يضر ترك الارشاد ومن ذلك قول القائل

بلغت من لومي حدا أضربه　　　من حيث قدرت أن اللوم ينفعه

فالترهيب ليس يأساً أو قنوطاً أو رهبة تشل التفكير ، وإنما هو تحذير من الأخطاء ودلالة على الصواب ، وترشيد للاعمال حتى تنطلق الطاقات القوية الى الغاية بغير تعويق أو عقبات .

كما أن الترغيب ليس هو من أحلام اليقظة ولا من الوعود المعسولة ، وإنما هو تنشيط للهمم ، وتشجيع للطاقات ، وشحذ للعزائم ، فهو كالجائزة للمتسابقين في مضمار الاحسان والانتاج والاجتهاد ، وهذا هو طريق المتقين وأسلوب الدعاة العاملين الفاقهين وصدق الله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1]

---

(١) سورة الانبياء الآية ٩٠

الفصل الرابع

التربية والتعليم

مقدمــة :

الأمة الإسلامية : إذا جاز أن تسمى بأسماء معينـة توضـح جوانبهـا وتفسر حقيقتهـا ، وتبين أهـدافها ، فـإن من أهم الأسماء التي تبـرز وتعلو وترتفـع أمـام الإنسان ، إنها أمة العلم وأمـة التربيـة القويمـة بل أمـة الأستاذيـة في هذا المجـال وصدق الله العظيم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران ـ ١١٠)

وليس عجيباً بعد ذلـك ، أو بعد هـذا الفهم ، أن يعرف الانسـان ، أن الإسلام قد أعلن دعوته منذ اليوم الأول بل منذ اللحظة الأولى بقوله تعالى﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق ـ ١ ـ ٥) .

لقد كان للعرب بل للحنفاء وغيرهم أن يتنبـأوا بكل شيء ، ولكن لم يكن لهم أن يتكهنوا أن الوحي سيكون استهلاله بكلمة «إقـرأ» ثم إنه لم يبتـدي بكلمة «العلم» وإنما بالقراءة ، والقراءة تتضمن الكتابة والقلم والورق ، بينما العلم قـد يكون وهبيا لا يحتاج إلى القلم والقراءة والكتابة والورق مما دل عـلى أن هذا العلم سيكـون وليد القلم وليـد الورق ، وليـد المكتبات والكتب والمؤلفـات والصحف وليد التجارب وليد الذكاء»[1]

وليس عجيباً كذلك أن يجعل الإسلام رفعة الإنسان بأمـرين أولهما الايمـان وثـانيهما العلم فقـال تعالى ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[2]

---

١ ـ انظر في ذلك الى السعادة والقيادة ص ١٣٦ .   ٢ ـ سورة المجادلة الآية ١١

وأن يخص العالم التقي بنعمة الهداية والخشية فقال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[1] وأن يجعلهم حفظة وحيه وحراس شريعته ، فقال تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]

المبحث الأول

طبيعة العلم الإسلامي

والعلم الإسلامي بنى على أسس وقواعد معينة ليست من بنات الأفكار ولا من أخيلة العقول ، وليست وليدة تجارب أو أهواء أو ميول طائفة من الناس ، وإنما كان ناموساً وقانوناً يوازي في ثباته ورسوخه وحقيقته ، حقيقة الإنسان نفسه حقية الإنسان جسداً وروحاً ، غريزة وعقلاً ، ولهذا كانت التربية الإسلامية محققة للسعادة ومؤدية للغاية المقصودة في حياة الإنسان الدنيا وفي حياته الأخرى ، لا تورثه العقد ولا تخلف له الجراح ، والانحراف والقلق والظلم ، ولا تسلك به طرقاً ودروباً تقهره وتدمر حياته وحياة الآخرين .

وعمل العقول في هذه التربية ، أن تبنى على تلك الأسس وترفع تلك القواعد وتبلغها وتربي عليها وترعاها ، وتستثمرها وتبتكر لها الأساليب والوسائل وتتفهم أسرارها ومعنايها وغاياتها ، لتستفيد وتسعد ، وتعز وتهنأ .

٢ ـ كما أنه من طبيعة العلم الإسلامي المتميزة أنه يرتبط بعقيدة وحقيقة ومصدر ، فهو يصول ويجول في كون الله المخلوق والآئه المحدودة وأياته المبثوثة ، وصدق الله ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[3]

---

(١) سورة فاطر الآية ٢٨ (٢) سورة آل عمران الآية ٧. (٣) سورة العنكبوت الآية ٢٠

فكل شيء عنده بمقدار وكل عنصر في هذه الحياة لم يوجد عبثاً أو نشاذاً وإنما وجد مرتبطاً بغيره منسجماً مع سواه مقدراً مدبراً موزوناً ، له قانونه وله غايته وهدفه ، وصدق الله ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾(١) .

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾(٢)

٣ - والعلم الإسلامي يدل المسلم على حقيقة خالدة ذات إنقلاب عظيم وخطير ، وهي أن العلم لا حد له ولا نهاية ، وصدق الله **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾** ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾(٣) .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾(٤)

ومع هذا قد تكفل الله سبحانه للانسان إذا أمعن النظر وأحسن التفكير وتتبع الأسباب المبثوثة في الكون ، أن يدله على بعض أسرار خلقه ويعلمه ما يجهل منها وصدق الله ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٥) ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(٦) ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾(٧)

---

١ - سورة الحجر الاية ١٩
٢ - سورة الكهف الآية ١٠٩
٣ - سورة لقمان الآية ٢٧
٤ - سورة العلق الآية ٥
٥ - سورة فصلت الآية ٥٣
٦ - سورة الزخرف الآية ٤٨
٧ - سورة الانعام الآية ٩٦

المبحث الثاني

أسس التربية والتعليم

من الواضح الذي لا شك فيه أن التربية الإسلامية تبنى على تعاليم الإسلام بشمول تلك التعاليم وواقعيتها واستيعابها ، ولكنه قد يكون من المفيد في هذه العجالة أن نلقي الضوء على بعض من تلك الأسس وعلى أهمها في هذا المجال :

١ - الايمان الصادق كما بينته عقيدة الإسلام وكما وضحه القرآن الكريم وبينته السنة المطهرة الايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر .

أ - الايمان الذي يورث الخشية في القلوب ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[1]

ب - الايمان الذي يضع الثقة في قلب الصغير والكبير ويثبت الخطو على العمل الصالح وعلى الحق المبين : وصدق رسول الله ﷺ إذ يبين ذلك لابن عباس : «يا غلام احفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لا ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام وطويت الصحف»[2]

---

١ - سورة المجادلة الآية ٧

٢ - أخرجه الترمذي رقم ٢٥١٨ ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وأحمد في المسند رقم ٢٦٦٩ بسند صحيح . جامع الأصول - ١١/ ٦٨٥ .

جـ ـ الايمان الذي يدفع إلى الغايات الكبار «ليكون الدين كله لله» «لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى» لله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

وهذا الايمان يتعلم بفتح البصر والبصيرة على ألاء الله ، وعلى كونه الرحب الفسيح ، وعلى التفكر والتدبر لآياته المبثوثة ونعمه المنشورة .

كما يتعلم بمصاحبة القرآن ومعايشة الوحي الالهي والهدى الرباني مصاحبة ومعايشة يحس الإنسان فيها مناجات ربه ، ويشعر فيها بجلاله وقدسيته وعظمته ، ويرى فيها أنواره التي تضيء السموات والأرض وتنكشف بها إقامة الكائنات ظاهرة وباطنة ، كما يتعلم بمصاحبة الأنبياء والمرسلين والسير على سننهم واقتفاء آثارهم ،والتتلمذ على إمامهم وقائدهم محمد رسول الله ﷺ ، بدراسة سيرته واقتفاء هديه و العمل بشرعه والتخلق بأخلاقه و التحلي بصفاته والتأسي بشمائله أعماله ودراسة أقواله وأفعاله ، «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

د ـ كما يتعلم بالقدوة الحسنة كما بينا برسول الله ثم بالصحب الكرام ، «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً» .

روى ابو سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس ، فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون لهم نعم ، فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون : نعم فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب من

صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون نعم فيفتح لهم » رواه البخاري الفتح ٧/٣ .

ولما روى عمران بن حصين رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : «خير أمتي قرني ، ثم الذي يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً ثم أن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن» فتح الباري ٣/٧

ولما روى أبو سعيد عن رسول الله ﷺ : «لا تسبوا أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق كل يوم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » صحيح .

فالقدوة بأصحاب الايمان الذين شهد الله لهم بالفضل وحض الرسول ﷺ على احترامهم وبين ﷺ فضلهم وسبقهم وقيمتهم تصحب الانسان إلى آفاق العظمة والإخلاص والعمل . والتمرد عليهم ومفارقة طريقهم يؤدي إلى مفاصلة الخير والرفعة والهداية ، بل يؤدي إلى غضب الله وسوء العقبى والعياذ بالله .

عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله ﷺ : «الله الله في أصحابي : لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد أذى الله ، ومن أذى الله يوشك أن يأخذه» الترمذي ٣٨٦٢

٢ - العلم النافع

العلم الذي ينسجم مع منهج العقيدة والشريعة ، فلا يشتط حتى يلهب الشهوات ويثير الفتن ويميع الأخلاق ويحبب الرذائل ولا يسفل حتى يهتك العورات ويريق الاعراض ، أو يهلك الحرث والنسل ، ويبيد الأخضر واليابس .

وإنما يكون العلم المفيد الذي يرفع الانسان روحاً ونفساً وجسداً ويعطيه سعادة وهناء واستقراراً ، وذلك في كل معرفة تزيد الانسان صلة بالله وتمكناً من القيام بواجبات خلافة الأرض ، وعمران الحياة بالخير والعدل بين الناس وبالسعادة والرفاه فيما أحل الله وشرع فتسخير العلم مثلاً في صنع أسلحة الدمار النووية والكيماوية ، والجرثومية لارهاب الضعفاء وقهرهم وأخذ خيراتهم وامتصاص دمائهم وهتك حرماتهم والتجسس على عوراتهم لا تدخل في إطار العلم النافع والمفيد ، واستعمال العلم أو الذرة في الطب وفي تسيير دفة الحياة وفي إعمار الأرض للتوسعة على الناس وإشباع البطون وتخفيف الويلات ورحمة المحتاجين والمنكوبين تدخل في إطار العلم النافع ، والعلم النافع يدخل في كل مجالات الحياة المختلفة بكل صورها ونشاطاتها ، يقول الامام الغزالي .

«العلوم درجات وهي كذلك أقسام شرعية وغير شرعية . فالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وغير الشرعية مثل الحساب والطب واللغة ، والعلوم التي ليست شرعية تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح .

فالمحمود من العلوم ، ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وغيرهما وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة : أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان ، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمه الوصايا والمواريث وغيرهما «وكذلك كل ما كان على شاكلتهما» وهذه العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد . . . . ولا يتعجب من قولنا أن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات

كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة فإنه لـو خلا البلد من الحجـام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك . فإن الذي أنـزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعـد الأسباب لتعـاطيه . فـلا يجوز التعـرض للهلاك بإهمـاله ، . . . وأمـا المذمـوم فعلم السحر والـطلسمات وعلم الشعبـذة والتلبيسات[1]

وقد بين الغزالي إلى أسباب ذم العلم في ثلاثة أشياء أولها : ـ

١ ـ أن يكون مؤدياً ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كعلم السحر والطلسمات .

٢ ـ أن يكون مبنيا على الخرافة أو على إعتقاده أن الأشياء هي المؤثرة بدون مؤثر ، وينهي عن ذلك من ثلاثة أوجه

الاول : لأنه مضر بأكثر الخلق ، كمن يدرس علم الكواكب بغير فهم ولا معـرفة لحسـابها الـذي قـد نـطق القـرآن بـه في قـولـه تعـالى ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[2] ، ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[3] فيقـع في نفسه أنها هي المؤثـرة ، وأنها الآلهة المـدبرة لأنها جـواهر شـريفة سمـاوية أو يـرى الخير والشـر محـذوراً ، أو مـرجـواً من جهتهـا ويتنـاسـا أن الشمس والقمـر والنجـوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى . فيوقع بذلك الناس في شر عظيم .

الثاني : الحكم على الأشياء بالتخمين والظن الذي ليس عليه دليـل فيكون ذمة من حيث أنه خوض في جهل يؤدي الى جهل لا إلى علم .

الثالث : أنه لا فائدة فيه ، فتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الانسان في غير فائدة غاية الخسران .

---

(١) انظر الأحياء ١/١٦

(٢) الرحمن ـ ١

(٣) يس ـ ٣٩ .

٣ - السبب الثالث : من أسباب ذم العلم : الاتصال بالعلوم على غير المقصود منها ، أو بطريق خاطىء كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها ، وخفيها قبل جليها ، وكالبحث عن الاسرار الإلهية فيما لا يستطيع الانسان أن يدركه وقد إستعاذ الرسولﷺ من علم لا يفيد ولا ينفع فقال «نعوذ بالله من علم لا ينفع» ابن عبد البر يسند حسن(١) .

٣ - العمل الصالح

والعمل الصالح قرين العلم النافع ودلالة على الايمان الصادق والعمل الصالح دلالة على صلاح العلم المتلقي ، وعلى إخلاص العالم المتحدث والمعلم ، والعمل قد يكون بياناً للحق وتحملاً لتبعاته كقوله تعالى **يعيب على من خالفوا ذلك ومالؤا فيه وداهنوا عليه واشتروا به عرضاً قليلاً** ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾(٢) ثم مدح غيرهم من العاملين بقوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٣)

كما يكون بالقدوة في صالح الأعمال وعلى طريق الهداية حسب أوامر الله ونواهيه كقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾(٤) وقوله تعالى ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(٥) وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ (هود - ٨٨)

---

(١) احياء علوم الدين بتصرف ١ / ٢٩
(٢) آل عمران - ١٨٧
(٣) آل عمران - ١٩٩
(٤) البقرة - ٤٤
(٥) الصف - ٣ .

فـالعلم الإسـلامي يعلم العمـل مـع العلم ، فهـو ليس علماً نـظريـاً سفسطائياً ، وإنمـا هو علم يعمـل عمله في الأمة ، فليس العلم في واد والأمـة في واد آخـر ، وإنما هـو علم متلاحم مـع عادات الأمـة وأعمالهـا وأفعالهـا وسيرتهـا متغلغل في حياتها الإجتماعية والثقافية .

وعلى هذا فالأمة الإسلامية تزين علمها بالتطبيق والعمل ، وترشد سيرتهـا بـالعلم والفكر والبحث والحجـة ، فطلب العلم عنـدها عبـادة ، والتفكر عبـادة والعمل الصالح عبادة .

وصدق الله :﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[1]

﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾[3]

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[4]

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (٥)

فايمان الأمة يدفعها إلى العمل الصالح والى الجد في الخير لا إلى الإستسلام والتـواكل والـرهبنة ، ويحـدوهـا إلى الإنتـاج وإتبـاع الأسبـاب ، لا إلى الكسـل

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨

(٢) سبأ ـ ٤٦

(٣) سورة المؤمنون الآية ٥١

(٤) سورة التوبة الآية ٠٥*

(٥) سورة الاسراء الآية ٩

والخنوع والإستكانة ، ايمان يدعوها إلى السعي في طلب الرزق في قوله تعالى ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (١)

ويحضها على السير لتعقل الأشياء وتفهم الحوادث حتى تعي السنن المبثوثة في الأرض قال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (٢) ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (٣)

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ (٤)

ويلفتها إلى الأقوام التي أهملت العمل الصالح وأفسدت في الأرض وقعدت عن إتباع المعروف فكان عاقبة أمرها خسراً فقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ (٥)

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾﴾ (٦).

وقد جعل الإسلام عقيدته تزكو بالعمل والتفكر وأعمال البصر والبصيرة فقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (٧) .

---

(١) سورة تبارك الآية ١٥

(٢) سورة الحج الآية ٤٦

(٣) سورة الآية العنكبوت ـ ٢٠

(٤) سورة آل عمران الآية ١٣٧

(٥) سورة غافر الآية ٢١

(٦) سورة محمد الآية ١٠

(٧) سورة سبأ الآية ٤٦

وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٢)

كل هذا العمل وكل هذا العلم يسخر في نفع البشرية ويكون الوقود الصالح لانطلاقة النفس المؤمنة لتؤدي دورها في الحياة سعيدة كريمة بغير أحقاد ولا عقد وبغير ظلم ولا بغى أو من واستعباد وقهر ، لأن حسابها على الله تعمل لثوابه وتبغى الأجر منه سبحانه . وصدق الله ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣) ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤)

٤ - الاخلاق الكريمة

الاخلاق الفاضلة، والمثل الكريمة قاعدة عريضة من قواعد التربية والتعليم في الاسلام تؤسس هذه القاعدة على رصيد الفطرة الخيرة وعلى مذخور الانبعاث الطبيعي في النفس الانسانية الذي أودعه لله في الطبيعة البشرية منذ أنشأها سبحانه وتعالى ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ . (الروم - ٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩١

(٢) سورة الرعد الآية ٤

(٣) سورة يونس الآية ٧٢

(٤) سورة الشعراء الآية ١٦٤

بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»؟ ثم يقول ابـو هريـرة واقرؤا إن شئتم «فطرة فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله» رواه مسلم ٥٢/٨ .

ولهـذا تسايـر التربيـة الاسلاميـة الفطرة السليمـة ، كما يكـون من مهمة التربية الاسلامية أن تنفي الشرود والانفصام التي تخلفه التعاليم الشـاردة ، كما يكون من مهمتها كذلك تفريغ النفس الانسانية من الطاقات الحيـوانية الجـامحة التي تشد ذلك الانسان إلى الهاوية وإلى التمزق والطغيان واحلال طاقات أخرى كريمة ، واذكاء وامداد الطاقات الفطرية الصـافية في النفس بـالغذاء الـلازم لها لتضيء نفس الانسان وشعوره وفكره بضياء الحياة المستقرة المفيدة السامية .

ولهـذا تصبح التـربية الاسـلامية ضـرورة للقناعـة الانسـانيـة والاستقـرار الشعوري، وضرورة للحيـاة المستقرة والمجتمـع الراشـد، وحقيقة بـارزة وميزان قائم تسمو بذاتها على الفرد والجماعة وتفرض نفسها عليه بغض النظر عن اهـوائه ومصالحه ورغباته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ »[1] .

وقد ركز الاسلام في التربية على الاخلاق الكريمة لأسباب كثيرة نذكر منها :

١ ـ لأنها القيمـة الحقيقية لـلانسان : قـال رسول الله ﷺ : «إن من اكمـل المؤمنين إيمانـاً احسنهم خلقاً والـطفهم بأهله» التـرمذي حسن صحيـح ،وقال ﷺ «كرم المؤمن دينه ، ومـروءته عقله وحسبـه خلقه » لحـاكم والبيهقي صحيح عـلى شرط مسلم .

---

(١) سورة النساء الآية ١٣٥ .

٢ ـ علامة على سلامة الايمان قال ﷺ «أحسن الناس احسنهم خلقاً» بعض حديث صحيح رواه احمد والطبراني باسناد جيد.

٣ ـ علامة النجاح في الدنيا والاخرة قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾(١) قال رسول الله ﷺ «إنكم لن تسعوا الناس باموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» ابو يعلى البزار حسن.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾(٢).

قال رسول الله ﷺ «من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير» رواه الترمذي حسن صحيح.

٥ ـ الثقة والتوكل:

الثقة والتوكل في هذه الحياة على الله سبحانه وتعالى، بعد اتباع الاسباب وطرق السبل لأن الله سبحانه وتعالى هو خالق الأسباب وهو الذي جعلها طريقاً إلى تحصيل المراد من هذه الحياة، فالتوكل على الله، هو طلب الاعانة من الله والتوفيق منه سبحانه لاتباع الطريق الصحيح والامثل في السير على تلك الاسباب والعمل بها، ثم أركان الظهر إليه وتسليم الامور اليه بعد نفاذ الجهد البشري والطاقة الانسانية على هذا الطريق، فهو مصرف لأمور وصاحب الامر وهو على كل شيء قدير.

وعلى هذا الطريق وبهذا الفهم ركز القرآن الكريم تلك المعاني في قلب الرسول ﷺ وصحابته الكرام، قال تعالى ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا

---

(١) سورة النساء الآية ١٣٥.

(٢) سورة الاعراف الآية ١٩٩.

﴿ مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾(١).

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾(٢).

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(٣).

فالتوكل في مفهوم المسلم قوة يقهر بها الاسباب، وعزيمة وثقة وطاقة وشجاعة عند نفاذ الاسباب، ولو كانت أمامه الدنيا مجتمعة فإن معه إرادة الله ومعيته سبحانه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها ابراهيم ﷺ حين القى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (البخاري أخرج الترمذي واحمد بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: يا غلام. إنى اعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمعت الامة على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف «حسن صحيح، وجاء في رواية اخرى تكمله للحديث. فإن استطعت أن تعمل بالرضى في اليقين فافعل، وإن لم تستطع، فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وإن الفرج

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٢٢.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٣ - ١٧٤.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

مع الكرب وإن مع العسر يسرا، ولن يغلب عسر يسرين»[1] انظر جامع الاصول ٦٨٦/١١ والترمذي رقم ٢٥١٨ واحمد برقم ٢٦٦٩، وجامع العلوم والحكم وهو صحيح جمع الجوامع للسيوطى ٩٧٥.

ولهذا كان المسلم دائماً عزيزاً قوياً واثقاً بربه متوكلاً عليه وليس متواكلاً مرتعشاً مهزوزاً.

٦ ـ الحب في الله

الحب في الله سمة من سمات المسلم ودلالة من دلالات الايمان وركيزة قوية من ركائز المجتمع المسلم، حيث تجتمع الامة المسلمة على غاية واحدة وفي سبيل هدف واحد لتحقيق رسالة واحدة فتكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منة عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر وقد امرها الله سبحانه وتعالى بذلك فقال ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[2].

وقرر القرآن أن الحب في الله وموالاة المؤمنين علامة من علامات الايمان الصادق قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[3].

وقر هذا رسول الله ﷺ عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما

---

(١) روى هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة جداً، رواه الترمذي واحمد وقال الحافظين رجب الحنبلي، رواه عكرمة وعطاء بن أبي رباح وعمرو ابن دينار، وعبيد الله بن عبدالله وابن ابي مليكة وغيرهم.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٣) سورة التوبة الآية.

سـواهما ، ومن أحب عبـداً لا يحبه إلا لله ومن يكـره أن يعود في الكفـر بعـد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» رواه البخاري ومسلم .

وعن عبـدالله بن عمـر رضي الله عنهـما قـال: قـال رسـول الله ﷺ «خـير الاصحـاب عند الله خيـرهم لصاحبـه، وخير الجيـران عند الله خيـرهما لجـاره»، التـرمذي والحـاكم . صحيح عـلى شرط مسلم، وعن أبي الـدرداء رضي الله عنه يـرفعه قـال : «ما من رجلين تحـابا في الله بـظهـر الغيب إلا كـان أحبهـما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه» الطبراني باسناد جيد قوي .

وقال ﷺ : «من أعطى لله ومنـع لله ، واحب لله وابغض لله وانكح لله فقـد استكمل ايمانه» احمد والترمذي والحاكم بسند صحيح .

وقـرر القرآن أيضـاً أن من أبغض المؤمنين ووالى غيـرهم، فهو آثم مخـالف لأوامر الله سبحانه ضعيف الايمان بعيد عن ربه وعن سبيل المؤمنين قـد خلع ربقة الاسلام من عنقه، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ المجادلة٢٢ .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ المجادلة ١٥ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .(المائدة ـ ٥١) .

قال الفقهاء: الامة مجمعة على أن حب الله ورسولـه فرض، وكـذلك حب

الاتقياء والعلماء واجب لأن محبوب المحبوب محبوب، ورسـول المحبوب محبـوب، ومحبـة الصالحـين تنفع في الـدنيا والاخـرة، في الدنيـا تدعـو إلى تشييـد الأعمـال الصالحة بالقدوة الحسنة وبالمعاونة على فعل الخير والبر، وبالنصيحة وبالاتفاق على بـذل الطاعـة فمن احب انسان وافقـه وعمل مثله، واهتـدى بهديـه، فينمو عـلى الكمال ويترعرع على المحامد وينـال ثواب الله في الآخـرة كما أن صحبـة الاشرار تضر في الدنيا والاخرة وتهلك الطاقة والعمل وتجلب غضب الله سبحانه.

ولقد قاد رسـول الله ﷺ الامة الاسـلامية إلى التـربية الصحيحـة السليمة فمن تربية الجسد بالغذاء الطيب الحلال، إلى الرياضة والسباحة وركوب الخيل، حتى يعطى الفرد المسلم القوة والقدرة على مواصلة العمل والكفاح في الحياة، إلى تربيته على القوة العسكرية والتدريب الحربي حتى يجعله دائماً قادراً عـلى المحافـظة عـلى الحق وعلى الـدفاع عنـه، ورد العدوان، وعـلى الطاعـة والنظام، واستنفـار الطاقات واثارة العواطف والغضب للحق.

كما يربيـه على العبـادة حتى يكون قـوي الروح عـظيم النفس دائم الثقة قادرراً على العطاء والاحتساب والصبر والقناعة والرضى .

ثم بالتربية بالعمل الصالح والخلق القويم حتى يكون صاحب هدف وغاية عليا سامية لا تنزل به إلى حمأة الطين أو إلى حضيض الشهوة الجامحة.

كل هذه التربية وغيرها تقررها السنة وتبينها السيرة العطرة وتشيد بها نفس المسلم العملاق حتى تجعله نموذجاً كريماً عزيزاً شامخاً.

وحتى يكون على المحجة البيضاء والصراط المستقيم لا يضل ولايشقى،عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه سمـع رسول الله ﷺ يقـول: لقد تـركتكم على مثل المحجة البيضاء ليلها كنهارهـا لايزيـغ عنها إلا هـالك»حسن. التـرغيب والترهيب ١/ ٥٢.

المبحث الثالث

أساليب التربية

١ ـ الاتصال بكتاب الله تعالى :

ما عرفت البشرية قديماً كانت أو حديثاً كتاباً أو دستورا أو اسلوباً يحوي من الثروة التربوية، ومن الأهداف العليا، ومن المحتويات العظمى والأساليب المقرونة بالتسامي والواقعية والشمول والاتزان كالقرآن الكريم، الذي يؤسس للتربية المحيطة الشاملة لكل طاقات الانسان وملكاته وغرائزه واشواقه وغاياته، ولا يخرج بها عن هدف واحد يستقيم على منهج فريد يلقى في داخل النفس السلام والهدوء والطمأنينة ويزرع الاستقرار والسعادة في خارجها مع الكون والمجتمع، ويزين الحياة بالجمال والاحسان والاخوة.

ومن أساليب التربية في القرآن الكريم، التربية بالتلقين والمحاكاة واتباع القدوة الحسنة بالتعاليم والممارسة والتعود، وبالعمل وباستعمال المنطق والمحاكاة الفعلية، وبالتأثير في النفس وإثارة العواطف، وباسلوب القصص والعبرة من أحوال الغابرين، وبالبيان المعجز والحوار وضرب الامثال واستعمال الحكمة، وبتقرير الواقع واستخدام الحس والتفكر والتدبر، والتواصي بالحق والصبر وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبشفافية الروح ونقاء الضمير والاخلاص والمحبة وبالترهيب والترغيب ، والقصاص والتعزيز وقبول التوبة والغفران ، وبالعمل الصالح ، وبالطهر والفضيلة . . الخ .

٢ ـ الاتصال بالسيرة النبوية

السيرة النبوية هي التدريب العملي للتربية، حيث أن التدريب العملي

للتربية يبقى من أهم الأساليب في التربية والتعليم.

قال تعالى يأمر بالاقتداء برسول الله ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. (الأحزاب - ٢١)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. (النساء - ٥٩)

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)﴾ الانفال - ٢٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾. (الاحزاب ٣٦).

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال، أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدي المهدين عضواً عليها بالنواجز وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة « حسن صحيح، الترمذي وأبو داود.

٣ - الاتصال بالسلف الصالح.

السلف الصالح هم المدرسة وهم الصحبة الكريمة التي لازمت الوحي وتعلمت منه وسايرت الركب، وكانوا ثمار التربية وزهور الرياض وعطر الايمان

وحديث الأزمان، وحكاية القرون وبشرى الرسالات والرسل وصدق الله ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ . (الفتح - ٢٩) .

كانوا الإخاء كله ، والايثار كله ، والمجد كله ، والمحبة كلها والصفاء كله ، والفلاح كله ، وصدق الله : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ الحشر ٩ - ١٠ .

كانوا الرجولة كلها والعزيمة والكفاح والصدق والوفاء والاخلاص والتضحية والفداء وصدق الله ، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الاحزاب ٢٢).

هم أصحاب الألسن العفيفة، والفروج الطاهرة والأيدي الامينة والصلاة الخاشعة والاموال الزاكية والعهود المرعية، وصدق الله .

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ المؤمنون ١ ـ ١٠ .

فكان اذن ذلك السلف الصالح نوراً وهداية، ومثلاً وعلامات على الطريق، يهتدي بها المؤمن في طريقه وفي جهاده ودعوته.

فتربية المسلم إذن على معاني الاسلام وخصوصا في هذه الأيام وصياغة سلوكه وأعماله وتصرفاته وفق هذه التعاليم أمر ضروري لا غنى عنه للأمة المسلمة حتى تنهض ويستوي عودها ويشتد أزرها، فواجب على الدعاة الاهتمام به إذا أرادوا أن يقيموا للاسلام راية وينفذوا له شرعة ويربوا له جيلا يفخر به ويعتز وينتصر إن شاء الله.

ومما يجب أن يلاحظ في هذا المجال أن السلف الصالح كانوا التطبيق العملي والدلالة الواضحة على طريق القرآن والسنة، ولم يكونوا بذواتهم فقط، أو بعقولهم فحسب.

ومن المواقف الخالدة التي كان يقررها العلماء المخلصون في هذا المجال. موقف عالم العصر ومرشده الشيخ «سعيد النورس» التركي الملقب بـ «بديع الزمان» رحمه الله واجزل مثوبته، هذا الموقف يتلخص في أنه حين أحس مرة أن من بين طلابه ومريديه من يذهب في تقديسه وتعظيمه حداً عظيماً، ويربط معالم الحق بشخصه الفاني، قال لهم موصياً وموجهاً وناصحاً، إياكم أن تربطوا الحق الذي ادعوكم اليه بشخصي الفاني، ولكن عليكم أن تبادروا فتربطوه بينبوعه الاقدس: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولتعلموا انني لست أكثر من دلال على بضاعة الرحمن جل جلاله، ولتعلموا أنني غير معصوم قد يفرط مني ذنب، أو يبدوا مني انحراف فيتشوه مظهر الحق، الذي ربطتموه بي بذلك الذنب أو الانحراف،

وارتكـابي الأثام أول صـارفا لكم عن الحق بمـا شوهـه واختلط به من انحـرافي واثامي » .[1]

اذن فمن أغتر بنفسه عن تـطبيق الأحكام الشـرعية فليس بصـالح ولا من السلف الصـالح في شيء، وإنمـا هو من أهـل السوء وعلماء الشـر والفتنـة، قـال ﷺ، العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه، وعلم في القلب، ذلك العلم النافع اخرجه الترمذي باسناد صحيح .

وقـال ﷺ: «لا تتعلموا العلم لتبـاهو بـه العلماء، ولتماروا بـه السفهـاء، ولتصرفوا وجوه الناس اليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار» اخرجه ابن ماجة من حديث جابر بسند صحيح .

---

(١) انظر في ذلك تربية الأولاد في الاسلام لعلوان ـ ٢/٨٥٨.

الباب الرابع

وسائل تبليغ الدعوة بالقول

ويشتمل على :

الفصل الأول

أهمية التبليغ بالقول ووسائله وضوابطه

من وسائل تبلغ الدعوة إلى الله تعالى ، التبليغ بالقول والعمل وسيرة الداعي التي تجعله قدوة حسنة لغيره ، وتكون دعوة بلسان الحال مع المقال .

المبحث الأول

أهمية القول في الدعوة إلى الإسلام

للقول أهمية كبرى في الدعوة إلى الله تعالى سواء كان هذا القول ملفوظاً أو مكتوباً أو مقروءاً ، ومن قديم بعث الأنبياء والمرسلين مبلغين لرسالات الله تعالى بالكلمة الصادقة والقول البين : «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال أنني من المسلمين» فواجهوا أعداءهم بالحجة الساطعة والبرهان الدافع ، والحق الأبلج

فهذا ابراهيم عليه السلام يجادل أحد المبطلين فيفحمه ويلزمه الحجة ، يقول الحق سبحانه ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ سورة البقرة - ٢٥٨ .

وهذا موسى عليه السلام يجادل فرعون ويلزمه الحجة :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦)

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ۝٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ سورة الشعراء ٢٣ ـ ٢٨ .

وهذا عيسى عليه السلام ، يجادل عن والدته ويدافع عن شرفها ويعلن عن مقدمه فيقول: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ۝٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾ سورة مريم الآية ٣٠ .

وهذا رسول الله ﷺ يرد الافتراء الباطل بالحجة البينة : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٤٢) .

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ (سورة البقرة الآية ٢١٧) .

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ سورة يس ـ ٧٩ .

هذا وما زال الانسان يقاد بالكلمة ما دامت له أذن تسمع وعين ترى وعقل يفكر وما زال القول يوجهه ويأسره ويملك عليه أقطاره وما زالت الكلمة تقود وتؤثر وتعمل عملها المذهل في النفوس ، بل أصبحت اليوم هي القوة المسيطرة والفعالة ، التي إستغلت فكانت أقوى من الجيوش وأمضى من الكتائب ، وأصبح الغزو الثقافي والفكري اليوم ، أقدر من الاسلحة وأفتك من البارود ، وأقوى من القنابل والصواريخ .

إن أعظم شيء عند الانسان هو الكلمة ، منطوقة ومكتوبة ومصورة ومنحوتة ومنغمة .

وهي وسيلة التبليغ الكبرى إلى اليوم وستظل في المستقبل .

فالتبليغ بالقول إذن هو جهاز الدعوة الاعلامي ، وهو جهازها الثقافي والتربوي والارشادي والتقويمي ، الذي يملك الفكرة الجامعة التي تتخطى حدود الاقليمية إلى العالمية وحدود الذاتية الشخصية إلى حدود الاخوة العامة . فهو إذن يحمل :

١ ـ مقومات العالمية الانسانية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ . (الحجرات ـ ١٣)

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . (آل عمران ـ ٦٤)

٢ ـ المثالية الواقعية

حيث تتحول الفكرة إلى واقع معاش قال تعالى ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف ـ ٣)

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .
(البقرة ـ ٤٥)

فالنظام الإسلامي لا يعترف بالشعارات غير المسؤولة ، ولا بالمبادىء الفارغة ولا بالتعاليم الخاوية عن المضمون ، ولا بالقيادات المنفصلة عن الرسالة ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ سورة هود ـ ٨٨ .

كما لا يعترف بالاستغلال للافراد أو الجماعات أو الأمم ، ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة الشعراء ـ ١٨٠ .

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ سورة سبأ ـ ٤٧
﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ سورة يس ـ ٢١ .

٣ ـ الشمول والاحاطة حيث تشتمل على كل جوانب الحياة فهي إذن

أ ـ فكرة سياسية ، أو دولة ووطن ، أو حكومة وأمة ، أو رحمة وعدالة ، تشتمل أحكام النظم الدستورية التي تتعلق بنظام الحكم وأصوله ، وبيان حقوق الأفراد والجماعات .

وتفصل أحكام النظم الدولية التي تتعلق بمعاملات الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم وتحدد علاقتها بغيرها في السلم والحرب والمعاهدات وتبين أحكام الجنايات والمرافعات ونظم القضاء والخصومات والدعاوى وغيرها .

ب ـ فكرة إجتماعية ، تبين أحوال الانسان في عبادته وعلاقته مع ربه ، ثم تفصل أحكام الأسرة من بدء تكوينها من زواج ونفقة وحقوق وميراث ونحو ذلك وأحكام المعاملات في البيع والشراء وتنظيم المعاملات المالية ـ من إجارة ورهن وكفالة وغير ذلك .

جـ ـ فكرة اقتصادية تتعلق بتنظيم الموارد ، والمصارف الإسلامية مما يؤدي إلى تنظيم العلاقات المالية ، ورفع الاستغلال والجشع والظلم بين الاغنياء والفقراء وبين الأمة والافراد .

د ـ فكرة عسكرية تنظم الجندية وتحض على الاستعداد لحماية الحق والرسالة ، وإزاحة الباطل ، والثبات في الميدان ، كما تنظم أساليب الحرب الشريفة وأخلاقيات القتال ، ومعاملة الأسرى ، والوفاء بالوعود والمواثيق وعدم الاعتداء على الآمنين إلى غير ذلك .

٤ ـ السمو والتفوق ـ أن حاجة البشرية اليوم شديدة إلى هذه الدعوة

حيث أن العالم اليوم شقى شقاء كريهاً يحتاج معه إلى عناية الله ورسالته وفي هذا يقول محمد أسد : «ليس ثمة علامة ظاهرة تدل على أن الإنسانية مع نموها الحاضر ـ قد استطاعت أن تشب عن الإسلام ، بل إنها لم تستطع أن تخلق نظاماً خلقياً أحسن من ذلك الذي جاء به الإسلام . إنها لن تستطيع أن تبني فكرة الأخاء الإنساني على أساس عملي ما ، كما استطاع الإسلام أن يفعل حينما أتى بفكرة القومية العليا «الأمة» أنها لم تستطيع أن تشيد صرحاً إجتماعياً يتضاءل التصادم والاحتكاك بين أهله فعلاً على مثال ما تم في النظام الاجتماعي في الاسلام . إنها لم تستطع أن ترفع قدر الانسان ، ولا أن تزيد من شعوره بالأمن ولا في رجائه الروحي ولا سعادته . ففي جميع هذه الأمور نرى الجنس البشري في كل ما وصل إليه مقصراً كثيراً عما تضمنه هذا المنهج الإسلامي ، فأين ما يبرر القول إذن بأن الإسلام قد ذهبت أيامه ؟

أذ لك لأن أسسه دينية خالصة ، والاتجاه الديني زي غير شاسع اليوم ؟

ولكن إذا رأينا أن نظاماً بني على الدين قد استطاع أن يقدم منهاجاً عملياً للحياة أتم وأمتن وأصلح للمزاج النفساني في الانسان من كل شيء آخر يمكن للعقل البشري أن يأتي به من طريق الاصلاح والاقتراح أفلا يكون هذا نفسه حجة بالغة في ميزان الاستشراف الديني[1]

المبحث الثاني

تعدد الوسائل في التبليغ

لا شك أن وسائل التبليغ اليوم قد أصبحت كثيرة ومتعددة ومتنوعة وكلها ترجع إلى ما يأتي : ـ

---

١ ـ الإسلام على مفترق الطرق ـ ترجمة فروخ ـ ١١٢ ط دار العلم للملايين .

١ ـ وسائل سمعية مثل الاذاعة والندوة والخطبة والمناقشة والدرس إلى غير ذلك .

٢ ـ وسائل مقروءة ـ مثل الصحف والمجلات والكتب والنشرات الى غير ذلك .

٣ ـ وسائل بصرية مثل التلفاز والمسرح والسينما والفيديو وغير ذلك .

٤ ـ وسائل شخصية ـ مثل المقابلة والدعوة الفردية والمحادثات والمجاملات إلى غير ذلك .

المؤثرات

يجب أن يعلم الداعية أنه مرسل ، وأن السامع مستقبل ، ولا بد أن يكون المرسل مؤثراً في عقل المستقبل حيث أن الفكرة إذا وصلت إلى عقل المستقبل تعمل عملها حسب قوة المرسل ، وحسب جودتها وتأثيرها وحسب حال المستقبل ، ولهذا يلزم أن نبين ثلاثة أشياء منطقية في هذا الامر : ـ

الاول : معرفة ما يحط بالشخص المدعو حيث أن كل شخص وكل أمة لها أحوالها

أ ـ ميوله وتفكيره ، وعرفه ـ فهناك غرائز تبرز في بعض الشعوب والاشخاص فتسيطر على تفكيره وتقوده إلى نوع معين من الفهم والسلوك ، وقد يقبلها العرف وقد لا يقبلها ، وقد تكون ميول خيرة وقد لا تكون .

ب ـ لكل شعب عقائده ، ومذاهبه ، وذوقه الخاص ، وهذا قد يكون في دعوة غير المسلمين ، أو في دعوة المسلمين الذين أصابتهم جرثومة الامراض المستوردة ، من شيوعية ، واشتراكية أو ديمقراطية أو أباحية .

جـ ـ لكل شعب ثقافته الخاصة التعليمية والتراثية ، ومفاهيمه الخاصة في ضوء هذه الثقافة ، وشعوره الخاص من تأثيرها سواء كانت هذه الثقافة عالية ، أو بدائية .

د ـ لكل شعب تطلعاته وآماله ونعراته وأهدافه ، مادية كانت أم معنوية كاهتمامه بالمادة الطاغية ، أو بالكرامة العالية ، أو بالسلامة والطمأنينة فيجب على الداعية أن يعرف كل ذلك عن الافراد وعن العائلات وعن القبائل عن الشعوب والأمم ولا يكون كالاعمى الذي يجري في حقل النخيل فإنه لا بد وأن يصاب بالاذى ولا بد وأن تقعده الصدمات .

ونجد ذلك في القرآن الكريم : حيث خاطب الفطرة السليمة ، وعالجها ووعدها بالثواب والجنة، وخاطب الفطرة الملتوية، وجعل لها عقوبات دنيوية، وقانونية رادعة، وخوفها من عقاب الآخرة .

كما نجده خاطب أصحاب العقائد من يهود ونصارى وحاجهم بمذاهبهم وبين خطأها وعوارها .

ونجده كذلك خاطب عبدة الكواكب والنجوم والأوثان ، وكذلك من يعتقد بالبعث ومن لا يعتقدون .

وخاطب الفطرة الجبانة في النفس الانسانية نجد ذلك في بني اسرائيل عند قوله تعالى ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ المائدة ـ ٢٢

وقال في الخائفين من غيرهم والحريصين على الحياة ، أي حياة في سواهم : ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ آل عمران ـ ١٥٤ .

وقال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ آل عمـران ـ ١٥٧

وعالج القرآن المادية الطاغية ، وعالج الروحانية المفرطة في الرهبانيـة وترك الدنيا ، وأحاط بكل الأمراض والعلل وجاء لها بالدواء الناجع .

وقد فصل ذلك رسول الله ﷺ وترجم هذا في دعوته عملياً وقوليـاً وكذلـك السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

وهذا منهج متكامل قد نعرض له في المستقبل إن شاء الله تعالى .

أنواع المؤثرات

لا شـك أن في الانسان أحـاسيس معينة تثـير في الانسان طبـائع مختلفـة في خلقـه ، في غرائـزه ، في عواطفـه ، في قواه العقليـة ، وصدق الله العـظيم «وفي أنفسكم أفلا تبصرون» وهذه الاحاسيس لا شك تصل إليها المعلومات عن طرق ثلاثة ذكرها القرآن الكريم في قوله تعـالى ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١)
وتؤثر كذلك في الانسان من طرق ثلاثة .

أولها ـ المؤثرات الحسية

وهي تستثـير الاحاسيس الـطبيعية في الانسـان ـ كالحب أو الكـراهيـة أو الفرح أو الحزن أو التعاسة ـ إلى غير ذلك .

وهذه المؤثرات الحسية يستعملها الداعية لتحريك الاحـاسيس نحو دعـوته التي يدعو إليها ويريدها ، كـالتحريض عـلى الاستعداد والجهـاد بإظهـار فظائـع الاعداء وفعلهم بالمسلمـين ، فتعرض صـور القتلى والجـرحى والخرائب والـدمار

---

(١) النحل ـ ٧٨ .

الذي ينزله الاعداء بالمسلمين وصور المشوهين والعجزة ، كما يعرض على الرأي العام العالمي صور الاطفال القتلى وما يفعل بالنساء والعجزة والمرضى في المستشفيات والمصحات .

أو صور الجوع والهزال الذي يصيب الافراد في الأمة المسلمة .

أو استعمال تشييع جنازات الشهداء في إزكاء روح الحماس وحب الإستشهاد .

ومن هذا استعمال الداعية للخرائط التي تبين الفتح الإسلامي وإلى أي مدى كان يبلغ في البلاد والعباد .

ومن هذا استعمال : بعض الصور لتدل على ظلم الحكام . فمثلاً كانت تنشر في بعض الجرائد في مصر زمن الملك . صور للفقراء والمتسولين ويكتب تحتها رعاياك يا مولاي !! ويظهر بجانب تلك الصور جوانب من الترف الملكي والنعيم والبزخ ومن هذا ، كشف الأجساد في المحاكم أو أمام الناس لرؤية آثار التعذيب للمتهمين ، وبيان الظلم الذي وقع عليهم .

ومن هذا ضرب المثل بالصور الحية في الموعظة في بعض المواقف المعينة

مر رسول الله ﷺ بالسوق والناس كنفتيه «أي حوله» فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ، ثم قال «أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أن لنا بشيء وما نصنع به ؟ ثم قال اتحبونه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حياً كان عيباً إنه أسك « صغير الاذن » فكيف وهو ميت !! فقال : لله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم» رواه مسلم (٢٩٥٨) .

ومن هذا ، وعظ الصحابة في بدر ومخاطبة الرسول ﷺأصحاب القليب ، ومن ذلك أيضاً : أمر الرسول ﷺ الرجل الذي يؤذيه جاره ، أن يطرح متاعه في

الطريق ليرى الناس فعل جاره به ، هو احتجاج عملي من الجار على جاره ، فلما رآه جاره ، واستفظع ذلك الناس ، ذهب إليه جاره وترضاه . إلى غير ذلك مما نجده في السنة ، وقد يقوم القصص القرآني المعبر بهذه المهمة ، حيث يصور الوقائع تصويراً ناطقاً فيأخذ بالألباب : فنراه يطوف بنا في السموات والأرض ويقول : «قل انظروا ماذا في السموات والأرض» ويرينا الزروع والانهار والسحب والشمس والقمر والنجوم والدواب والانعام ، من تلك اللوح الناطقة ، ليدلل على حجته ، ويلفت الأنظار ويستثير الاحاسيس الطبيعية لدى الانسان ، وقد كانت معجزات الرسل من هذا القبيل .

ثانياً : المؤثرات العقلية :

وهذه المؤثرات تعمل عملها في العقول فتستثيرها وتفعل فعلها في التفكير فتلفته إلى جهة معينة أو إلى إقناع معين ، كالتصديق والتكذيب والتأييد والرفض ، والاعجاب والاستنكار .

وهذا اللون يستعمل فيه الكتاب الجيد والفكرة المنظمة والحجة البينة ، والاقناع العقلي .

يستعمل فيه التربية والتعليم وتركيز المعلومات والتنشئة عليها ، كما يستعمل في ذلك الحوار الذكي والندوات الموجهة والمحاضرات المعدة إعداداً جيداً .

ويستعمل في ذلك المقال الصحفي المركز والمستند على الحقائق والبراهين ، والتحليلات الجيدة اللماحة ، من وسائل الاعلام المختلفة . وقد استعمل القرآن الحجة البينة والإفحام القاطع ، بل كانت معجزة الرسول ﷺ عقلية ، وهي القرآن الكريم الذي جاء بالحجة الواضحة ليخاطب العقول والافهام ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ

أن تُنبِتوا شجرها أءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ النمل - ٦٠ .

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ النمل - ٦١ .

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ النمل ٦٠ - ٦٤ .

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون ١١٧ .

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ آل عمران ٦١ .

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران ٦٥ - ٦٧ .

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾[1] وما بعث الله رسولاً إلا وأتاه الحكمة والحجة والبيان ليخاطب العقول والألباب ، وقد بينا ذلك في ص فأرجع إليه إن شئت ، والقرآن فيه أساليب البيان وأنواع

(١) الأنعام - ٨٣ .

الحجج ما يفرد في مؤلفات خاصة كما أنه يستحب في ذلك العصر المليء بالدعوات والأهواء وأساليب الخداع أن لا يترك الدعاة وحدهم بجهدهم المحدود وعلمهم المعروف ، بل لا بد أن تكون هناك مراكز معلومات وخبراء ومجامع تخطيط وتوجيه تمد الداعية الموهوب بهذه الأشياء من معلومات وحجج وخطط وتعاليم ، كما تبصره الطريق ، وتجنبه المزالق وتراقب عن كثب كل شيء لتصبه في عقله وقلبه ولسانه وقلمه فالدعوة الآن رغم أنها رسالة وهداية ، فهي اليوم علم وفن وأساليب وخطط ، ويعجبني النظرة اللماحة التي أشار إليها فضيلة الشيخ حسن في رسالته دعوتنا إذ يقول : «والدعاة اليوم غيرهم بالامس منهم مثقفون مجهزون ومدربون اخصائيون ولا سيما في البلاد الغربية حيث يختص بكل فكرة كتيبة مدربة توضح غامضها ، وتكشف عن محاسنها وتبتكر لها وسائل النشر وطرق الدعاية ، وتتلمس لها في نفوس الناس أيسر السبل واهونها وأقربها إلى الاقناع والاتباع .

ووسائل الدعاية الآن غيرها بالامس كذلك ، فقد كانت دعاية الامس كلمة تلقى في خطبة أو اجتماع ، أو كلمة تكتب في رسالة ، أو خطاب أما الآن فنشرات ومجلات وجرائد ورسالات ومسارح وخيالات وحاك ومذياع وقد يسر ذلك كله سبل الوصول إلى قلوب الناس جميعاً نساءً ورجالاً في بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ومزارعهم .

لهذا كان من واجب أهل الدعوة أن يحسنوا تلك الوسائل جميعاً حتى يأتي عملهم بثمرته المطلوبة (١)

ثالثاً: المؤثرات النفسية

وهذه تخاطب العقل الباطن، أو اللاشعور. وهذه مملكة كبيرة وعالم واسع عميق،

---

١ - انظر مجموعة الرسائل ص ١١٢ ، ١١٣ ط مؤسسة الرسالة .

يكفي أن تعلم أن هـذا العالم منقـوش في الذاكـرة، يجتره الانسـان في احـلامـه، ورؤآه، كما يصنع كثيـراً من الأعمال الانسـانية فيكـون كالاشعـة البنفسجية، أو غيرها من تلك التي لا ترى ولكنها تؤثر في الجسم والانسان تأثيراً بليغاً. بل هـذه المؤثرات قد تتصارع في الانسان إلى درجة غريبة حتى يستسلم لها الجسـد والعقل في النهاية أو تدمره وتقضي عليه.

وهذه المؤثرات قد لا تكون مباشرة، وقد يتخذ لها اساليب معينـة بالسلب أو الايجاب.

فقد يضع الداعية الانسان أمم جرحه بطريق غير مباشـر أو مباشـر فيشعره بالذنب، أو مراقبة الله له، أو المجتمع والولد والأهل أو الضمير والتاريخ.

قد يذكر له أو أمامه فعل آبائه ومخازي اجداده وخيانـة اسلافـه وقد يـذكره ويحي همتـه بشرف ابـائه وايمـان اجـداده ونعمـة الله عليهم أو بـالثـواب العـظيم والمستقبل الباهر في الدنيا.

وقد استعمل هذا الاسلوب القرآن الكـريم مع اليهـود فذكـرهم بنعم الله على آبائهم وعـلى اجدادهم ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ البقرة - ٤٧ - ٥٠.

ثم ذكرهم القرآن باعمال ابائهم المخزية المقابلة لنعم الله عليهم:

فقال تعالى ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة - ٦٦ .

ومن ذلك تذكير القرآن لقريش بنعم الله عليهم، بالرزق والأمن في قوله تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ قريش ٣ - ٤ .

ومن هذه المؤثرات المهمة احسان المسلمين إلى الناس وحبهم فإن الاحسان يفعل في النفس فعله وصدق القائل.

احسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احساناً
إذا اردت قضاء الحاج من احد قدم لنجواك ما أحببت من سبب
إن الهدايا لها حظ إذا وردت أحظى من الابن عند الوالد الحدب

وقد يكون من ذلك المعروف، الذي يفعله المسلم في غيره والكلمة الطيبة إلى غير ذلك.

فإن هذه الافعال تكون شعوراً داخلياً يظهر في فعل، في ميل، في كلمة، في نصيحة، ثم يكون في آخر الأمر قبول لدعواك وانقياد لما تحب وترضى.

درجات التأثير

مما هو معلوم أن النفس الانسانية بالنسبة إلى الهداية أو غيرها في أي دعوة من الدعوات ليست متساوية في نسبة التأثر بها أو الرفض لها هذه واحدة .
الثانية ليست كل الأساليب المتبعة في الدعوة متساوية كذلك في التوفيق وفي قوة الاقناع وموافقة الميول والرغبات .

الثالثة: ليس كل الدعاة في القوة والبيان والذكاء والتأثير والتدريب بمنزلة

واحدة، ولكل عنصر من هذه العناصر له اسبابه التي سنتعرض إليها فيما بعد إن شاء الله. اذن لكل هذه العوامل يتفاوت التأثر في المدعوين من درجة إلى درجة ومن قوة إلى ضعف.

ولهذا وجدنا في دعوة الرسول ﷺ في الصدر الأول لاصحابه تفاوت في الاجابة والهداية بالنسبة للاشخاص والأحوال والدعاة، فبعض الصحابة آمن بمجرد دعوة الرسول له وبمجرد سماعه للاسلام وكذلك بعض النساء وبعض الشباب.

فأبو بكر رضوان الله عليه آمن بمجرد دعوة الرسول ﷺ، روي ابن اسحاق عن رسول الله ﷺ قال: «ما دعوت أحداً إلى الاسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر» وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي الدرداء في حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفيه: فقال رسول الله ﷺ وإن الله بعثني اليكم فقلتم كذبت، وقال ابو بكر: صدق. وواساني بنفسه وما له فهل أنتم تاركو لي صاحبي»[1] مرتين فما أذى بعدها.

وآمن عمر بعد فترة وآمن غيره بعده وآمن العباس قبل الفتح هو وخالد ابن الوليد، وآمن أبو سفيان في الفتح هو وعكرمة وكذلك بالنسبة إلى دخول الاسلام في المدينة وفي غيرها من البلاد الاسلامية وليس معنى هذا أن التأثر كان وقتياً ولم تكن له مقدمات ثم ظهر فجأة في صورة اقناع كامل واستسلام، بل لا بد أنه سبق هذا تفكير وتأثر بدرجات مختلفة في غالب الأحوال أدى هذا تدريجيا إلى قمة التأثر والانفعال، فرضى هذا المدعو الدعوة الجديدة وانخرط فيها وصار من جنودها ننظر إلى قصة اسلام خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص.

---

(١) سيرة ابن كثير ٤٣٤/١ ط. عيسى البابي الحلبي.

قال خالد بن الوليـد: لما أراد الله بي مـا أراد من الخير قـذف في قلبي حب الاسـلام وحضرني رشـدي وقلت: قد شهـدت هذه المـواطن كلها عـلى محمـد، فليس مـوطن أشهده إلا انصـرفت وأنا أرى في نفسي أني مـوضع في غـير شيء، وأن محمـداً سيظهـر. ودافعته قـريش بالرماح يـوم الحديبيـة فقلت اين المذهب؟ وقلت أخرج إلى هرقل، ثم قلت: أخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية فأقيم مع عجم تابعاً لها، مع عيب ذلـك علي؟ ودخـل رسول الله ﷺ مكـة عام القضيـة، فتغيبت، فكتب إلى أخي:

«لم أر اعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك، ومثل الاسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك فقال أين خالد فقلت: يـأتي الله به. فقال: «ما مثل خالد جهل الاسلام فاستـدرك يا أخي مـا فاتـك» فلما أتاني كتـابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرتني مقـالة النبي ﷺ. فـأرى في المنام كـأني في بلاد ضيقـة جدبـة فخـرجت إلى بلد أخضـر واسـع فقلت هـذه لـرؤيـا «فذكرتها بعد اسلامي لابي بكر» فقال هو مخرجك الذي هداك الله فيه للاسـلام، والضيق الشـرك. فـاجمعت الخـروج إلى رسـول الله ﷺ وطلبت من أصحــاب، فلقيت عثمان بن طلحة فذكرته الذي أريد فأسرع الاجابة وخرجنا جميعاً فـادلجنا سحراً. فلما كنا بالهدة إذا عمرو ابن العاص فقال: مرحبـا بالقـوم: فقلنا: وبـك فقال: أين مسيركم؟ فاخبرناه، وأخبرنا أنه يريد أيضاً النبي ﷺ فاصـطحبنا حتى قدمنا المدينة عـلى رسول الله ﷺ أول يـوم من صفر سنـة ثمان. فلما طلعت عـلى رسول الله ﷺ، سلمت عليه بالنبوة، فرد علي السلام بوجه طلق فاسلمت فقـال رسـول الله ﷺ: قد كنت أرى لـك عقـلاً رجـوت أن لا يسلمـك إلا إلى خـير. وبايعت رسول الله ﷺ، وقلت «استغفر لي كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله: فقـال إن الاسلام يجب مـا قبله، ثم استغفر لي. وتقـدم عمرو وعثمـان بن

طلحة فأسلما فوالله ما كان رسول الله ﷺ من يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يحز به[1].

ويتلخص من هذا أن درجات التأثر تختلف بالنسبة للمدعوين ؟

حيث أن المدعو أو «المرسل إليه» عندما تصله الفكرة يتلقاها على ضوء من العوامل السابقة بدرجات مختلفة من التأثر فمنهم من:

١ ـ يستعيد على ضوئها الوعي الكامل، فيعرف الحق وينصاع إليه ويؤمن بمبادئه ويرى فيه خيرا اطمأنت إليه نفسه وسكن له فؤاده ، فهذا سينضم إلى الكتيبة المؤمنة .

٢ ـ ومنهم من يستعيدها على ضوء اللاشعور أو اللاوعي أو العقل الباطن بمعنى أنه لا يظهر عليه أثر ظاهري وقتي، وإنما تنشغل نفسه بالحق وبمبادئه، ويحظى ذلك باهتمامه، ويشغل حيزا من تفكيره، فهذا يحتاج إلى مواصلة الجهد ومداومة الاتصال، وكثرة الرعاية، وترديد المبادىء وشرح الرسالة وبيان ما تشتمل عليه من خصائص وأهداف وما تؤدي إليه من فوز وسعادة في الدنيا. والاخرة حتى يظهر ذلك الاثر الذي في نفسه على السطح ، ويرتقي إلى درجة المؤمنين العاملين.

٣ ـ ومنهن من ينظر إلى الداعية وإلى مبادئه وقوله بشك وريبة وحيرة، وتردد لضغط التقاليد البالية على نفسه، أو تشويش الحاقدين والمتربصين والمعاندين على عقله، فهذا نحسن إليه، ولا نكرهه وإنما نوصيه أن يفكر ويتأكد ونذكره بقول الله تعالى في من قبله على لسان رسوله الكريم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ[2]﴾ ندعوه إلى مجتمعاتنا ونجامله، ونوصيه، أن يقرأ كتبنا ويتعرف وجهتنا، ويبحث رسالتنا، ونصبر عليه فسيطمئن إن شاء الله تعالى

(١) صفة الصفوة ض ١/٦٥ ط دار المعرفة. (٢) سبأ ـ ٤٦ .

وسيرتاح الينا قلبه، ويطمئن إلينا فؤاده، لأن الحق دائماً هو الغالب وهو الهادى إلى الصراط المستقيم.

٤ ـ ومنهم من ينظر إلى الدعوة على أنها كسب مادي ومجد شخصي يستطيع من خلالها أن يحقق ما يصبوا إليه في هذا الشأن، وهذا صنف خطر، لا تظهر نواياه بسهولة ولا تطلعاته بيسر، وإنما تظهر بطول المعايشة وكثرة المخالطة، وملاحظة التصرفات وقياسات الهمة والنشاط أو التراخي والكسل في المواقف المعينة، في البذل والعطاء، في الرخاء والشدة، في الرضا والغضب وفي هذا وأمثاله نجد قول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الحج ١١.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ٥٨ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ التوبة ـ ٥٩.

فهذا الصنف لا بد أن يعرف أن هذه الرسالة ما بنيت على المنافع المادية أو المطامع الشخصية وإنما لا يصلح لها إلا التضحية بالمال والوقت والبدن والنفس، جزاء الثواب ورضاء الله سبحانه وصدق الله ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

ولا يترك لهذا الصنف مهمة القيادة أو التربية، ويوصى بكثرة العبادة وقراءة القرآن وسيرة الرسول ﷺ والصحب المؤمن خاصة اولئك الشهداء الابرار الذين قدموا أرواحهم فداء لدين الحق سبحانه وتعالى وحباً في لقائه فإن فاء إلى رشده وإلا فإن الله غني عن العالمين، ولكن نعامله معاملة حسنة حتى لا نكون عوناً للشيطان عليه.

٥ ـ ومنهم من يكون مغلق القلب مخلف الفكر، جريح الأفكار الخاطئة والشهوات الجامحة فهذا نظل ندعوه، ونرأف به ونحسن إليه ونسأل الله لنا وله الهداية، والقافلة تسير إن شاء الله تعالى بالمخلصين العاملين، ولا يمنع أن يكون بيننا من الود والاخاء الانساني ما بين الانسان والانسان، ونحبه ونظل نحبه ونجامله ونساعده في كل ما هو حلال ما دام فيه نفع للناس «وصاحبهما في الدنيا معروفاً، واتبع سبيل من أناب إلى».

٦ ـ ومنهم من يظهر خلاف ما يبطن، فإن كان الذي يخفيه التكذيب بأصول الايمان فهو النفاق الخالص، وحكمه في الآخرة حكم الكافر، وإن كان الذي يخفيه شيء من المعاصي لله فهو الذي فيه شعبه من النفاق أو أكثر حتى يدعها والنفاق في أصل الايمان، أساسه الكفر والجبن، أما الكفر فلأنه يبطن الكفر بأصل العقيدة، وأما الجبن فلأنه لخوفه يظهر خلاف ما يبطن

ولهذا فإن النفاق يظهر في موضعين، الأول: عند عزة المسلمين وغلبتهم على غيرهم الثاني: عند قصد التجسس عليهم وكشف عوراتهم.

ومن أجل هذا كان النفاق شرا عظيما يجب الحذر منه وكشف أصحابه ومعرفتهم والاحسان إليهم بعد تنحيتهم عن المواقع المهمة في الدولة الاسلامية أو في العمل الاسلامي لأنهم يكونون دائماً حرب على المؤمنين موالين لأعدائهم. وهذا الصنف عسير شفاؤه إلا من رحم ربك وهو من الأمراض المزمنة التي يجب على المسلمين أخذ الحيطة منها وتحملها! هذه اصناف من الناس وأنواع من التأثيرات في النفوس البشرية يجب التعامل معها بحكمة وروية وفهم حسب أصول الدعوة الاسلامية الكريمة والعظيمة!! ويعجبني في هذا المجال سبق الداعية المسلم الفاضل اللماح الذكي المحيط، الشيخ حسن عبد الرحمن حين

يقسم الناس على ضوء هذا التأثر فيقول : « الناس بالنسبة للدعوة الاسلامية ودعاتها » أربعة أصناف :

الصنف الأول : مؤمن

إما شخص آمن بدعوتنا وصدق بقولنا وأعجب بمبادئنا ورأى فيها خيراً اطمأنت إليه نفسه ، وسكن له فؤاده ، فهذا يدعوه أن يبادر بالانضمام إلينا والعمل معنا حتى يكثر به عدد المجاهدين ويعلو بصوته صوت الداعين . ولا معنى لايمان لا يتبعه عمل . ولا فائدة في عقيدة لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها ، والتضحية في سبيلها ، وكذلك كان السابقون الأولون ممن شرح الله صدرهم لهدايته فاتبعوا انبياءه وآمنوا برسالاته ، وجاهدوا فيه حق جهاده . ولهؤلاء من الله أجزل الأجر ، وأن يكون لهم مثل ثواب من اتبعوهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .

الصنف الثاني: متردد

وأما شخص لم يستبن له وجه الحق، ولم يتعرف في قولنا معنى الاخلاص والفائدة فهو متوقف متردد، فهذا نتركه لتردده، ونوصيه بأن يتصل بنا عن كثب ويقرأعنا من بعيد أو قريب، ويطالع كتاباتنا ويزور أنديتنا ويتعرف إلى اخواننا «أي المسلمين العاملين المتقين» فسيطمئن بعد ذلك لنا إن شاء الله، وكذلك كان شأن المترددين من اتباع الرسل من قبل.

الصنف الثالث: نفعي

وأما شخص لا يريد أن يبذل معونته إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة وما يجره هذا البذل له من مغنم، فنقول له: حنانيك ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت الجنة إن علم فيك خيرا ، أما نحن فمغمورون جاهاً فقراء مالاً شأننا التضحية بما معنا وبذل ما في أيدينا ، ورجاؤنا رضوان الله وهو

نعم المولى ونعم النصير ، فإن كشف الله الغشاوة عن قلبه وازاح كابوس الطمع عن فؤاده فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى ، وسينضم إلى كتيبة الله ليجود بما معه من عرض هذه الحياة الدنيا لينال ثواب الله في العقبى ، وما عندكم ينفذ وما عند الله باق ، وإن كانت الأخرى فالله غني عمن لايرى لله الحق الأول في نفسه وماله ودنياه وآخرته ، وموته وحياته ، وكذلك كان شأن قوم من أشباهه حين أبوا مبايعة رسول الله ﷺ إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده ، فما كان جوابه ﷺ إلا أن أعلمهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

الصنف الرابع : متحامل

وأما شخص ساء فينا ظنه واحاطت بنا شكوكه وريبه فهو لا يرانا إلا بمنظار الاسود القاتم، ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك ويأبى إلا أن يلج في غروره ويسدر في شكوكه ويظل في أوهامه، فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرنا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يهدينا وإياه الرشد. ندعوه إن قبل الدعاء ونناديه إن أجاب النداء، وندعو الله فيه وهو سبحانه أهل الرجاء ولقد أنزل الله على نبيه الكريم في صنف من الناس «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء» وسنظل نحبه ونرجو فيئه الينا واقتناعه بدعوتنا، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى ﷺ من قبل «اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون»[1].

ينظر الانسان إلى رجال الاسلام العظام الكبار العمالقة وإلى ذلك الفهم العميق لروح العصر وروح الاسلام وتعاليمه فيحمد الله تبارك وتعالى ويستبشر خيراً، وهكذا فالاسلام هو الاسلام، روح خلاقة وفكر لماح وشعاع منير وقوة عارمة وحق مضيء وصبح أبلج ونهار وضاء.

(١) انظر مجموعة الرسائل ص ١٠٧ ـ ١٠٩ ط دار الرسالة.

المبحث الثالث

وضوابط عامة في القول والقائل

تسير الدعوة في نهر من الآداب التي حددها الاسلام، فإنها وإن كانت حقاً ابلج وحجة بالغة ولكنها تدخل إلى عقول الناس بالموعظة الحسنة والقول اللين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[1] وقوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾. (آل عمران - ١٥٩)

ضوابط القول:

القول هو الكلمة التي تصل إلى المدعو فإن كانت من القلب دخلت إلى القلب، وإن كانت باللسان لم تتجاوز الآذان، وهي السبب الذي يربط بين الداعية والمدعوين فإن كان السبب واهياً كانت الاستجابة أوهى وأخلق، لذلك كان ينبغي أن تراعى الأمور الآتية:

١ - يجب أن يكون القول مفيداً ولا يكون مجرد الفاظ وكلمات لا غرض لها ولا معنى ولهذا كان كلام الرسول هو الوحي والالهام والهداية ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ النجم - ٣.

كما يجب أن يكون خالياً من الألفاظ المستحدثة غير المفهومة، أو التي تحمل معاني متعارضة وصدق الله ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. (القمر - ١٧

٢ - يجب أن تكون الفكرة المراد تبليغها واضحة ومفهومة عند المدعوين، حتى يتم اللقاء، ويصل المطلوب، قال موسى عليه السلام ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ طه - ٢٧.

---

(١) النحل - ١٢٥

فإن من الشطحات أن تكون الفكرة لها ظواهر رائعة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل، إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله وإما أن تكون مفهومه له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها. بعبارة تدل على مقصده، لقلة دربته أو لعدم معرفته بأحوال المدعوين.
ولهذا قال ﷺ: «كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله» البخاري.

٣ ـ يجب أن تخدم الفكرة غاية وهدف يكون قريباً إلى مخيلة الناس أو محبوباً لديهم أو متطلعاً إليه عند المدعوين كالفوز، والنصر والرخاء والعزة الخ . . .

فقد وعد القرآن المؤمنين بالنصر والجنة والفوز والرخاء، وصدق الله العظيم ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ ثم قال تعالى ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ المائدة ٦٦.

«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه».

٤ ـ يجب أن تخدم الفكرة العموم ولا تقتصر على نفع شخصي، أو تعظيم فئة معينة «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوي «إنما المؤمنون اخوة».

٥ ـ يجب أن تدرس الفكرة وتناقش، وتطرح التصورات المعارضة لها ويرد عليها ويبين عوارها، حتى تكون الفكرة واضحة في ذاكرة الداعية ويستطيع أن يواجه المؤيدين والمعارضين على سواء.

٦ ـ يجب أن لا تكون الفكرة مصاغة في صيغة أمر أو استكبار او استعلاء

على المدعوين، فالمرسل إليه دائماً يكره الاستعباد والتعالي ويحب التواضع ويأنس إليه «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك».

ضوابط في القائل

الداعية هو الموصل للفكرة، وهو الحامل للدعوة، وهو عنوانها ومفتاحها فإذا كان موصلاً جيداً، وحاملاً نابها، وعنواناً كريماً، ومفتاحاً عظيماً كان فتحاً لدعوته، وكسباً لفكرته وسراجاً منيراً لرسالته، ولهذا ينبغي أن يتحلى القائل بصفات معينة تعينه في مهمته كما ينبغي أن يتحلى.

الداعية بمميزات مخصوصة، حتى يتسطيع أن يؤدي عمله بفاعلية ونجاح كما يجب وأن تكون له ضوابط تحكم تصرفه وفعله، منها:

١ ـ يجب أن يكون قدر الامكان موضع ثقة الناس وقريباً من قلوبهم متصفاً بالاحترام والصدق والخلق. لقوله تعالى ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾آل عمران ـ ١٥٩

وقوله تعالى ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾الشعراء ـ ٢١٥، وقوله تعالى ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾الحجر ـ ٨٥ ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾الزخرف ـ ٨٩ وقوله ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الحجر ـ ٨٨، وقوله تعالى ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة ـ ١٣.

وقال ﷺ «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده» ابو داود والنسائي وابن ماجه.

٢ ـ أن يبتعد الداعية عن روح الاستعلاء على المدعو، وأن يبتعد عن كل ما يؤذيه أو يؤدي إلى ايذائه، وأن يتجنب احتقاره أو تحديه أو إظهار المنة

والفضل عليه ، وإنما ينبغي أن يكون كلامه يحمل روح الناصح الشفوق المخلص المتواضع ، الذي يدل على الخير ، وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تشير إلى هذا التلطف المفيد ، قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه وتلطفه في هدايته ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾مريم ـ ٤٢ ، فذكر ابراهيم عليه السلام في خطابه لأبيه ، رابطة الابوة التي من شأنها أن تشع روح المودة والعطف والحنو .

وقد ذكر ابن هشام ان النبيﷺ ذهب إلى بطن من بطون العرب يقال لهم : (بنو عبد الله) فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى أنه كان يقول لهم : «يا بني عبد الله إن الله عز وجل قد أحسن إسم أبيكم» يتوصل بذلك الى فتح مغاليق القلوب[١]

٣ ـ أن يبتعد الداعي عن التفاصح والتكلف في النطق والتنطع في الكلام فقد قال ﷺ : «هلك المتنطعون ـ قالها ثلاثاً» والتنطع في الكلام التفاصح . رواه مسلم ، وروى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة» الترمذي رقم ٢٨٥٧ وهو حديث صحيح .

وقال ﷺ «وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون المتفيهقون»[٢] والثرثار هو كثير الكلام تكلفاً والمتشدقون المتطاول على الناس بكلامه ، ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه ، فالفكرة السهلة التي تحمل نبرة الاخلاص وروح المحبة وبشائر الحق تجد أذاناً صاغية وقلباً

---

١ ـ سيرة ابن هشام ٢ ٢/ ٣٣ .

٢ ـ رواه الترمذي بإسناد حسن رقم (٢٠١٩) وابن حيان (١٩١٧) واحمد ٢ /٣٦٩ والمذكور بعض حديث ، أوله أن من أحبكم اليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة احسانكم أخلاقاً .

مفتوحاً ، أما الخداع والكبر ومحاولة التصنع فهذه أساليب الدجالين والمتسطلين والممثلين وليست من أساليب الدعاة في شيء ، فإن أساس عمل الداعية هو اتصال روحه بروح المدعو ، وشعوره بشعوره واحساسه باحساسه .

٤ ـ التلطف في القول ، وإثارة همم المدعوين ، فالداعية يجب أن يذكر المدعوين بأنه واحد منهم وأنه له بهم صلة وأن مصلحته مصلحتهم ونفعه نفعهم كقول الرسول ﷺ لقومه عند دعوته لهم «أن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتم ، ولو ضللت الناس جميعاً ما ضللتكم»

وكانت الرسل تذهب إلى أقوامهم ،فتخاطبهم بالاخوة والمحبة ، حيث يقولون أنتم أهلنا وقومنا فاستمعوا للهدى فإن فيه نفعكم وصلاحكم ، قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الاعراف ٦٥

وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال : ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ الالاعراف ـ ٧٣ .

وإلى مدين أخاهم شعيباً قال : ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الاعراف ـ ٨٥ .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الشعراء ـ ١٠٨ .

كما يستحب إثارة همم المدعوين مثلاً بأنهم أبناء الرجال الذين فتحوا الدنيا وأنهم أولاد أباء كرام وعائلات تأبى الذلة والمسكنة ، وأن الله وعدهم بالنصر والغلبة ، «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» وأنهم ليسوا أقل من آبائهم وأسلافهم وفي مثل هذه المواقف لا بأس بذكر الاحساب التي يستعان بها على طاعة الله وعلى مكارم الاخلاق ، وقل قال ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وقال ﷺ «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»

٥ ـ أن يكون عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله ، لأنه قدوة ولأنه ناصح أمين فكيف يقتدي الناس بالفاسد الفاسق ، وكيف ينصح من يحتاج إلى نصح ولهذا يقول الحق سبحانه «كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» ويقول سبحانه ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ ويقول القائل :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم .

ولهذا كان وزر العالم في خطئه أكثر من وزر الجاهل ، إذ يزل بزلته خلق كثير ، ويقتدون به . ولهذا فمن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ، وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (قصم ظهري رجلان : عالم منهتك ، وجاهل متنسك ، فالجاهل يغر الناس بتنسكه ، والعالم يغرهم بتهتكه) .

ولأن من قارف الذنوب بعد عن نور العلم وحلاوة الايمان ، فكيف يورث غيره ذلك ، كتب رجل إلى أخ له يقول : إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب ، فتبقى في الظلمة ، يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم .

وكان يحي بن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم : قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية ، وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ، ومراكبكم قارونية ، وأوانيكم فرعونية ، ومآثمكم جاهلية ، ومذاهبكم شيطانية ، فأين الشريعة المحمدية ؟[١]

فكيف يكون من أهل الدعوة من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به؟

قال صالح بن كيسان البصري : ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة.

---

(١) احياء علوم الدين ـ ٦/١

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (٢) قيل في علماء السوء .

وقال في علماء الخير : «وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم «قال حاتم الأصم : ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو . وقال القائل :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً ... اذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً ... فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناساً راغبين لها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

٦ ـ أن يكون على حظ عظيم من الشجاعة المعنوية ، يصرح برأيه في المواقف التي تقتضي ذلك ، ما دام يعرف مداخل الامور ومخارجها ، وما دام يقصد الدعوة إلى الحق ومقارعة الباطل ، ويبغي الثواب من الله سبحانه وتعالى كما أنه لا بد أن يوطن نفسه على الصبر : قال الغزالي في الاحياء أوصى بعض السلف بنيه فقال : إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر ، وليثق بثواب الله فمن وثق بثواب الله لم يجد مس الأذى .

إذاً فمن أداب الدعية توطين نفسه على الصبر . ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف حاكياً عن لقمان ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ لقمان ١٧

---

(٢) آل عمران ـ ١٨٧

وليس معنى هـذا أن يسب الـداعيـة النـاس ويخـاشنهم، ولكن الـداعيــة كالطبيب ينظر إلى الأحوال ويداوي بقدر الحاجة، يصدق بالحق ولا يـرجو لغيـره وقـاراً فإن لان ففي سبيله، وإذا اشتـد فحيث دعا داعيـه إلى الشدة، يلين لينـال حق الله ويلين القلوب له، ويشتد لينصر كلمة الله سبحانه ويعز دينه في الأرض.

«أشداء على الكفار رحماء بينهم»

الفصل الثاني

أشهر أنواع التبليغ بالقول

تمهيـد :

أنـواع القول في مجـال التبليغ كثيـرة ومتعـددة، منهـا الخـطبـة، والـدرس والمحـاضرة والمنـاقشة، والأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر، والـدعـوة الفـرديـة والنصيحة الاخوية، والفتوى الشـرعية، وكـذلك المقـال، والرسـالة، والكتـاب فهذى كلها أقوال تؤدي ما تؤديه الكلمة. أشهرها ما يلي :

المبحث الأول

الخطبة

الخطبة وسيلة ممتازة للدعوة، لتبليغ الرسـالة، أو إيضـاح فكرة معينـة ومن مرامي الخطبة، حمل المخاطب على الاذعان والتسليم وإثارة العواطف الجياشـة في فؤاده نحو الفكرة التي يحملها الخطيب ويدعو إليها. فيتحمس لها ويتقدم لفدائهـا بالنفس والنفيس عند الحاجة، ولا يكون ذلك بالدلائل المنطقية التي تساق جافة، ولا بالبراهـين العقلية التي تقـدم عاريـة، بل بـذلك، وبـإثارة العـاطفة ومخـاطبة الوجدان.

والمؤثـرات الوجـدانية والأفكـار العاطفيـة في الخطـابة هما عمـاد اللغة الخـطابيـة تساعدهما الحجج العقلية، والبراهين المنطقية مع أمور أخرى في القول والقائـل، أو في الموضوع والخطيب.

موضوع الخطبة

لا شـك أن موضـوع الخطبـة هو الأمـر المراد منها، وهو الغـرض المقصـود

إيضاحه من الخطيب،وهو الفكرة المراد ايصالها من الداعية إلى المدعوين . فلا بد من التركيز على هذا الموضوع المهم بأنواع من الخطوات .

فيجمع الخطيب العناصر أولاً ثم يرتبها، ويضع كل عنصر في موضعه اللائق به ثم يأتي دور اللفظ المعبر الذي سيحمل كل ذلك إلى السامع . وبيان ذلك كما يلي :

العناصر

بعد اختيار الفكرة أو الموضوع المراد تبليغه في الخطبة تأتي عملية إعمال الفكر لاستنباط الوسائل التي من شأنها اقناع السامع واجتذابه واثاره حماسة إلى ما يدعو اليه المتكلم، وأول هذه العناصر هو :

المقدمة

التي يستحب أن تكون مشوقة وجاذبة للاسماع وملفتة للانتباه فهي العنوان والمدخل الذي ستدخل منه الأفكار إلى قلوب السامعين وعواطفهم، والتشويق ليس له تحديد معين فهو يعتمد على أفكار السامعين وميولهم فما يشوق مجتمع قد لا يشوق الآخر، وما يشوق فئة قد لا يحرك فئة أخرى، فالمجتمعات المتدينة تخالف غيرها، والمجتمعات المثقفة تغاير سواها، كما أن هذا بالدرجة الاولى يرجع إلى مقدرة الخطيب وقوة ملاحظته وقوة ذكائه فمثلاً .

١ ـ قد يلفت نظرهم بحادثة، وقعت في محيطهم وما زالت تشغل حيزا من تفكيرهم، وهي في نفس الامر لها صلة وثيقة بموضوعه .

٢ ـ قد يشوقهم بحسن الافتتاح بشتى وسائل الالفاظ المناسبة التي تجذب الأفكار إليه وتهيىء الاسماع لكلامه وتجعل النفوس تتقبله بقبول حسن بالفاظ تدل على الفوز إن كان الموقف كذلك، أو تدل على الرحمة والمغفرة والمثوبة، إن كان الموقف موقف مصاب أو تدل على سعادة وتوفيق وعشرة حسنة إن كان موقف

زواج، كقوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾[1] أو قوله ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾.[2]

٣ ـ ومن محاسن الافتتاح كذلك أن يبتدىء الخطبة بآية أو حديث أو حكمة في الموضوع، كقول أبي العباس السفاح بالشام بعد الاستيلاء على الملك من آل مروان «ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأصلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار» نكص بكم يا أهل الشام، أل حرب وآل مروان، يتسكعون بكم الظلم ويتهورون بكم مداحض الزلق، يطئون بكم حرم الله وحرم رسوله، ماذا يقول زعماؤكم غدا، يقولون: «ربنا هؤلاء اضلونا، فآتهم عذاباً ضعفاً من النار» إذ يقول الله عز وجل « لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ » الخ أو يبدأ فيوقع الرعب في النفوس، كقول الحجاج (الأعراف ـ ٣٨).

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

٤ ـ ومنها الافتتاح بما يفاجىء السامع ويشد إلى الخطيب الانتباه بقوة كقول الرسول ﷺ: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بهذا الواد تريد أن تغير عليكم كنتم مصدقي، فقالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً» فألقى الرسول ﷺ بعدها خطبته.

٥ ـ قد يبدأ الخطيب خطبته بالثناء على السامعين ليلفت نفوسهم إلى حديثه وكلامه وما يريد أن يقوله، أو يبدأ خطبته بالتودد إليهم وأنه واحد منهم أو أخ أو صديق إلى غير ذلك.

وينبغي أن يراعي في المقدمة الأمور الاتية:

أ ـ أن تكون قصيرة موجزة حتى لا يشغل السامع بغير المطلوب.

ب ـ أن تكون حاملة لعناصر التشويق.

جـ ـ أن تكون موافقة للموضوع وليست بعيدة عنه.

---

(١) الروم ـ ٢١ (٢) الفرقان ـ ٧٤

تقسيم الموضوع وعنصرته

ينبغي للخطيب أن يضبط أجزاء الخطبة ويقسمها تقسيما جامعاً لأطرافها وحواشيها بعد أن يطلع على المراجع المطلوبة في ذلك ويجمع الأدلة ، والدليل هو : ما يتوصل به إلى بيان صحة الحكم سلبا أو إيجابا ، والأدلة الشرعية المعروفة عندنا هي أدلة الخطيب من قرآن وسنة ، وأقوال للفقهاء ، حيث تمثل هذه الأقوال الاجتهاد والقياس الخ ـ ثم الأدلة العقلية المستقاة من البيئة والتي تدل على صحة ما يذهب إليه ، ثم الامثال والحكم والأقوال المأثورة التي تضارع ذلك ، ثم ذكر الوثائق والمستندات والحقائق التي يسلم بها الناس أو يميلون إلى تصديقها ، ونستطيع أن نحدد ذلك بالنقاط الآتية :

١ ـ حسن الاختيار للموضوع : على الخطيب أن ينتقي من الموضوعات ما يناسب حال السامعين ويهمهم ويثير فيهم الاهتمام والاقناع والانقياد لما يقول، ولما يلقى اليهم من أفكار.

٢ ـ التحضير للموضوع جيداً و الاعداد له اعداد ممتازاً، بالاطلاع على المراجع في الموضوع، وتحديد النصوص وحفظها أو تذكرها إن كانت محفوظة من قبل، ثم تحضير ما يؤيد هذه النصوص من وقائع فمثلاً: تحضير القصص المناسب للفكرة، أو الحجج المستقاة من الوقائع أو التاريخ ، أو التفكير العقلي في الموضوع أو ضرب الامثال التي توقظ الأحاسيس وتنبه الشعور وتلفت للحقيقة أو الاستعانة ببعض الشعر الحكيم الخادم للفكرة والموضوع.

٣ ـ تقسيم الموضوع إلى مقدمة كما أسلفنا، ثم إلى عناصر أو فقرات يحمل كل منها جانباً من الفكرة المراد إيصالها إلى المستمع.

فمثلاً حينما يريد الداعية أن يتكلم عن «النصر» يقدم لذلك بمقدمة عن فرحة الانتصار وعظمته ورفعه أصحابه، ثم يتكلم عن الموضوع بعد أن يقسمه

إلى عناصر فيتكلم أولاً: عن الإعداد الروحي، ثم الاعداد الجسدي، ثم الاعداد بالعدة والعتاد، ثم بالتدريب والقيادة، ثم باعداد الخطة، ثم الثبات واليقظة في المعركة، وطلب الثواب وابتغاء الاجر منه سبحانه. إلى غير ذلك من العناصر اللازمة، ثم ينتقل في حديثه من عنصر إلى عنصر إلى أن يصل إلى النصر المبين.

كما يجب على الخطيب أن يبتعد في موضوعاته عن الخلافيات الفقهية بين العلماء ما أمكن وعن الأراء الشاذة والغريبة، وأن يبتعد عن القصص الوهمي خاصة منه ما هو مستغرب، أو ما يعارض مفهوم الشرع، وأن يتجنب الأحاديث الضعيفة والاثار الواهية، ولا يقحم نفسه في الجدليات، أو مديح الأشخاص أو يتورط في ذكر اشياء لا علم له بها، على أنها حقائق أو مسلمات مما قد يظهر للناس بخلافه.

٤ ـ اعداد الاسلوب، بالكلمة الفصيحة، واللفظ المشوق، والحديث الواضح الذي يناسب المقام، ولا يتحدث مع العوام، وغير المثقفين بما لا تفهمه عقولهم أو تدركه افهامهم، فذلك من وضع الحكمة في غير موضعها، وهو ظلم فسامعها إما أن يفهما على غير وجهها وهو الغالب، وهذه هي الفتنة التي تؤدي إلى العمل بالباطل والتكذيب بالحق، وإما أن لا يفهم منها شيئاً وهو ضياع الموعظة وعدم الاقبال على الداعية وعلى علمه، أخرج أبوداود أن الرسول الله ﷺ «نهى عن الاغلوطات» وهي ما يغلط فيه وما يغالط به من صعاب المسائل.

وروى الترمذي أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله اتيتك لتعلمني من غرائب العلم، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما صنعت في رأس العلم؟

قال: هل عرفت الرب ؟ قال : نعم قال : فما صنعت في حقه ؟

قال: مشاء الله فقال رسول الله ﷺ: «اذهب فاحكم ما هنالك، ثم تعال اعلمك من غرائب العلم».

وقد ترجم الإمام البخاري لهذا الباب بعنوان « باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا » وأخرج موقوفا على علي رضي الله عنه أنه قال : « حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله » وكلمة يعرفون المرادة في كلام الإمام علي ضد ينكرون ، لا ضد يجهلون ، أي حدثوهم بما تصل عقولهم إلى فهمه ، دون ما يشق عليهم فيعدوه منكرا ومحالا ، وأخرجه بلفظ آخر قال : « حدثوا الناس بما يعرفون » « أي بما يدركون بعقولهم ، ودعوا ما يشق عليهم فهمه ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله » .

وفي مسلم مرفوعا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم » .

وأخرج شعبة عن كثير بن مرة الحضرمي أنه قال : « إن عليك في علمك حقا ، كما أنه عليك في مالك حقا ، لا تحدث بالعلم غير أهله فتجهل ، ولا تمنع العلم أهله فتأثم ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك ، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيقتلوك ومن حديث ابن عمر مرفوعا « أمرنا معاشر الانبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم » وقد سئل سفيان الثوري رحمه الله عن العالم من هو ، فقال : « من يضع العلم موضعه ويؤتي كل شيء حقه »[1]

٥ ــ الالتفات إلى طبيعة الخطبة ، وهي أنها دائما تمس شغاف القلوب وتميل إلى اثارة العواطف وشحذ الهمم ومخاطبة الوجدان ، وتبتعد كثيرا عن دقة البحث والجدل ، والتحليل العلمي الدقيق ، أو التفصيلات المعقدة ، لأن الخطبة دائما يحضرها أنواع مختلفة من الناس ، فيهم المثقف والعامي ، وفيهم أصحاب التخصصات المختلفة ، والميول المتباينة ، ولهذا يستحسن أن تلفت

---

(١) هداية المرشدية ص ١٢٦ ـ ١٢٧

إلى موضوعات عامة يشترك في الاهتمام بها الجميع ، وتخاطب وجدانهم وأحاسيسهم وعواطفهم ، ويقودهم بحب إلى الخير .

٦ ـ لا تعتمد الخطبة في الأعم الأغلب على وسائل الايضاح مثل الخرائط ، أو الأفلام الموضحة ، أو غير ذلك ، لأن ذلك يقطع صلة الخطيب بالناس وبارتباطهم به في أثناء الخطبة ، ولا مانع أن تكون وسائل الايضاح قبل بدء الخطبة أو بعدها ، وقد يغني عن وسائل الايضاح في الخطبة ، براعة الخطيب في تصوير الأمور ، أو ايراد بعض القصص الذي يدخل في الخطبة ويكون له علاقة بها أو بعض الأمثلة أو بعض الاشارات إلى كثير من المشاهدات التي يشاهدها الناس في حياتهم وتخالطهم في مجمعهم وتعلق بذهنهم وأفكارهم .

٧ ـ عدم صرف الالفاظ الشرعية عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا تحتملها الالفاظ ولا فائدة فيها، كدأب الباطنية في التأويلات البعيدة، وهم جماعة من الملاحدة نسبوا أنفسهم إلى علم الباطن وساروا وراء أهوائهم وشهواتهم، والزمهم هذا تأويل القرآن والسنة قائلين إن لهما ظاهراً وباطناً والمراد فيهما الباطن دون الظاهر، وقد حرفوا الالفاظ إلى معان أخرى غير مفهومه إلا لهم بادعائهم في ذلك، حتى أنهم تركوا العمل باركان الاسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج ، زاعمين أن لها معاني غير ما عمل به الرسول ﷺ، واصحابه رضى الله عنهم وأجمع عليه المسلمون.

وهذا باب عظيم من الشراء استغله اعداء الاسلام وادخلوا منه على المسلمين فتنة عارمة.

٨ ـ عدم الاطالة في الكلام عن المطلوب، وذلك يرجع إلى عدم التحضير الجيد، أو عدم استطاعة الخطيب هضم الموضوع واستيعابه، لذلك يصعب عليه السيطرة على الوقت وضبط المعاني في الزمن المراد.

أو يرجع إلى حب الكلام وشهوة الحديث التي تسيطر على بعض الناس، فيكون من نتيجة ذلك التدرج إلى الرياء والسمعة والعياذ بالله.

٩ ـ ختام الخطبة بذكر نتائجها، أو بتلخيص ما ذكر فيها، أو بالمطلوب تنفيذه والعمل به، أو بتمني التوفيق والعمل والسداد، إلى غير ذلك من الامور التي من شأنها أن تكون نهاية طيبة وفكرة حسنة.

أداب عامة ينبغي اتباعها :

١ ـ تخير الوقت المناسب والمكان الصالح، فليس حسناً أن يبدأ الخطيب خطبته إذا كان يملك تأخيرها، في أوقات الحر الشديد أو البرد والمطر الشديد أو في أوقات شغل الناس في تجارة أو زراعة، أو غير ذلك، أو بعد سماع الناس لخطبة طويلة ومللهم منها أو عند مناسبة عاجلة كسفر وتجهز له، أو ميت ودفنه، الخ.

٢ ـ اللباقة واليقظة وحسن التخلص : كثيراً ما يقع الخطيب أو المحاضر في أمور حرجة فمثلا سؤال لايعرفه ، أو اخطاء وقع فيها أو أشياء سها عنها ، فيجب أن يكون لبقاً وحذراً وفطناً حتى لا يوقع نفسه في ورطة باجابات باطلة ، أو ثورة جاهلة أو اعتذار مهين ، وإنما يحسن أن يؤجل الموضوع لأن الوقت مثلًا لا يتسع لكثرة الأمور التي تستلزم تأجيل السؤال ، هذه أسئلة يجب أن تكون الاجابة فيها على انفراد حتى لاتشغل الناس بأمور شخصية ، بأن هذا الأمر يحتاج إلى كثير بحث وتمحيص ، أو اكتب السؤال في ورقة ليكون التحديد أكثر والايضاح أقوى وسيصلك الرد كذلك مكتوبا خشية اللبس .

٣ ـ المجاملة والأداب كأن يذكر الناس بما يحبون من اسماء ولا يحاول النفور منهم،أن يحفظ اسماءهم إذا كان ذلك ممكناً، أن ينصت إليهم ويتواضع لهم أن يوقر الكبير ويعطف على الصغير، إلى غير ذلك.

٤ ـ تفادي الاصطدام: لا ينبغي للخطيب الذي يحب أن يجمع القلوب على الهداية أن يبدأ خطبته بتسفيه الناس وإثارة النعرات، أو مهاجمة المذاهب

والمعتقدات إلا باستعداد وخطة واحكام، إن كان مفيداً، ولكن يستحب أن ينقل السامع إلى المقصود درجة درجة وشيئاً فشيئاً، ويدع للحجة والمنطق والحقائق أن تعمل عملها في النفوس والأرواح والقلوب حتى يضمن السلامة والإجابة

ولهذا يحسن أن ينتقل الانسان الداعية من المعلوم إلى المجهول ، ومن المسلمات إلى الظنيات ومن الحقائق المقررة إلى ما يراد تثبيته في الأذهان .

٥ ـ أن لا يكون في الخطيب ما يثير الهزء والسخرية ، كالاكثار من الحركات واللفتات على طريقة الممثلين ، أو يكون ذا ملابس قذرة مضحكة أو ذا رائحة كريهة ، أو مكثر للتهريج ، أو منفعلاً في غير ما ضرورة أو في أوقات لا يجوز فيها الانفعال .

ولهذا يلزم أن يكون الداعية ذواقاً وذا سمت حسن ، وليس فيه ما يخالف الذوق العام فلا يلبس مثلاً متشبهاً بالمراهقين ، أو ما يخالف مألوف الناس في ذلك كالملابس الفاقعة الألوان .

٦ ـ قوة الشخصية والسيطرة على الأفكار والعقول للمستمعين، بمعنى أن تكون شخصيته هو،هي التي تدعو الناس إلى الاصغاء لا يحتاج إلى ما من يسكت الناس له أو يمنع الهرج والمرج، كما لا يحتاج إلى الغضب والدخول مع الناس في مشادات لعدم الانصات أو الاستعانة بالأمن أو بالشرطة، وحتى لا يكون اخراج الناس هو الوسيلة للاسكات.

المبحث الثاني

الدرس

من أنجح وسائل التبليغ الدرس ، لما فيه من صلة مباشرة بين القائل والمستمع كما أنه محض علمي ، ورباط وثيق بين الداعية والمدعوين ، وروح قوية بين المرسل والمستقبل تزال فيه الحجب وترفع فيه التكاليف أو العوائق وتتلاقح فيه الأفكار .

طبيعة درس الداعية

يختلف درس الداعية عن الدروس الأخرى ـ لما يلي

١ ـ درس الداعية له صبغة خاصة وطعم مميز ، يخالف الدروس في الدور العلمية ، فالداعية غالباً لا تعنيه دروس الجغرافيا ولا الكيمياء أو الهندسة أو ما شابه ذلك حيث أن لهذه مجالات أخرى ، ورجالا آخرين .

كما أن دروس الداعية تتشكل حسب مقتضيات الأحوال في الأزمان والاشخاص فتارة يعرض الداعية الى العموميات ولا يدخل في التفصيليات واستيعاب المسائل وإنما يهتم بالرقائق والقواعد والمعاني العامة .

وتارة يعرض لكل ذلك ويستوعب الدقائق والفروع إذا اقتضى الحال ذلك فمثلاً حينما يكون الدرس في الصيام ، إذا كان المجال مجال علم وبحث يعرض إلى الأحكام الفقهية في الصيام فيتكلم عن وجوبه ، وعلى من يجب ، وعلى رؤية الهلال وعلى النية ، واختلاف المطالع إلى غير ذلك .

وإذا كان الحال لايقتضي ذلك كان المدعوون لا يلائمهم هذا التفصيل الجاف فإنه يقصد إلى الصوم . مثلا من ناحية ، أنه سر بين العبد وربه يستعين فيه العبد بمراقبة الله على إتمام صومه وتربية ضميره وإشعال مشاعر النفس بالأحاسيس الكريمة ـ كشكر النعمة ، وتذكر المحتاج ، وتوثيق روابط الأخوة بين المسلمين .

٢ ـ درس الداعية غالباً ما يربط بين الموضوع المراد وبين واقع الناس المعاش وقضاياهم التي يهتمون بها ، فقد يكون الحديث عن الربا داعياً لصرف المسلمين عن تبعيتهم للغرب وانصرافهم عن استثمار أموالهم فيما يعود عليهم بالخير وقد يكون الحديث عن حكم الله العادل تذكيراً للمؤمنين بالخلاص من

الظلم الذي يقعون فيه ويعانون منه ، وقد يكون الحديث ، عن الرجل الصالح أبي الغلامين الذي ذكر في القرآن في قصة موسى والخضر ، داعياً لاثارة الرغبة في نفوس من يخشون من بعدهم على أولادهم الصغار ، أن يتقوا الله ويرجعوا إليه .

والكلام في القصة عن أصحاب السفينة قد يكون داعياً لتذكير الذين يخشون الظلمة بأن الله حاميهم وناصرهم ومعينهم وحافظهم أذاهم اتقوا الله حق تقاته .

٣ - درس الداعية لا يخلو من العاطفة وإثارة الوجدان ، وإن كان ذلك لا يبلغ مقدار ما في الخطبة من الحماس ومخاطبة العواطف ، ولكنه على أي حال لا يكون جافاً أو علمياً خالصاً .

ملاحظات عامة في الدرس :

ينبغي أن يلتفت إلى تلك الملاحظات سواء كانت في صلب الدرس أم في مادته وتكوينه .

١ - الدرس وسيلة إلى إيضاح المعاني وترسيخها في الذهن ، وبحث الأفكار وبيان صحتها ومقدار ما فيها من صواب أو خطأ ، كما أنه وسيلة إلى التعمق في المسائل ومراجعة النتائج على ضوء من النظر المتأني والمتريث .

٢ - الدرس فرصة للاسئلة المختلفة التي تحيط بجوانب الموضوع وما يتعلق به وفرصة للمدعو والداعية .

أما إنه فرصة للمدعو . فهو وسيلة جيدة ليعلم المدعو مقدار إخلاص الداعي وصواب دعوته ، ومقدار علمه ، وتمكنه وإحاطته .

وأما أنه فرصة للداعية : لأنه يستطيع أن يوضح فكـرته ويكتشف رأي من أمامه ومدى إقتناعه، ويستطيع كذلك على مهل أن يزيل شبهته وأن يبعد شكوكـه وريبه وتوجسه .

٣ ـ الدرس وسيلة جيدة للتعـارف وتوثيق الصـلات وتعميق الأخوة بـين الأفكار المختلفة وتلاقحها مع بعضها البعض وفـرصة لمتـابعة أحـوال المدعـوين حيث يكـون العدد محـدوداً ، ويمكن تفقد الغـائب والسؤال عليـه ومـلاحـظتـه وتقـديم العون لـه إن أمكن ، أو مواسـاته إذا لـزم الأمر ومشـاركته في أفـراحه وأتراحه .

٤ ـ وقـد يكون مـوضـوع الـدرس آيـة ، أو حـديث أو سؤال من أحـد المدعوين،بمعنى أن يكـون سؤال يتردد في أروقـة الناس أو يـوجه من أحـد خصوم الـدعوة والمشككـين فيها ، أو سـأله أحـد المؤمنـين ، ويستحسن أن يكـون عنـد الـداعية بـه علم مسبق قبل الـدرس ليستطيـع أن يحضر لـه الاجابـة ويبنى عليـه الـدرس ، هذا إذا كـان السؤال هو مـوضوع الـدرس أما إذا جـاء عارضـاً لأنـه مثلا مس موضوع الدرس فلا بأس أن يجيب الـداعية بـاختصار إن كـان عنده بـه علم أو يؤجل إلى ميعاد آخر .

٥ ـ يجب التحضـير للدرس تحضيراً جيـد وتـوقـع الاسئلة التي تـرد عـلى الموضوع والاعداد لها جيداً ، كما يجب أن يكون الداعيـة صبوراً ودوداً لا يستثـار ولا يغضب ولا يستـدرج إلى ما لا ينفـع أو يجـدي أو يضيـع الـوقت والمـوضـوع الأصلي خاصة إذا كان الدرس بعد الصلاة في المسجد مثلاً وفي أمثال ذلك .

٦ ـ الاطـالة ممقـوتة ومـراعاة أحـوال الناس واجب ، وشكـرهم لازم إن كانوا قد أدوا خدمة أو معروفاً ، أو قاموا بجهد أو طاقة .

٧ ـ يستحسن أن لا يدخل في الجدليات وأن يبين الحكم الفقهي الراجـح إن كان عنده القدرة لذلك وإلا أبان الحكم عـلى أحد المـذاهب المعتمدة وصـرح

بـذلك حتى يعلم النـاس أن الحكم على هـذا المذهب ، فـلا يتشكـك أصحـاب المذاهب الأخرى .

المَبحث الثالث

المحاضرة

المحاضرة ، هي بحث في موضوع يلقيه المحاضر في محضر من الناس ، أو هي معلومات مرتبة تعالج موضوعاً معيناً ، ولها طـابع علمي خـاص يلقيها عـلى الناس من يستطيع ذلك .

والمحاضر : هـو من يلقي على النـاس المحاضـرة : يقال حـاضر النـاس جالسهم وحادثهم بما يحضره .

والغالب في المحاضرة أنها تعالج موضوعاً معيناً باستقصاء وإحاطـة ويكون ذلك بدراسة جوانب الموضوع وذكر ما قيل حوله مع الاستشهاد لـما يقول بـالأدلة والبراهين الدالة على ذلك . ولهذا فإنه يجب مراعاة النقاط التالية .

١ ـ محاضرة الداعية لها لون خاص وهدف معين ، فهي مثلاً لا تبحث في الفلك والطب والهندسـة والكيمياء ، إلا إذا كـان ذلك مـدخلاً إلى شـرح هدفـه ودعوته أو كان لذلك صلة برسالته ، كبيان جهو المسلمين في هذا الاتجاه .

أما أسرار هـذه العلوم ودقائقهـا وشرحهـا ، فهي من إختصاص خبـرائها وأساتذتها ، في الجامعات أو الندوات العلمية والاكاديمية .

وإنما تبحث محاضرات الداعية في الدعوة إلى الرسالة وإظهـار جوانب الحق والجمال فيها وما يدور حول هذه المعاني والاهداف .

٢ ـ يجب على الداعية المحاضر الابتعاد عن الاسلوب الاكـاديمي وكذلـك

الاسلوب العـامي ، فهو داعيـة إلى الله وهـو في نفس الـوقت عـالم ومثقف بلغـة العـرب ولغـة القـرآن ويخـاطب أقـوامـاً منهم ، هـذا إذا كـان الـداعيـة في وسط العرب .

أما إذا كان يدعو أقـواماً غـير العرب فـإنه لا بـد أن يدعـوهم بلغتهم التي يشترط أن يكون مجيداً لها عالماً لما يدرو بها ولهجاتها .

فمن كان عيياً في لغة من يدعوهم خرج من زمرة الدعاة .

٣ ـ الموضوعات التي تختار لا بد وأن تكون مراعية لمقتضى الحـال ، فمثلاً الموضوعات التي يوحيها محيط الزراع غير التي يوحيها محيط الطبقات المظلومة من العمال غير التي يوحيها محيط الأمم المستعمرة أو المتأخرة أو الكسولة .

كـما أن الموضـوعات التي تختـار للطلاب غير المـوضوعـات التي تلقى عـلى الاساتذة .

٤ ـ جمهور المحاضرة غير جمهور الخطبة والدرس ، فغالباً ما يكون جمهـور المحـاضرة من طبقـة معينة يهمهـا هذا المـوضوع المـراد بحثه ، وتـأتي لـه طـائفـة مختارة تضحي بوقتها في سبيل الاستفادة من المحاضرة .

أما جمهور الخـطبة فقـد يكون خليـطاً من ثقافـات مختلفة وميـول متباينـة يأتون لسماع الخطبة مثل خطب الجمعة والعيدين وغيرهما .

المحاضرة يكون معلناً عنها من قبل ومعروفا موضوعها بمسبقاً ، ويقصدها من يحب سماع ذلك اللون من الثقافة أو التوجيه .

أسس المحاضرة ومعالمها

١ ـ اختيار الموضوع المناسب ، الـذي يجب أن تخطط لـه العقلية العلميـة

المنظمة التي ينبغي أن يؤدي علمها إلى منهاج يوضع الفكرة ، وإلى ثمرة تقطف من ورائها وإلى أسلوب يخاطب الفطرة والوجدان معاً .

كما يجب أن يلمس الموضوع جوانب النفع الدنيوي ولا يقتصر على الثواب الأخرون فقط ليعرف الناس ثمرة ما يبذلونه في سبيل الإصلاح من عمل صالح . في الحياة الدنيا والآخرة ، فينشرح بذلك صدورهم وتقوى عزائمهم وتتفتح آمالهم وتنشط هممهم ، ولاشك أن هذا هو منطق الإسلام الحنيف . دين ودنيا ، مصحف وسيف ! قال تعالى ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ . (القصص ـ ٧٧)

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ﴾ (الجمعة ـ ١٠) .

٢ ـ الاطمئنان إلى المراجع المناسبة في الموضوع لأن الداعية يعتمد على المصادر الموضحة والمؤيدة للفكرة لأنه كما يقولون «إن كنت ناقلاً فالمرجع وإن كنت مدعياً فالدليل» ولأن المقام مقام بحث وتمحيص . وجمهور الحاضرين للمحاضرة أكثر استنارة من عامة الناس .

٣ ـ القصد في الانشاء وفي المحسنات اللفظية والعبارات الرنانة لأن للمحاضرة موضوعا وأهدافا يقصد إليها للاقناع والاستفادة ، والهدف الأول من المحاضرة تبصير جمهور المحاضرة بالحقيقة المرادة ، والأخذ بأيديهم في طرق الاستدلال الصحيح لابلاغهم وجه الحق المشرق ، وذلك باستخدام الاساليب الخالية من الانفعال أو الهياج أو العنف ، البعيدة عن أجواء الايحاء بالتعصب والانانية التي تصرف الناس عن تفهم الحق أو التسليم به ولو انكشف لها واضحاً جلياً ، وقد نهى الرسول ﷺ عن التكلف في الكلام بغير فائدة أخرج مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وأبي هريرة وأصلها عند البخاري . «قضى رسول الله

ﷺ بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني «كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ، ومثل ذلك بطل ؟ فقال : أسجعا كسجع الاعراب» ، وأنكر رسول الله ﷺ ذلك عليها لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه وينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ، ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم . ولا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب ، لأن المقصود به تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فإن لرشاقة اللفظ تأثير فيه ولهذا فهو لائق به فإما المحاورات العلمية أو التخصصية ، فلا يليق بها السجع والتشدق والتكلف لأنه لا باعث عليه في هذه الحالة إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة في غير موضعها وذلك مذموم .

وقال ﷺ : (ان أبغضكم إلى الله وأبعدكم مني مجالساً يوم القيامة الثرثارون ، المتفيهقون المتشدقون في الكلام) أخرجه أحمد والترمذي وحسنه .

٤ ـ حصر نقاط البحث بايضاح أكثر وعدم الانتقال من نقطة الى أخرى إلا بعد استيفائها والاستدلال عليها ، وعدم الشرود عن الموضوع والاستطراد المشوش الذي يشتت ذهن السامع عن الموضوع الأصلي وعن التركيز على النتيجة المطلوب الوصول إليها .

٥ ـ تصحيح النصوص ـ كالقرآن والحديث الشريف ، وكذلك ما ينسب إلى الآخرين من نصوص أو آراء أو أفكار . حتى لا ينسب إلى المحاضر أو الداعية خطأ أو خداع فيؤدي هذا إلى عدم الوثوق فيه ، أو إحراجه وضياع قيمة محاضرته العلمية والفكرية .

٦ ـ ربط المحاضرة بهدف إذ الداعية وقته ووقت الناس أعز من أن يبدد فيما لا يفيد .

والحقيقة أن الداعية المسلم يجب أن يكون له في محاضرته هدفان :

الأول : علاج موضوعة الخاص الذي هو عنوان المحاضرة ، حتى يؤدي الهدف المقصود منه وهو اقتناع بالفكرة واستسلام للحجة. الخ .

الثاني : إحياء هذه المشاعر التي تجمعت حوله وبعثها روحياً وقلبياً نحو ربانية كريمة ورسالة قدسية عظيمة . على أن يكون الغرض الاول مقصوراً لذاته ومقصوداً كذلك كوسيلة للغرض الثاني ، ويجب لهذا أن يساق للسامع ما يشعره بعدم السلبية وبأنه مسؤول ومحاسب . وبأن عين الله ساهرة تطلع عليه تحيط بظاهره وخفي سريرته .

حتى يرتبط العلم والاقناع عند المسلم بالعمل وبالنفس الحية المتحركة .

قال تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ المجادلة ـ ٧

٧ ـ سعة الصدر في الحوار والمناقشة، مع الموافقين والمعارضين ومع المستفهمين ومع غيره ، حتى مع المعادين للداعية والدعوة ، فإن سعة الصدر تكسب المحاضر ثقة الجمهور وعطفه وتقديره ، وتفوت على المحبين للتشويش فرصة استغلالهم لهذا الهرج ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن سعة الصدر تزيد من الفهم للمخلصين ، ولا شك أنهم غالب جمهور المحاضرة وهم الذين يقصدهم الداعية من محاضرته في المقام الاول ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال : بئس اخو العشيرة هو ، فلما دخل انبسط إليه وألان له القول . فلما خرج قلت : يا رسول الله حين سمعت الرجل قلت كذا وكذا . ثم تطلعت في وجهه وانبسطت إليه !! فقال : « يا

عـائشة متى عهـدتني فاحشـاً ؟ إن من شرار النـاس عند الله تعـالى منزلـة يـوم القيامة ، من تركه الناس إتقاء فحشه ـ البخاري .

قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ الفرقان ـ ٦٣ .

﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ النساء ١٤٨ .

٨ ـ ينبغي أن يحدث المحاضر بينه وبين الجمهور تعـارفاً عـاطفياً قبـل بدء المحاضرة فإن مطالعة الجمهور بالموضوع مبشارة قد تفاجىء مشاعره بأمر لم يتهيأ لـه التهيؤ اللائق ، فـإن المشاعـر بيوت مغلقـة يجب أن تعدلهـا المفاتيـح اللازمـة والمناسبة.

وذلك قد يكون ، بمقدمة في هذا الامر ، فقد يكون مثلاً قد تعلم في هذا العهد الذي يحاضر فيه ، أو يكون له صلة قرابـة بهذه البلدة ، أو يكـون قد سبق لـه زيارة هـذا المكان ، أو يكـون يرتـاح له نفسيـاً ، وهـذا شيء لـو ذكـر لكـان استهلالاً لطيفاً ، يمهد لالتقاء العواطف والأحاسيس بين المرسل والمستقبل .

الفصل الثالث

المناقشة والحوار والجدال

مقدمـــة :

قـد تدعـو طبيعة البحث ، أو المـوضوع أو المـدعوين ، إلى المشـاركة مـع الـداعية للتـوصل إلى الحق ، أو البحث عن الصـواب بطرق معينـة منهـا الحـوار والمناقشة للقضايا التي يـطرحها ، أو الأفكـار التي يريـد ايصالهـا الى المدعوين . وللمناقشة والحوار والجدال قواعد وأصول وشروط ينبغي اتباعها ،صيانـة لهـا عن أن تتحـول إلى مبـاراة بعيـدة عن نشـدان الحقيقـة ، أو إلى مشـاحنـات أنـانيـة ومشـاتمـات وخصـومـات ومغـالـطات ، ونحـو ذلـك ممـا يفسـد القلوب ويهيـج النفوس ، ويوغر القلوب ويكون ضـرره أكثر من نفعـه فيورث التعصب والفـرقة والبغضاء ولا يوصل إلى الحق أو إلى صراط مستقيم . أو يهـدى إلى رشد أو نفـع للفرد والجماعة .

المبحث الأول

أدب الحديث في الإسلام

ونحب قبـل البدء في هـذه الشروط أن نـذكـر شيئـاً من آداب الحـديث في الإسلام . وبعضاً من النصوص في هذا المقام ، ليكون ذلك معلماً للمسلم .

ـ قـال تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ النساء ـ ١١٤ .

ـ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ

هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ المؤمنون ١ -٣ .

- ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ البقرة - ٨٣

- ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ الاسراء - ٥٣ .

- ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾ البقرة ٢٦٣ .

- ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان - ٦٣ .

- ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ القصص - ٥٥ .

ولقد عنى الإسلام عناية كبيرة بموضوع الكلام ، واسلوب أدائه ، لأن الكلام الصادر عن إنسان ما ، يشير إلى عقله ، وطبيعة خلقه ، ونوع تربيته ولأن لغة الكلام عند المجتمعات هي في الحقيقة لغة السلوك ، وهي مقياس مستواها العام ، تشير إلى مدى تغلغل الفضيلة في بيئتها - أو مدى تحكم الفساد فيها وقد وردت أثار عن رسول الله ﷺ في هذا الباب تنظم لغة الكلام وتجمل تلك النعمة التي أسبغها الله على الانسان وكرمه بها دون سائر خلقه .

وكذلك وردت كثير من الأثار عن الصحب الكريم والسلف الصالح في هذا الباب نذكر طرفاً منها .

- قال ﷺ : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»(١)

- قال أعرابي لرسول الله ﷺ أوصني : فقال : عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء فيه ، يكن وباله عليه وأجره لك ، ولا

---

١ - اخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة

تسبن شيئاً قال الرجل : فما سببت بعده»[1]

- جاء عمر بن سعد بن أبي وقاصى إلى أبيه سعد يسأله حاجة ، فتكلم بين يدي حاجته بكلام ، فقال له سعد : ما كنت في حاجتك بأبعد منك اليوم !! «وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها»[2]

- قالت عائشة رضى الله عنها قال ﷺ «أن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» البخاري

- قال ﷺ : «من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتاً في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة»[3]

- قال لقمان لابنه «يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك . وقال بلال بن سعد إذا رأيت رجلاً لجوجاً ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته»[4]

- عن أبي عثمان النهدي قال سمعت عمر بن الخطاب يقول على المنبر إياكم والمنافق العليم ، قالوا : وكيف يكون منافق عليماً ؟ قال يتكلم بالحق ويعمل بالمنكر»[5]

- وعن عمر رضى الله عنه يهدم الدين وفي لفظ يهدم الاسلام ثلاثة زيغة العالم ، ومجادلة منافق القرآن ، وأئمة مضلون»[6]

---

(١) أخرجه احمد الطبراني باسناد جيد

(٢) روا احمد

(٣) اخرجه الترمذي وابن ماجه قال الترمذي حسن

(٤) احياء علوم الدين ٣/ ١١٧ط المعرفة

(٥) كنز العمال ١٠/ ٢٧١ط الرسالة .

(٦) اخرجه احمد والطبراني

- وعن عمر رضى الله عنه : إن الإسلام في بناء وإن له انهداماً ، وإن مما يهدمه زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلين ، وعن ابن عباس مثله .

وعنه أيضاً في لقاء مع علي بن أبي طالب وسؤاله عن الفتن فقال علي رضي الله عنه : إذا تفقهوا لغير الدين ، وتعلموا لغير العمل ، وطلبوا الدنيا بعمل الأخرة» [1].

ولهذا يحسن بنا أن نقف قليلاً عند تعريف الجدال والمراء .

عرف العلماء المراء بقولهم :

«هو الطعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى التحقير» [2].

كما عرفوا الجدال بقولهم :

«هو عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب أو النحل وتقريرها» .

وقالوا عن الجدل : هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات ، أو هو دفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجة أو شبهة ، أو بقصد تصحيح كلامه» [3] معلمنا من ذلك أن هناك جدال محمود وهو الجدال الذي يقوم على الحجة والمنطق ورد الخطأ إلى الصواب . وهو لا شك محمود وسنتكلم عليه وهناك : جدال هو مراء وهو مغالطة وهو عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور ، والباحث على هذا اللون ، هو الترفع واظهار العلم والفضل ، والتهج على الغير باظهار نقصه ، وهما شهوتان باطنتان للنفس

---

(١) المرجع السابق ١٠/٢٦٦ط الرسالة .

(٢) كنز العمال ١٠/٢٧١ط الرسالة .

(٣) انظر في ذلك قواعد الفقه العميم الاحسان طـ الهند ـ في المادة

قويتان لها : كما قال الغزالي : أما اظهار الفضل : فهو من قبل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء ، وهي من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية ، فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويذيه ، وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان . وإنما قوتهما المراء والجدل ، فالمواظبة على المراء والجدل مقوى لهذه الصفات المهلكة .

وأثار ذلك على الفرد والمجتمع كبيرة ومهلكة .

من هذه الآثار.

أ ـ الحسد : ولا ينفك المناظر والمجادل عن الحسد فتارة، يغلب فيعتريه الزهو، وتارة يغلب وتدحض حجته بأقوى منه فيحسده ويتمنى ضلاله وزوال نعمته «وقد قال ﷺ : «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[1] .

ب ـ الكبر والترفع على الناس : والمجادل والمناظر لا يحب إلا التكبر على الأقران والأمثال والترفع فوق قدره ليوهم غيره أنه لا يبارى ولا ينازل. وربما يدعي فيقول : المؤمن منهى عن الاذلال وهذا كله يكذب عمله، وتصرفه، ويفضحه مما رأته في الحق وعدم الاعتراف به في أي قضية من القضايا، وليّه لأعناق النصوص والأدلة.

جـ ـ الغيبة : فإنه لا ينفك عن مذمة خصمه وتسفيه كلامه وتذكية نفسه وقد قال تعالى ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح؟ فقال ثناء المرء على نفسه، ولا يخلو المناظر من الثنايا على نفسه.

---

(١) روى من عدة طرق أحده باسناد حسن ١ زين الدين العراقي على الاحياء ١ / ٤٥ .

د ـ ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ والمناظر لاينفك يتتبع عورات خصمه ويسأل عنها . يبحث عن بواطن الأمور طلباً للغلبة ونزع ثقة الناس في الخم .

هـ ـ الفرح والسرور لمساء الناس والغم لمسارهم والمسلم مأمور أن يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه ويكره لها. وهذا باب عظيم من أبواب البغض وتقطيع الصلات والمودة بين المسلمين، حتى يصيرا كالضرائر وهذا يخالف روح وادب العلماء : قال الشافعي رضي الله عنه : العلم بين أهل الفضل رحم متصل .

و ـ النفاق ـ فإن هذا شأنهم يتوددون بالألسن ويتباغضون بالقلوب والنفاق معروف ذمة في القرآن والسنة .

ز ـ الاستكبار عن الحق وكراهيته والحرص على ستره عن الخصم والممارة فيه وإن ابغض شيء عند المماري المناظر أن يظهر الحق على لسان خصمه، فإنه يتشمر لدحضه وجحده وانكاره باقصى جهده وقوته، وبذل غاية استطاعته في المكر والحيلة حتى يلفت النظر عنه .

لهذا وغيره كانت المحاراة، وكان الجدل الفاسد لعنة على الكلمة، وعلى الحق، وعلى الفرد، وعلى الأمة، لأنه يقلب المعايير الانسانية الفاضلة ويوقف النشاط الحيوي الصحيح للانسان، ويقضي على مشاعل الهدى والنور التي تؤدي إلى بيان الطريق المستقيم وتوصل إلى النهج القويم، وتعطي الأمر لادعيائه وتوسده غير أهله من أصحاب القلوب المريضة الذين لا يفيدون الأمة إلا بنقل أمراضهم الخبيثة إليهم، وتوريثها الحقد والحسد والضياع وغيره من الموبقات المميتة .

والجدال في الدين والجدال في السياسة والجدال في العلوم والاداب والفنون حينما يكتسب هذه الصفة ويتصدى له نفر من الأدعياء عليمي اللسان يفسد بهم كل شيء ولعل هذا هو سبب انهيار كثير من الامم وضياع شوكتها ومحو حضارتها ووقف تقدمها.

والويل لكل أمة يعيش فيها صنف من الناس صفيق الوجه شرس الطبع دنيء الهمة لا يحجزه عن المباذل يقين، ولا تلزمه المكارم مروءة، ولا يبالي أن يأكل بعرضه أو بثديه أو بأمته أو بتراثه أو بالحق أي شيء، ولا يبالي أن يتعرض للأخرين ليقتل فيهم الحق والمروءة ويطفىء فيهم الفكر والعقل ما دام قد وجد مجالاً فيه رغبته في النزقة وشهوته في الشرود ، فإنه بعد ذلك ينطلق على وجهه لا ينتهي له صياح ولا يفتر له عويل ولا تنحسر له شره ، هذا فضلا عن أنه يجد لذلك سوقاً رائجة وأموالاً دافقة وعطاء غير ممنوع وتأييدا غير محدود .

لهذا وغيره حرص الاسلام أن يجعل للكلمة قانونا ، وللحوار مبادىء، وللمناقشة دستورا.

دستور الكلمة :

إذا كان للانسان حق لا بد له من الخصومة في طلبه أو في حفظه إذا ظلمه ظالم فهذا لا تذم خصومته، وإذا كان هناك حوار في تفهم الحق ومعرفته وكشف الصواب، فاعلم أن هذا غير مذموم، لأن الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم.

المناظرة والجدل المحمود :

وقد عرف العلماء الجدال المحمود كما قدمنا بقولهم: هو دفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجه أو شبهه، يقصد بذلك تصحيح كلامه.

وعلى هذا يكون الجدال: هو حوار كلامي يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهة نظر الطرف الآخر، ويعرف فيه كل طرف منهما أدلته

التي رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال ما يظهر الطرف الآخر من نقد بادلته الصحيحة.

ويكون هدف المناظرة هو في الأصل تعاون الفريقين المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها بتبصير كل منهما صاحبه بالأماكن المظلمة والملتبسة عليه أو التي خفيت عليه وغمضت في طريق البحث عن الحقيقة وذلك يكون باستخدام الحوار البريء من التعصب والهوى الخالي من العنف المقيت والانانية البغيضة التي تصرف النفوس والأفكار عن فهم الحق أو الانقياد له .

الجدال بالتي هي أحسن من وسائل الدعوة الاسلامية

لما كانت الحجة لازمة لبيان الحق والدفاع عنه، حتى تتفتح مغاليق القلوب، وكانت الحكمة سنداً وقوة لهذه الحجة وكان الجدال بالتي هي أحسن سلاحاً ودرعاً للحق، كان على الدعاة أن يأخذوا به لاظهار الحق وتبليغه للناس، ولهذا أمر الاسلام بالجدال بالتي هي أحسن للدفاع عن الاسلام والدعوة إليه، وحماية رسالته فقال تعالى لنبيه عليه السلام ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ النحل - ١٢٥ .

وخاطب القرآن المؤمنين في سورة العنكبوت بقوله ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ سورة العنكبوت - ٤٦ .

وقد وهب الله سبحانه وتعالى الأنبياء قوة في الحجة وحكمة في التبليغ والفطانة في الدعوة حتى يستطيعوا مواجهة الباطل بالكلمة القوية والحجة البالغة فقال تعالى مثنياً على قوة حجة ابراهيم عليه السلام ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام - ٨٣ .

ولقد أوتي كذلك نوح عليه السلام نفساً في الحجة والجدل الذي ملك على

الأقوام كل أقطارهم، وادار رؤوسهم وعقولهم فقالوا كلمة الحانق من وضاءت الحق واشراقه الحجة ﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ هود ـ ٣٢ .

وقد عاب القرآن على أقوام ضاع الحق بينهم فلم يستطيعوا أن يكونوا له درعاً واقية أو حجة بينه فقال تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ الزخرف ـ ١٨ .

هذا وقد صاحب الدعوة الاسلامية جهادان، جهاد باللسان، وجهاد بالسنان .

وكان جهاد اللسان والحجة، أقوى واصعب على المشركين والضالين من جهاد السنان لبطلان حجتهم وتهاوي دعوتهم، أمام حجة الاسلام وبيانه، ورسالته وقرآنه .

ومن هذا يتحصل لدينا أن الجدال للوقوف على الحق، أو لاقناع الناس به عمل مشروع ومحمود وقد يكون واجباً كالقتال في سبيل الله .

أما الجدال لشهوة في النفس وانتصار للاهواء، لرغبة الاستعلاء والغلبة فهو عمل مذموم وقد يكون حراماً إذا كان لطمس الحق أو تضليل الناس عنه .

وهذا من فعل الضالين المخادعين، أما المؤمنون المهتدون فلهم أسلوب أخر وطريق مستقيم، هذا وقد يكون بين المؤمنين بعضهم مع بعض جدال ومناظرة للوصول إلى الحق في مسألة معينة فيكون هدف المناظرة تبصير الواقف على الحقيقة، أخاه المناظر له بتلك الحقيقة المستقرة عنده بالدليل والبرهان، والأخذ بيده في طريق الاستدلال الصحيح لابلاغه وجه الحق المشرق من غير تعصب ولا انفعال من أي منهما. ومن هنا كان لا بد من وجود معالم يجب اتباعها لسلامة الطريق إلى الاقناع ومعرفة الحجة والالزام بها .

المبحث الثاني

نشأة أدب البحث والمناظرة ومعالمه عند المسلمين

قد يتطرق إلى الذهن اسئلة معينة حول البحث والمناظرة عند المسلمين من هذه الاسئلة، متى نشأ هذا الفن، أو متى عرف المسلمون هذا الفن، ومن كان أول من نظمه ووضع آدابه .

والواقع أن هذا الفن قديم قدم البشرية، لأنه يبدأ حيث يبدأ العقل والمنطق والأهواء والغرائز، ثم كان بعد ذلك في كل أمة للدفاع عنها وشرح مبادئها ثم مع كل نحلة وديانة ومذهب، يراد له أن ينتشر ويسود، ثم مع كل نبي ورسول بعث برسالة، وصدق الله ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ وكانت الحجة والحكمة مصاحبة لكل رسول ونبي : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾[1] ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾[2] ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾[3] .

وقد عرفت الحجة والمناظرة عند العرب من قديم في اشعارهم وخطبهم ومساجلاتهم دفاعاً عن احسابهم وانسابهم وشرفهم وديانتهم .

فلما جاء الاسلام كان هو الحجة البالغة والحكمة الباهرة والصبح الوضاء والشمس الساطعة التي قطعت كل السبل على المناظرين، وكان أن تحدى بحجته وبلاغته العرب والدنيا، أن يقارعوه أو يماثلوه فعجزوا .

---

(١) سورة البقرة ـ ١٣٩ .

(٢) سورة الانعام ـ ٧٣ .

(٣) سورة الانعام ـ ٨٠ .

وتعلم المسلمون من قرآنهم، وحاجوا من خالفهم ونافحهم، وقد ذكر القرآن مساجلات الأنبياء مع أقوامهم، ومساجلاته ﷺ مع المشركين العرب وغيرهم من أهل الكتاب ودخل المسلمون في عصور العلم ونافحوا الأمم المختلفة وجادلوهم بالتي هي أحسن كما أمر القرآن، وترجموا تراث الأمم من قبلهم وفيها من علوم الجدل كالمنطق والفلسفة الكثير، واخترع المسلمون علوماً أخرى لم تكن معروفة قبل،تبني أساساً على الحجج والاستنباطات مثل علم الكلام وعلم اصول الفقه، وعلم الفقه المقارن وغير المقارن والتزم المسلمون فيها أداب وضوابط وقواعد أخذ بها كثير من علماء تلك الفنون بل وكثير غيرهم من العلماء ، نلاحظ ذلك في مناظرة الامام الشافعي للفقهاء في عصره .

ومناظرة الامام أبي حنيفة النعمان، ومناظرة الائمة الفقهاء وغيرهم.

ولهذا برز أدب البحث والمناظرة، عند المسلمين كعلم لضبط المحاورات والمجادلات ، ووضعت قواعد وآداب لذلك ، لتكون مثمرة مؤدية هدفها للوصول إلى الحق أو إلى اقناع الفريق الآخر ، ولتكون بعيدة عن الجنوح المذموم الذي تندفع إليه النفوس لما في طبيعتها من تعصب للرأي واتباع للهوى أو ميل إلى مذهب أو نحله .

كما دعت الحاجة إلى تمييز هذه القوانين ووضعها في مؤلفات مستقلة وكان أول من أفرد هذا الفن بالتأليف ركن الدين أبو حامد محمد العميدي الفقيه الحنفي في كتابه المسمى بالارشاد ـ توفي سنة ٦١٥، ثم تبعه الامام الرازي المتوفي سنة ٦٠٦ ، ومن أشهر كتب هذا الفن مؤلف شمس الدين بن أشرف الحسيني السمرقندي المتوفي سنة ٦٠٠ هـ ثم تتابع التأليف بعد ذلك في هذا الفن .

معالم الجدل والمناظرة في الاسلام

يحسن بنا بعد هذا البيان أن ننظر في النصوص الاسلامية وفي أقوال العلماء

وفي تراثنا الاسلامي، لنستخلص قوانين للجدل والمناظرة، يرتاح إليها قلب المسلم ولتكون معلماً بارزاً لكل من أراد أن يبتغي وجه الله في قوله وحجته، ثم وجه الحقيقة فيما يعتقد ويظن أنه الصواب بعيداً عن الاهواء وحظوظ النفس، تركاً للتقاطع والتخاصم والتدابر، التي نهى عنها الاسلام على لسان رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله اخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، ثم يقول ﷺ: «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» رواه مسلم(١).

من هذه القوانين والقواعد:

١ ـ أن يكون المناظر عالماً أو صاحب رأي، عنده القدرة على معرفة الدليل والنظر في الأدلة المختلفة واستخلاص الحكم منها ومعرفة وجه الحق فيها. لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء ـ ٨٣. ولقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ آل عمران ـ ٧. وقوله تعالى: ﴿**وما يتذكر إلا اولو الالباب**﴾ أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقية.

٢ ـ أن لا يكون هذا هوى في نفسه، أو لحرفه وهواية، وإنما لدافع الحق والبينة لأن هذا سيدفع إلى أمرين،

الاول: التخطي بالجدال إلى رتبة غير رتبته فيشتغل به حين يكون من الامور الجائزة أو من فروض الكفاية، ويترك الامور الواجبة والفروض العينية

فيكون مثل من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وهو قادر على احيائهم بجلب الماء لهم، واشتغل بتعليمهم الحساب، أو حياكة الثياب، وزعم أن ذلك من فروض الكفاية التي يجب أن يعلمها المسلم .

الثاني: الدخول به في حظوظ النفس، وحب الغلبة والالتفات إلى الصنعة لا إلى الحق.

٣ ـ أن لا يكون إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً، حيث كان هذا شأن الصحابة رضوان الله عليهم لا يضيعون الوقت والجهد إلا فيما يعود على الاسلام والمسلمين بالخير وكانوا يبتعدون عن الجدليات التي لا تأتي بخير، وقد وقع في هذا كثير من المسلمين في العصور التالية لهم فكانت سبباً في الخصومات وتقطيع الأوصال والحبال وذلك مصداقاً لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[(1)] وقوله ﷺ : « ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه »[(2)] وعن عامر قال : « سئل عمار بن ياسر عن مسألة فقال : هل كان هذا بعد قالوا : لا . قال : فدعونا حتى يكون فإذا كان تجشمناها لكم »[(3)] .

٤ ـ أن تكون المناظر بعيدة عن الجمهور الكبير والاعلام ما أمكن خاصة إذا كان ذلك الجمهور بعضه يؤيد أحد المتناظرين والبعض يؤيد الأخر كما يستحسن أن تكون بعيدة عن رعاية الأكابر وأصحاب السلطة من السلاطين والحكام . فإن الخلوة أجمع للفهم، واحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق، وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء، ويوجب الحرص على نصرة كل واحد

---

(١) المائدة ـ ١٠١ .

(٢) الموطأ ص ٣٤٣ ط.

(٣) صفة الصفوة ١/٤٤٤ ط المعرفة رواه مسلم والنسائي وابن ماجه بسند صحيح .

نفسه محقاً كـان أو مبطلاً اللهم إلا إذا كـان ذلك بـين حق صراح وبـاطل متسلط خادع مسيطر ويراد بذلك فضحه وارشاد من يخدعـون فيه من العـامة، لا اقنـاع الشخص نفسه أو استمالته وارشاده إلى الحق في المقام الأول.

وهذا مثل ما حصل مع موسى عليه السلام وفرعون وملئه : حين تواعدوا للمناظرة والمحاجة في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَـٰنِ لَسَـٰحِرَـٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ طه ـ ٦٤ .

٥ ـ أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرق بـين أن تظهـر الضالـة عـلى يده أو عـلى يـد من يعـاونـه ، لأن المسلم جنـدي للحق لا عبـد للهـوى ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ النسـاء ـ ١٣٥ .

وقوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة ـ ٨ .

فهكـذا كانت الصحـابة وكـان المسلمون: حتى أن امـرأة ردت عـلى عمـر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته في مـلاء من الناس فقـال: أصابت امرأة وأخطاء عمر،

وسأل رجل عليا رضي الله عنه فاجابه فقال: ليس كذلك يـا أمير المؤمنـين ولكن كذا وكذا، فقال: أصبت واخطأت، وفوق كل ذي علم عليم. واستـدرك ابن مسعود على أبي موسى الاشعري رضي الله عنهما، فقال ابو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم.

أما من يكابر في الحق ويحب سقطات أخيـه ويسود وجهـه عن سماع الحق من غيره،فهذا مدافع عن شهوته وهواه وليس مناظر للحق أو المعرفة.

٦ ـ تخلى كل من الفريقين المتصديين للمحـاورة «المناظـرة» حول مـوضوع معين عن التعصب لوجهـة نظرة السـابقة، واعـلان الاستعداد التـام للبحث عن الحق بالدليل، والأخذ بهعنـدظهور الحجة ولـو كـانت هي وجهة نظر خصمه،

وهذه هي العظة التي حثنا القرآن عليها بقولـه تعالى﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ سبأ ـ ٤٦.

قال السدي: معنى مثنى وفرادي: منفرداً برأيه ومشاوراً غيره.
وقال القتيبي مناظراً مع عشيرته ومفكراً في نفسه[١].

والحقيقة أن الاية دعـوة إلى التجرد من الهـوى والبعد عن المصلحـة والبعد عن الـدوافع والهـواتف التي تتزاحم في النفـوس. دعوة إلى التعـامل مـع الواقـع البسيط لا مع الجدليات الحاقـدة والعبارات المـطاطة، دعـوة إلى البعد عن الخلط واللبس والرؤية المضطربة، دعـوة إلى التجرد من الـرواسب والغواشي المؤثـرات التي تبعد القلب والعقل من مواجهة الحقيقة في بساطتها.

---

(١) فتـح القديـر للشوكـاني ٤/٣٣٤ ط المعـرفـة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ سبأ - ٢٥.

وهذه غاية النصفه والاعتدال والادب في الجدال - أن يقول القرآن على لسان رسول الله ﷺ - للمشركين أن أحدنا لا بد أن يكون على الهدى والاخر لا بد أن يكون على ضلال، ثم يدع القرآن تحديد المهتدي منهما والضال ليثير التفكير والتدبر في هدوء لا يعلوه جدل الكلمات الباطلة أو العناد المهلك، وليفتح القلوب نحو الرجوع إلى الحجة بغير خزى أو جراح من احراج أو غير ذلك.

والجدل على هذا النحو المهذب أقرب إلى لمس القلوب المستكبرة المعاندة التي تأبى التخلي عن التطاول بالجاه والعزة بالاثم، وأقرب وأجدر بأن يذيب الجليد المتراكم على الافئدة فتجنح إلى الاقناع والمنطق والحجة وهو نموذج من الادب يحسن تدبره من الدعاة في دعوتهم وفي مناظرتهم من الأخرين.

٧ - تقيد كل المتناظرين والمتحاورين بالقول الحسن والفعل المهذب البعيد عن التجريح أو السخرية أو الاستهزاء البعيد عن الاحتقار أو الازدراء لوجهة النظر التي يعرضها مناظره ومحاوره.

من ذلك ما أرشدنا إليه الاسلام من قوله تعالى لنبيه عليه السلام في دعوته للمشركين وعبدة الاصنام ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ النحل - ١٢٥.

وقوله تعالى لرسوله وللمؤمنين: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ العنكبوت - ٤٦.

ولا شك أن الجدال بالتي هي أحسن هو من سمات المؤمنين، وهو من

سمات حملة الهداية، فالمسلم كما قال الرسول ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان، ولا الفاحش ولا البذيء» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «ما كان الفحش في شيء إلا شأنه وما كان الحياء في شيء إلا زانه» الترمذي حديث حسن[1].

وعلى هذا فالمسلم مطالب بأن يكون عف اللسان في مجادلته وفي اثباته للحق الذي يؤمن به، ويريد اقناع الناس بحجته، فلا يعرض للسب أو الشتم أو الطعن أو الهمز واللمز والهزء والسخرية والفحش والبذاءة، وقد نهى القرآن عن ذلك وأمر بالبعد عن هذا المسلك حتى مع الذين يدعون إلى غير الله وغير منهجه سبحانه فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الانعام - ١٠٨.

وتوعد الهمازين واللمازين فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزة - ١.

٨ - الالتزام بالطرق المنطقية السليمة في المناظرة والحوار، التي تعتمد على الحجة والمنطق والدليل البين الصحيح وذلك في أمرين.

الأول: تقديم الأدلة المثبتة أو المؤيدة لحجته ودعواه.

الثاني: اثبات صحة النقل وأمانته للامور المنقولة أو المروية.

وهذا يدل عليه قاعدة علماء أدب البحث والمناظرة التي تقول: «إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل».

وقد علمنا القرآن هذه القاعدة الجليلة، وطالب المشركين والمعاندين بالسير

---

(١) الترمذي (١٩٧٥) واحمد باسناد صحيح ٣/١٦٥، ٢٤١، وابن ماجة (٤١٨٥) صحيح.

على منوالها: في كثير من أيـات القرآن الكـريم حتى في اثبات وجـود الله سبحانـه ووجدانيته تعالى الله علواً كبيراً.

قال تعالى في ذلك : ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (النمل ـ ٦٤) .

وقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الانبيـاء ـ ٢٤ .

وقـال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَٰوَٰتِ ائْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ الاحقاف ـ ٤ .

نرى في هذه النصـوص الكريمـة مطالبـة القرآن لهؤلاء المشـركين بـالأدلة والحجج والبراهين على صحة دعواهم ، البـراهين العقليـة ، والنقلية كـما تدل على ذلك الآيات من سورة الأنبياء والأحقاف فلا إقامة لحجة ولا سماع لدعـوة إلا بـالبرهـان والدليـل وإلا كانت تلك الـدعوة لغـو وبهتان ، ثم نـرى القرآن يعـرض للقضايـا الباطلة لأهـل الكتاب ويـطالبهم بالحجـة ، والدليـل كذلـك فيقـول : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ البقرة ـ ١١١ .

فهذه الآية تبـطل حجة اليهـود والنصارى القـائلين بأن الجنـة قد قصـرت عليهم وأن الله قد منع غيرهم من دخولها، وتطالبهم بالدليل على صـدق دعواهم وبالبرهان على صحة زعمهم.

وكـذلك مـطالبة القـرآن لليهود بـاثبـات دعـواهم في تحـريم لحـوم الابـل وألبانها ، بتقديم الدليل على ذلك.

فقال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ آل عمران ـ ٩٣.

ومن هذا نعلم أن الاسلام يحرص على إقامة الحجة وعلى اظهار الدليل في المناظرة حتى يتبين الحق من الباطل والصواب من الخطأ. وهذا هو أسلوب الداعية المؤمن في كل قضية ينبري لها ويدافع عنها.

٩ ـ ألا يكون المناظر مخالف في عمله أو مواقفه أو سيرته، لدعواه التي يحاول أن يثبتها فان كان مناقضاً لها كما بينا كان مناقضاً لنفسه وحاكماً عليها بالرفض والتهافت لقوله تعالى ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقوله ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾.

ومن الامثلة على سقوط المشركين في مناظرتهم مع رسول الله ﷺ بسبب التزامهم بضد دعواهم، حيث قالوا ما حكاه الله عنهم ثم رد عليهم. حين قالوا.

«ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق» مع أنهم يعتقدون برسالة كثير من الرسل، ويؤمنون بكثير من الانبياء، وهم بشر وليسوا بملائكة ولا اجسام روحانية،

ولهذا رد الله عليهم تلك الدعوى بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ الفرقان ـ ٢٠.

١٠ ـ ألا يكون في كلامه أو دعواه تعارض، بمعنى أن كلامه ينقض بعضه بعضاً، فإن كان كذلك كانت حجته ساقطة، ودعواه متهافتة بداهة من ذلك اتهام الانبياء بالسحر والجنون من قبل أقوامهم، وهذان أمران يكادان يكونان متضادين، فمن غير المقبول منطقياً أن يكون الشخص الواحد ذو الصفات

الواحدة متردداً بين كونه ساحر وكونه مجنون، وذلك لأن من شأن الساحر أن يكون كثير الفطنة واسع الحيلة شديد الذكاء، وهذا أمر يتناف مع الجنون تنافياً كلياً فكيف يكون ذلك وكيف يستقيم هذا الكلام أو تقبل تلك الدعوى نرى ذلك فيما حكاه القرآن عن فرعون واتهامه لموسى عليه السلام بالسحر والجنون، فقال ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ الذرايات ـ ٣٨ ـ ٣٩.

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾

الذرايات ٥٢. ومن ذلك افترا المشركين على رسول الله ﷺ واتهامه بالسحر المستمر حين اراهم معجزته في شق القمر الذي اخبر عنها سبحانه بقوله ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ (سورة القمر ـ ١).

فقد ظهر في قولهم هذا التهافت والتعارض، ذلك لأن من شأن السحر أن لا يكون مستمراً ومن طبيعة الامور المستمرة أن لا تكون سحراً، فكيف يكون انشقاق القمر سحر ومستمر، هذا يدل على التعارض في الكلام الذي جاء به الكفار كدليل على ابطال دعوة الرسول ﷺ.

١١ ـ المسلمات البديهية وهي ما لا يتوقف ادراكه على نظر أو كسب وكذلك البديهيات المنطقية وهي القضايا المعترف بها والتي لا تحتاج في تأييدها إلى قضايا ابسط منها مثل ـ انصاف الاشياء المتساوية متساوية يجب التسليم بها من كل من الفريقين، والاصرار على انكارها مكابرة قبيحة ومماراة منحرفة عن أصول المناظرة والمحاورة السليمة لا تدل على اهتمام بطلب الحق أو الوصول إليه، فإذا هدمت هذه المسلمات والبديهيات انعدمت الجدوى من هذه المناظرة والمحاورة.

١٢ - ألا يكون الدليل الذي يقدمه المناظر ترديد لاصل الدعوى، يحتاج هو إلى دليل أو إلى اثبات لصحته فإن كان كذلك لم يكن دليلا، وسقوط هذا في المناظرة أمر بديهي، وقد يخفي هذا على كثير من الناس تحت تغيير الالفاظ والكلمات للخداع والمناورة.

١٣ - عدم الطعن في ادلة المناظر إلا ضمن الاصول المنطقية والقواعد المسلم بها لدى الفريقين المتناظرين.

١٤ - قبول النتائج التي توصل اليها الأدلة القطعية، أو الادلة المرجحة إذا كان الموضوع مما يكفي فيه الدليل الراجح المرجح وإلا كانت المناظرة من العبث الذي لايجدي شيئاً ولاينفع إلا في إضاعة الوقت والعبث والأفكار والعقول والحقيقة، وذلك مثل الزام موسى عليه السلام الحجة لفرعون، عند هزيمة السحرة، وسجودهم لله رب العالمين، ومع هذا كابر فرعون وعاند وجحد الحق وماري فيه.

وكذلك حجة ابراهيم عليه السلام للنمرود، حين قال له « فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر ».

وامثال ذلك في القرآن مع الانبياء والمرسلين الذين الزموا أممهم الحجج البينة ومع هذا، ظلوا في عنادهم ومكابرتهم للحق.

المبحث الثالث

آداب المناظرة وأسسها وأركانها

وضع جماعة من علماء فن أدب البحث والمناظرة جملة من الاداب التي ينبغي مراعاتها محافظة على سلامة المناظرة، وتحقيقاً للغرض منها. نذكر منها ما يلي:-

١ ـ أن لا يكون المناظر في حالة قلق نفسي أو اضطراب، أو في حاجة تفسد عليه مزاجه الفكري والنفسي، كأن يكون مغالباً للنوم أو جائعاً أو حانقاً أو حاقداً أو غير ذلك، وهذه الشروط نفسها نجدها تشترط في القاضي الذي يفترض أن لا يتعرض إليها قبل اصدار الأحكام.

٢ ـ ألا يظن المناظر خصمه حقيراً ضعيفاً قليل الشأن فيتهاون في اعداد الحجة فيكون هذا سبباً في تغلب خصمه عليه، وقد يلجأ بعض المتناظرين إلى هذا خداعاً للخصم.

٣ ـ ألا يظن خصمه أقوى منه بكثير، فينعقد لسانه ويضعف، وقد تكون هذه الدعايات لارهاب الخصم قبل المناظرة.

٤ ـ أن يتجنب المناظر مجادلة ذي هيبة أو سلطان إن كان يخاف على نفسه خوف الضعف والتسليم بغير حجة، أو خوف ضغط الخصوم وتشويش العامة إلا إذا كان يعمل لذلك حسابه، وكان قوياً بالدرجة المطلوبة.

٥ ـ ألا يكون متسرعاً متعجلاً «ففي العجلة الندامة كما يقولون» يريد اسكات خصمه في زمن يسير، فذلك يفسد عليه رويته وتفكيره وربما ينسيه قواعد المناظرة فيفقده اتزانه في الوصول إلى الحق.

٦ ـ أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه، أو الافادة له، ولا يتخذ بعض الضعفاء أو ينتقيهم بغية اظهار الباطل وترويجه، أو بغية اظهار العلم والمعرفة والقدرة .

٧ ـ أن يقصد كل من المتناظرين المساهمة في اظهار الحق ولو على يد خصمه.

٨ ـ أن يتجنب كل من المتناظرين الهزء بالأخر أو السخرية منه، أو كل ما يشير إلى ذلك، أو يحرض عليه.

٩ ـ أن يتجنب كل الاختصار المخل ـ والطول الممل ـ وأن يراعي مقتضى الحال.

١٠ ـ أن يتجنب الالفاظ الغريبة والاصطلاحات غير المفهومة للحاضرين حتى لا يوهم السامع أنه أقدر من خصمه أو اعلم منه أو أقوى حجة، وأن لا يخرج بعيداً عن موضوع المناظرة لأي سبب.

١١ ـ أن ينتظر أحد الخصمين حتى يكمل زميله حجته أو دليله في المسألة فلا يعترض عليه حتى يفرغ منها.

هذا ويجب أن يكون المناظر متسلحاً بالذكاء والفطنة والعلم وقوة البيان وسلامة الفكرة ونبل الهدف، حتى يؤدي هذا إلى الاقناع، وإلى إظهار اشراقة الحق ونور الهداية.

اسس المناظرة واركانها

للمناظرة ركنان أساسيان لا غنى عنها لأي من المتناظرين.

الركن الأول: موضوع أو قضية تجري حولها المناظرة، يراد اثباتها أو نفيها.

الركن الثاني: متحاوران، أو متناظران، أو فريقان يتحاوران حول الموضوع المراد، أحدهما: يكون مدع، أو ناقل خبر، والآخر: معترض عليه، أو ناقض لحجته.

فإن كان الموضوع تعريفاً أو تقسيماً، سمى المعترض عليه (مستدلاً) وسمى صاحب التعريف أو التقسيم (مانعاً).

وإن كـان الموضـوع: يتعلق بقضية منـطقية سـواء أكـانت مصـرح بهـا في الكـلام والحـوار، أو كـانت تفهم من خـلال الكـلام، فـالمعتـرض عليـه يسمى (سائلاً) وصاحب التصديق ومقـدمه يسمى (معللاً) والأصـل أن يكون (المعلل) هو البادىء بالكلام، ثم يوجه (السائل) عليه الاعتراض الذي يريد،

وقد ينعكس الأمر ضمن المناظرة، وذلـك بأن يتحـول السائـل إلى معللاً، فيقدم تصديقا جـديد، ويكـون مقابله الـذي يعترض عليـه سائـلاً، وهكذا كلما تحول السائل إلى مقدم تصـديق والأمر الـذي يجب أن يلتفت إليه أن تكـون تلك الموضوعات التي تجري حولها المناظرة، موضوعات مفيدة يـراد الوصـول إلى الحق فيها لا موضوعات سفسـطائية يـراد بها ضيـاع الوقت أو الهـاء الامة أو النـاس أو المناظر أو المحاور.

فضياع الوقت عندنا من الأمور المحرمة شرعـاً: وصدق رسـول الله ﷺ إذ يقول: «نعمتان معفيون فيهما كثير من الناس، الصلحة والفراغ» البخاري.

من شروط المناظرة

للمناظرة شـروط لا بد من اتبـاعها حتى لا تخـرج عن أطارهـا المطلوب أو تكون مجرد لغو، أو مضيعة للوقت من هذه الشروط:

الشـرط الأول: أن يكون المتنـاظران أو المتحـاوران على معـرفـة بقـوانـين المناظرة وقواعدها، وخاصة حول الموضوع المراد المناظرة فيه.

الشرط الثاني: أن يكون كل من المتناظرين على علم بالموضوع الذي تجري فيه المناظرة، وأن يكون من أرباب هذا العلم ومن العـالمين بـه حتى يمكنه أن يلم بـالموضـوع ويحاور فيـه ويأتي بـالحجج والبـراهين حـولـه، وحتى لا ينـاقشـان في البديهيات فيضيع الفائدة من المناظرة، وحتى يعرف الحجة فيلتزم بها.

الشرط الثالث: أن يكون الموضوع مما تجوز المناقشة فيه، ضمن قواعد هذا الفن وضوابطه.

فالبدهيات الجلية مثلاً لا يجري فيها المناظرة إلى غير ذلك.

الشرط الرابع : أن يتفق المتجادلان أو المتناظران على عرف واحد ، فأما أن يكون الحوار على عرف الفقهاء، أو على عرف النجاة ، أو عرف الفلاسفة . وإذا اتفقا على العرف ، فليس لأحد أن يخرج عن العرف الذي اتفق عليه .

والمحصلة من ذلك أن يكون المراد اظهار وجه الحق، الذي يشترط له أن تكون كل المؤهلات التي تضمن الوصول إليه موجودة، وملتزمة.

الفصل الرابع

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مقدمـــة :

الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر هـو سياج الـدين ، وحارس الشـريعـة ومرشد الأمة ، قال فيه الإمام أبو حامد الغزالي رضوان الله عليه :

«هـو القـطب الأعـظم في الـدين وهـو المهم الـذي أبتعث الله بـه النبيـين أجمعـين ، ولو طـوى بسـاطـه وأهمـل علمـه وعمله لتعـطلت النبـوة واضمحلت الديانـة ، وعمت الفترة وفشت الضـلالة وشـاعت الجهالـة ، واستشرى الفسـاد واتسـع الخرق ، وخـربت البلاد ، وهلك العبـاد ، ولم يشعروا بـالهـلال إلا يـوم التنـاد ، وقد كـان الذي خفنـا أن يكون ، فـإنـا لله وإنـا إليه راجعـون ، إذ قد إندرس من هذا القطع عمله وعلمه وإنمحق بالكلية حقيقته ورسمه فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنهـا مراقبـة الخالق ، واستـرسل النـاس في إتباع الهـوى والشهوات إستـرسال البهـائم ، وعز عـلى بساط الأرض مؤمن صـادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافي هذه الفترة ، وسد هـذه الثلمة إمـا متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائـرة ، ناهضـاً بأعبـائها ، ومتشمراً في أحيائهـا ، كان متـأثراً من بـين الخلق بإحيـاء سنة أفضى الـزمان إلى إماتتها ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها [1]

علاقته بالدعوة :

لا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القـطب الأعظم في الـدين

---

١ ـ احياء علوم الدين ٢/٣٠٦ط المعرفة بيروت .

ولكن هل هو الدعوة ، أو هو جزء منها ، أو هو وسيلة من وسائل الدعوة ، وركن من أركانها .

فالدعوة كما بينا قبل ذلك : هي الرسالة والتعاليم والنظم والقوانين وأسلوب الحياة التي نزلت من عند الله بطريق الوحي على محمد ﷺ ،

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هو الأمر بكل ما يحسن في الشرع قال القارى : ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع على إنكاره الأئمة وأما المختلف فيه فلا إنكار فيه ، لأنه على أحد المذاهب وكل مجتهد مصيب(١)

والدعوة تبلغ الناس كافة ، باللفظ والقول ، أو بالكتابة والقراءة أو بهما معاً .

بالقول في الخطبة والمحاضرة والدرس والمناقشة ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بالدعوة الفردية إلى غير ذلك مما يأتي إن شاء الله ،

وتبلغ كذلك بالكلمة المكتوبة والمقروء ، وبالتربية والتعليم وبالصحافة ، والاعلام والنشر إلى غير ذلك .

وتبلغ كذلك بالقدوة الحسنة ، والسيرة الطيبة ، والنظام الصالح والعمل الكريم والأخوة العامة ، وأسلوب الحياة الأمثل والأكرم والأوفق الذي يحقق إستقرار الفطرة ويرضي تطلعاتها .

وعلى هذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، تأمر الناس وترشدهم إلى ما يجب عمله أو يحسن فعله وتنهاهم عما ينبغي للمسلم أن يبتعد عنه أو يجتنبه من قول أو عمل .

---

١ ـ قواعد الفقه عميد الاحسان المجدوى ص ٤٩٦ ، ٥١١ط الهند . « عن المرقاة شرح المشكاة »

المبحث الاول

أخذ الأجر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قرر بعض الفقهاء ، أن الأصل في كل طاعة يختص بها المسلم لا يجوز الاستئجار عليها ، الإمامة والآذان ، والحج وتعليم القرآن والجهاد والوعظ وهو قول عطاء والضحاك بن قيس وابي حنيفة ومذهب أحمد ،

وحجتهم في ذلك : حديث عثمان بن أبي العاصي قال : أن آخر ما عهد إلى النبي ﷺ أن أتخذ مؤذناً لا يأخذ على آذانه أجراً(١)

وما رواه عبادة بن الصامت قال : «علمت ناساً من أهل الصفة القرآن والكتابة ، فأهدى إلى رجل منهم قوساً . قال : قلت : قوس ، وليس بمال ، أتقلدها في سبيل الله ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : إن سرك أن يقلدك الله قوساً من نار فاقبلها»(٢)

وعن عبد الرحمن بن شبل الأنصاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به »(٣)

وقالوا لأن من شرط صحة هذه الأفعال القربة إلى الله تعالى فلم يجز أخذ الأجر عليها .

وأجاز الامام مالك والشافعي أخذ الأجر على هذه الطاعات وعلى قراءة

---

(١) رواه الترمذي ، وأحمد والنسائي وابو داود ، وقال الترمذي حسن صحيح ـ الترمذي بتحقيق أحمد شاكر ١/٤٣١٠ط الحلبي .

(٢) رواه أحمد وابو داود وابن ماجه سنن بن ماجه تحقيق عبد الباقي ٢/٧٢٩ عون المعبود ٣/٢٧٦

(٣) بواه احمد والطبراني والبيهقي رجاله ثقات واسناده قوي فيض القدير ٢/٦٤ ط مصطفى محمد .

القـرآن وتعليمه وهـو رواية عن أحمـد . وقد وافقهم المتـأخـرون من الفقهـاء من الحنفية وغيرهم ، وهو رأي أبو قـلابة وأبـو ثور وإبن المنـذر ، لأن رسول الله ﷺ زوج رجلاً على مامعه من القرآن» رواه البخاري .

وقد روى عن رسول الله ﷺ في الحـديث الصحيح أنـه قال :«أن أحق مـا أخذتم عليه أجراً كتاب الله» رواه البخاري فتح الباري ١٠/ ١٩٩ط السلفية .

ولأنه لا يكاد يوجد متبرع بذلك .

هـذا وأستحسن المتأخـرون من الحنفيـة الاستئجـار عـلى ذلـك فقـال ابن عـابـدين قـال في الهـدايـة : وبعض مشـايخنـا رحمهم الله تعـالى قـد استحسنـوا الاستئجـار على تعليم القـرآن اليوم لـظهور التـواني في الامـور الـدينيـة ، لأن في الامتناع تضييع لحفظ القرآن وعليه الفتوى وقد عددت كتب الحنفية ما يجوز أخـذ الأجر عليه في هذا الزمان فقالوا ومنها تعليم الفقـه والآذان والأمامـة والوعظ . وذلك لحاجة الأمة إلى ذلك .

وعلى هذا فقد أجمعت المذاهب على ذلك . خاصة إذا كان ذلك المعلم أو الداعية سينقطع إلى هذا العمل ، فإنه يفرض له ما كيفيه ويكفي أسرته ، ويجعله محترماً بين الناس وفي أوساطهم ، لأن تشريف العلماء تشريف للشريعة الإسلامية والمسلمين .

وقد فرض المسلمون لأبي بكر رضى الله عنـه ما يكفيـه وأهله من بيت مال المسلمين حين خلافته لانقطاعه لمصالح المسلمين للامامة، وهذا كان إجماعـاً من غير نكير»[1]

---

١ ـ الشرح الصغير وحاشية الصاوي ٣٤/٤ ونهاية المحتاج ٢٨٩/٥ المغنى ٣٩/٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، وكشف الحقائق ١٥٢/٢ حاشية ابن عابدين ٣٤/٥ .

المبحث الثاني

المحتسب والمتطوع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإذن الإمام

الحسبة : من معانيها في اللغة ، إدخار الأجر عند الله تعالى وإبتغاء الثواب منه سبحانه فيما يقوم به من عمل[1] وفي الحديث «من صام رمضان ايماناً واحتساباً» أي طلباً لوجه الله وثوابه .

وهي في الشرع : الامر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله[2]

وكان هذا منصب يتولاه في الدولة الإسلامية رئيس يشرف على الشؤون العامة من مراقبة الأسعار ، ومراعاة الآداب أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر .

فكان على هذا يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : -

١ - الامام العادل ، وولي المسلمين ، وكذلك أمراؤهم .

٢ - المحتسبون ، الذين كانوا يولون من قبل الامام للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومراقبة أفعال الناس وإرشادهم حتى تكون وفق الشريعة ، ووفق أدابها وأحكامها .

٣ - المتطوعون من العلماء وغيرهم ممن يستطيع ذلك من المسلمين وهم في ذلك يحتسبون عملهم ويريدون وجه الله تعالى ، طلباً للثواب المرجو منها ، وفي حديث عمر : أيها الناس احتسبوا أعمالكم فإن من إحتسب عمله ، كتب له أجر عمله وأجر حسبته .

وهم بذلك ينفذون أوامر الله تعالى وأوامر رسوله : في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3]

(١) لسان العرب والمصباح المنير في المادة

٢ - الاحكام السلطانية للماوردي ص ٢٧٠ ط التوفيقية .

٣ - آل عمران الآية ١٨٧ .

وقوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[1] الخ وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[2]

وقول الرسول ﷺ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان» مسلم والترمذي وأبو ماجه .

إذن فكل هؤلاء يسمون أمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ، من أذن له الامام وعينه في تلك الوظيفة ومن تطوع من المسلمين في ذلك .

الفرق بين المتطوع والمحتسب

والفرق بين المحتسب والمتطوع في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن المحتسب معين من الامام «الدولة» يقوم بوظيفة ، والمتطوع ليس كذلك .

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعين أي فرض عين بالإجماع على المحتسب لأنه عين لذلك ، وخصص له ، وعند المتطوع فرض كفاية عند الجمهور .

٣ ـ المحتسب له أن يعزر في المنكرات الظاهرة لا يتجاوز الحدود وليس للمتطوع ذلك .

٤ ـ له أن يرتزق على حسبته بالإجماع لأنه مكلف بعمل ، والمتطوع ليس له ذلك ، إلا إذا كان هناك ضرورة لذلك ، وقد بينا ذلك في ص من هذا الباب .

---

١ ـ سورة التوبة ص ٧١

٢ ـ سورة النساء الآية ١٣٥ .

٥ ـ أن تتوفر فيه شروط تلك الوظيفة ، وأن تكـون عنده القـدرة والوقت للقيام بذلك الانقطاع .[١]

هل يشترط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذن الامام أو الحاكم

قـال العلماء : ولا يختص الأمـر بـالمعـروف والنهي عن المنكـر بـأصحـاب الولايات ، بل ذلك جائز لأحاد المسلمين ولا يشترط له إذن الامام أو الحاكم .

قـال إمام الحـرمين : والـدليل عليـه إجماع المسلمـين ، فإن غـير الولاة في الصدر الاول ، والعصر الذي يليه كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مـع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم عـلى التشاغـل بالأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر من غير ولاية إذن من الامام[٢]

قال الامام أبـو حامـد الغزالي رضى الله عنـه في ذلك : واستمـرار عادات السلف عـلى الحسبة عـلى الولاة أي أمـرهم بالمعـروف ونهيهـم عن المنكر قـاطـع بإجماعهم على الإستغناء عن التفويض أو الأذن في ذلك ، بل كل من أمر بمعروف فـإن كان الـوالي راضياً بـه فذاك ، وأن كـان ساخـطاً له فسخـطه له منكـر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه في الإنكار عليه ويـدل على ذلـك عادة السلف وما روى عنهم في الإنكار على الائمة»[٣]

روى الاصمعي قال : دخل عطاء بن أبي رباح عـلى عبد الملك بن مـروان

---

(١) من أراد التوسع فعليه بكتب الفقه والمطولات ، مثل الأحكـام السلطانية للمـاوردي ص ٢٧٠ ، وغيرها من الكتب مثل الاحكام السلطانية لأبي يعلى .

(٢) انظر مسلم بشرح النووي ٢/ ٢٣ طـ المطبعة المصرية ومكتبتها الأحكـام السلطانية للمـاوردي ص ٨٤ ، منـح الجليل عـلى مختصر خليس لعليش ص ١/ ٧١٠ طـ ليبيـا ، شرح الـروط ٤/ ١٨٠طـ المكتب الإسلامي .

(٣) احياء علوم الدين ٢/ ٣١٥ طـ دار المعرفة بيروت لبنان .

وهو جالس على سريره وحوله الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجة في خلافته ـ فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له : يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين إتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة ، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم . واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم . فقال له : أجل أفعل ، ثم نهض وقام . فقبض عبد الملك عليه ، وقال : يا أبا محمد إنما سألتنا عن حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال : مالي إلى مخلوق حاجة ، ثم خرج .

فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف !!

وحكى أن حطيطاً الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال : أنت حطيط ؟ قال/ نعم ، سل عما بدا لك ، فإني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال : إن سئلت لأصدقن ، وإن ابتليت لاصبرن ، وإن عوفيت لاشكرن ، قال فما تقول فيّ ؟

قال : أقول أنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة .

قال : فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟

قال : أقول أنه أعظم جرماً منك ، وإنما أنت خطيئة من خطاياه .

فقال الحجاج : ضعوا عليه العذاب ، فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً . فقيل للحجاج أنه في آخر رمق ، فقال : اخرجوه فارموا به في السوق . قال جعفر : فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له :

حطيط ألك حاجة ؟ قال : شربة ماء فأتوه بها ثم مات . وكان ابن ثمان عشرة سنة »[1]

قال أنس بن مالك : قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال عليه السلام «إذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في أرذالكم»[2]

المبحث الثالث

شروط وأركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : هو إصلاح وتقويم وتربية حسب تعاليم ووفق رسالة ، يحتاج إلى معرفة ودراية وبحث ونظر وتمييز، كما يحتاج من الداعي أو الأمر إلى فهم وذكاء وفطنة وصبر وحيلة .

قال امام الحرمين الجويني : إذا وجد الإمام من يميل إلى الحق أشخص إليه من علماء المسلمين دعاة ، وينبغي أن يتخذ لذلك ، فطناً لبيباً ، بارعاً أريباً ، مهتدياً ، أديباً ، ينطبق على عرفانه بيانة ويطاوعه فيما يحاول لسانه ذا عبارة رشيقة ، مشعرة بالحقيقة ، وألفاظ رقيقة مترقية من الركاكة ، منحطة عن التعمق وشوارد الألفاظ مطبقة ، مفصل المعنى من غير قصور ولا إزدياد ، وينبغي أن يكون مهتدياً إلى التدرج إلى مسالك الدعوة رفيقاً ، ملياً ، شفيقاً ، خراجاً ولاجاً ، جدلاً ، محجاجاً ، عطوفاً ، رحيماً ، رؤوفاً ، لا يحب التطرق إلى مسالك النجاح بذوي النجدة والفلاح »[3]

ولهذا قال العلماء : أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة :

---

(١) احياء علوم الدين ٢/٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه بإسناد جيد .

(٣) غياث الأمم للجويني ١/١٤٤ ط دار الدعوة ، مسلم بشرح النووي ٢/٢١ط المطبعة المضرية .

١ ـ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

٢ ـ المنكر الذي يجب على الأمر إزالته

٣ ـ المقترف لهذا المنكر ، الذي يؤمر بتركه

٤ ـ مراتبه ودرجاته وأدابه ، وطرقه

الركن الأول : الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر :

يشترط فيه شروط :

أولها : أن يكون مكلفاً ، لأن غير المكلف لا يجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفاقد التكليف أحد اثنين : أما أن يكون فاقد العقل كالمجنون ، والكافر ، والعاجز وهذا ليس محليه أمر أو نهي حيث أعفاه الشرع ، لعجزه ، أو لأنه غير مخاطب بفروع الشريعة على رأي من قال بذلك ، وأما أن يكون صبياً مميزاً دون البلوغ : فهذا يصح منه الفعل ويجوز أن يؤديه ، وإن لم يكن مكلفاً ، ولكنه لا يجب عليه . فله إنكار المنكر وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهي ، ويأخذ على هذا ثوابه ، لأن هذه من القربات وهو من أهلها ، ويجوز أداؤها منه كالصلاة والحج والصدقة ، وسائر القربات التي تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وسلب سلاحه . ويصح أن يقال : أنه مأمور من الشارع أمر ندب لا أمر وجوب مثاب عليه ، وكذلك يوجد في حقه خطاب الاباحة والكراهة .

ثانياً : الايمان ، لأن هذا الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر يكون على شريعة الإسلام يقصد به نصرتها ، وإقامة حدودها وسيادة مبادئها على غيرها ، فكيف يتصور ذلك من كافر معارض لها ، غير مؤمن بها ومقتنع بمبادئها ، وكيف يعمل على نشر الرسالة وهو عدو لها مناهض لتعاليمها حاقد على امتها .

ثالثاً : العدالة والالتزام بما يقول، فمن ينهى عن أمر وهو مقيم عليه فاعل له ، لقول الله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ ولقول الرسول ﷺ :

«مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت من أنتم ؟ فقالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهي عن الشر ونأتيه» أخرجه أحمد وابن حيان حديث حسن .

ولقوله ﷺ : «يجاء بالرجل يوم القيامه، فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار ، فيدور بها كما يدور الحمار برجاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان : ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت أمركم بالمعروف ولا أتيه وأنهاكم عن المنكر وأتيه»[1]

قال الضحاك بن مزاحك : العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلى الله لقوله تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ فاطر - ١٠ فإذا كان كلام طيب وعمل سيء رد القول على العمل .[2]

ومن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ، وتقويم الغير أول ما يكون بالقدوة الحسنة ، والاستقامة .

وقال بعض العلماء ، لا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهي عنه ، بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به ، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهي عنه فإنه يجب عليه شيئان أن يأمر نفسه وينهاها ، ويأمر غيره وينهاه ، فإذا أخل بأحدهما ، كيف يباح له الاخلال بآخر ،[3] ثم هل هناك معصوم من الخطأ ، فإن شرط ذلك كان خرقاً للإجماع ، وسداً لباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولهذا قال سعيد ، إذا لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون

---

١ - البخاري ٢٣٨/٦ في باب الخلق وفي الفتن ، ومسلم رقم «٢٩٨٩» في الزهد باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله .

٢ - شرح السنة للبغوي ١٤/ظد؟ طـ دار بدر

٣ - النووي على مسلم ٢٣/٢ المصرية ومكتبتها ، علوم إحياء الدين ٣١٣/٢ طـ المعرفة .

فيه شيء ، لم يأمر أحد بشيء ، فأعجب مالك رضى الله عنه ذلك من سعيد بن جبير .

ونقول : لا شك أن إقتراف الذنوب وفعل المعاصي والمنكرات أمر معيب تنفر منه النفوس والطباع ، خاصة إذا كان ممن يقوم بدعوة الناس وإرشادهم ويزيد من هذا النفور والعيب إذا كان ينهي عن الذنب الذي يفعله ، ويأمر بنفس الخير وهو بعيد عنه ، أو كان الذنب الذي يأتيه كبيرة من الكبائر ، أو أمر عرف عنه وافتضح فيه بين قومه وذويه أو كان ظاهر الفسق مجاهراً بالمعصية ، لا شك أن هذا يؤثر في موعظته ويكون دافعاً قوياً في منع قبول عظته وكلامه ، ويوقف الاستجابة له والالتفات إلى دعوته ، خاصة إذا كان ممن يغيرون بالكلمة لا باليد أما إذا كان ممن يقترف الصغائر غير المشتهرة ويحاول أن يتوب منها ويندم عليها أو كان ممن لا يغير بالكلمة بل كان ممن يملكون التغيير باليد فهذا لا بأس بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وينبغي أن لا يقعده ذلك عن هذا الأمر الجليل و«كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» اخرجه الترمذي رقم ٢٥٠١ وابن ماجه في الزهد والتوبة رقم ٤٢٥١ واسناده صحيح .

قال الغزالي «الحسبة تارة تكون بالنهي والوعظ ، وتارة بالقهر» كالتغيير باليد ولا ينجح وعظ من لا يتعظ أولاً : ونحن نقول : من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه ، فليس عليه الحسبة والوعظ ، إذ لا فائدة من وعظه ، فالفسق يؤثر في إسقاط كلامه فيكون لا فائدة فيه ، ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام ، فإما إذا كانت الحسبة بالمنع فإن ذلك وإن كان معيباً ولكنه لا يخرج الفعل عن كونه حقاً يمنع وقوع المعصية ، فخرج هذا إن الفاسق ليس عليه حسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يتعظ به ، وإذا لم يكن عليه

---

١ ـ احياء علوم الدين ٢/٣١٤ط المعرفة ـ فتح الجليل للعليس ١/١٠ ط ليبيا .

ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول : ليس له ذلك وصارت العدالة مشروطة فيه : وإما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك . فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرهما إذا قدر على ذلك وهذا غاية الانصاف والكشف في المسألة .

الرابع : الاستطاعة والقدرة ، حيث لايخفى أن العاجز ليس عليه حسبة إلا بقلبه ، إذا كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها ، قال إبن مسعود رضى الله عنه : جاهدوا الكفار بايديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا .

لقول الرسول ﷺ : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان» أخرجه مسلم ٢ / ٣٠ .

فعلم ذلك أن الاستطاعة شرط في الوجوب ، ولا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي، بل يلتحق به من يخاف عليه مكروهاً يناله فذلك في معنى العجز وكذلك إذا لم يخف مكروهاً ولكن علم أن أنكاره لا ينفع ، فليلتفت إذن إلى معنيين ، الأول بأن يعلم ويتأكد أن كلامه لا ينفع والثاني أن يخشى ويخاف مكروهاً .

فأما الأول: وهو أن كلامه لاينفع، كأن كان في بلاد كافرة تدعو إلى الأباحية مثلاً ووجد في تلك البلاد من يقبل امرأة في الطريق العام . فإنه إن وعظه فإن كلامه لا ينفع معه ، ويكون قد تعدى بذلك على حريتهم وعلى قانونهم ويستحق بوعظه هذا العقوبة والزجر والاهانة فلايجب عليه الموعظة أو المنع والتعرض في هذه الحالة ، ولكنه إن وجد إلى ذلك سبيلا فوجد من يسمع ولا يناله بوعظه ضرراً ، أو لا يكون قد تعدى عليهم بمنطقهم ، ويقصد بذلك إظهار شعائر الإسلام ومبادئه فلا بأس إذا كانت الطريقة حكيمة . كأن

يستدعي إلى إلقاء محاضرة في تلك البلاد فيعرض بتلك الخبائث وضررها على الناس وعلى المجتمعات ، وكأن تطلب منه صحيفة ، من صحفهم مقال عن رأيه في الحالة الإجتماعية في بلادهم . أو يكون هناك حوار سليم بين أحد هؤلاء في جلسة هادئة إلى غير ذلك فيظهر جمال شعائر الإسلام ، وخطأ ما هم عليه من بهيمية ، وأما إذا كان هذا الكافر في ديار المسلمين فإنه في هذه الحالة يجب أن يؤمر وينهى لحق الله ، وحق المسلمين في ديارهم .

وفي هذا يقول الإمام الغزالي في إحيائه . إذا علم المنكر أنه لا يفيد إنكاره ، وخاف كذلك مكروهاً فإنه لا يجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أما إذا علم أنه لا يفيد إنكاره ولا يخاف على نفسه مكروهاً . فإنه يندب الأمر بالمعروف ولا يجب عليه ، أي يستحب لاظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس به ٢ / ٣١٩ قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ التغابن -١٦ وقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة - ٢٨٦ .

الثانية : أن يعلم أنه بكلامه ووعظه وعمله سيغير المنكر ويبطله ولكنه سيصيبه مكروه فهذا يستحب له وليس بواجب ، على تفصيل سيأتي في درجة هذا المكروه ونوعه وعمومه أو خصومه لقوله ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه » .

درجات المكروه وحكمها

الدرجة الأولى :

أن يصل المكروه إلى الموت ، فهذا إذا كان دفاعاً عن الاسلام وعن دعوته وكان صداً للمشركين وابعادا لخطرهم . فهذا واجب لازم ، كالجهاد في سبيل الله تعالى وهذا داخل في قوله تعالى ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ

وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ سورة التوبة ـ ٤١ .

وداخل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ سورة التوبة ـ ١١١ .

ويكون من هذا الباب مقاومة اعداء الاسلام في الداخل والخارج إذا كانوا يريدون القضاء على الاسلام ودياره، وتسليم البلاد للأعداء.

الدرجة الثانية

إذا كان المنكر في فروع الدين أو في المظالم بين الناس، لاحقاق حق، أو كان يأمر واليا مثلاً، أو حاكماً بالعدل أو يرد المظالم، فيقتله، ولكنه بأمره هذا سيمنعه على المظلمة أو يلفته إلى احقاق الحق، أو علم أنه لا يؤثر ولكنه يعلي بهذا الأمر صوت الحق ويكون مثلاً للمجاهدين في سبيله، المحتسبين للاجر عند الله تعالى.

فإنه يندب له ذلك، ولا يجب عليه، ويستحب منه لقوله ﷺ «افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»(١).

وقوله عليه السلام: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»(٢) ويجوز له أن يأخذ بالرخصة وينكر بقلبه وقد أخذ بها هارون عليه السلام، لما تركه موسى عليه السلام مع بني اسرائيل فعبدوا العجل فنهاهم هارون فلم ينتهوا وزجروه وهموا به فخاف القتل فسكت: قال تعالى يبين ذلك:
﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ

---

(١) ابو داود والترمذي والنسائي باسناد صحيح.
(٢) الترمذي والحاكم، وقال: صحيح الاسناد.

ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾

الاعراف ١٤٩ ـ ١٥١ .

الدرجة الثالثة

إذا كان المنكر في الفروع كسابقة في الدرجة الثانية، وعلم أنه لا يؤثر في تغيير المنكر، ولا يفيد في ازالته، ويضر نفسه ويضر غيره، كأن علم أنه يضر معه غيره من أصحابه وأقاربه أو رفقائه فقد صرح الفقهاء بأنه لا تجوز له الحسبة أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل تحرم عليه لأنه عجز عن دفع المنكر، وأفضى به ذلك إلى منكر أخر، وليس ذلك من القدرة في شيء[1] بل كيف يفعل ذلك وهو يعلم مسبقاً أن ذلك لا يجدي، وسيضر نفسه وغيره، ولم لا يبحث عن خطة أخرى أو اسلوب أخر حتى يحافظ على نفسه وعلى غيره ويكون من أصحاب العقول التي تحتال لدينها وتدبر لأمرها ويطرد عنه الغباء والجهل.

ويكون من هذا الباب، من ليس عنده قدره على دفع العدو، أو لا يكون عنده ما يؤهله لدفع الشر وهو يعلم ذلك، ثم بعد ذلك، يقوم على عمل يهلك به نفسه، ويضر به دينه، ويكشف به ستره، ويفضح فيه اسرار المسلمين العاملين المجاهدين.

الدرجة الرابعة:

إذا علم أنه سيؤثر، ولكنه يضر نفسه أو غيره ضرراً لا يفضى إلى الموت، ولكن إلى الايذاء، أو الحبس أو ضياع المال، فإن كان الضرر كبيراً جداً بحيث أنه يضر به ضرراً بالغاً.

فإن كان هذا في سبيل الاصول، كأن يدعو الداعي إلى تنفيذ شرع الله في الأرض أو الحكم بكتابه، أو إقامة مجتمعه أو رد الهجمة الحاقدة على دينه.

---

(١) انظر في ذلك احياء علوم الدين ٢ / ٣٢٠ ط دار المعرفة.

فلا يسقط عنه الوجوب بل يتحمل ويصبر ويحتسب وإلا كان من المخلفين. وإن كان في سبيل الفروع كلبس الحرير، أو التختم بالـذهب، فإنـه لا يجب عليه بل يندب ويستحسن فقط.

ويدخل في هذا، الضرب المؤلم كما قال العلماء، والاهـانة البـالغة إذا كـان ممن تؤثر فيه هذه الاهانة، كأن يطاف به في الأسواق للتشهير، أو يفضـح ويفتري عليه، بشيء يضر بعائلته وولده وسمعته لأن المروءة مأمـور بحفظهـا في الشرع، وهذا مؤلم للقلب عند بعض الناس، وقد يفضي ببعض النـاس إلى الموت غـماً أو كمداً. فهؤلاء يندب لهم ولا يجب عليهم.

أما إذا أدى ذلك إلى لوم الفسقة أو أدى إلى ضـرر غير بـالغ في المـال أو النفس كأن خاف مثلاً من وعظه لـذي منصب أو جاه، أن يمنـع عنه تـرقية أو ينقصه من المال، أو ينقده في صحيفة، وكتركة الحسبـة على استـاذه خوفـاً من رسوبه أو تقليل درجاته. فهذا ليس ممـا يسقط وجوب الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر، لأن هذه زيـادات امتنعت وايذاء يمكن تحمله وتعـويضه ومقـاومته ولو أخذ به لأمتنع النصح والوقوف أمام الباطل.

ويأتي عدم الاستطاعة هذه من كبت الحريات وعدم افساح المجال لسمـاع الأراء المخلصة وعدم الأخذ باحكام الشريعة واطلاق الايدي في البلاد الاسلامية لبعض الناس يفعلون كما يشاءون، وتعليق مصائـر الناس بـأيدي لا تخـاف الله، ولا تـرعي في الناس إلا ولا ذمـة وعدم وجـود قـوانـين واضحـة تحفظ الحـريـات وتصون الحقوق والواجبات فتعودت المجتمعات على السلبية وعدم مناصـرة الحق وإشـاعـة الخـوف والـرهبـة وادى ذلـك إلى استعمـــال العصـا الغليظ في القهـــر والاخضاع.

وقـد كان الأمـر عند المسلمـين يخالف مـا عليه النـاس اليوم ـ اخـرج ابن

راهوية عن الحسن أن عمر بن الخطاب رد على أبي بن كعب رضي الله عنهما قراءة آية فقال أبي: لقد سمعتها من رسول الله ﷺ وأنت يلهيك يا عمر الصفق بالبقيع. فقال عمر رضي الله عنه: صدقت إنما أردت أن اجربكم هل منكم من يقول الحق؟ فلا خير في أمير لا يقال عنده الحق ولا يقوله»(١).

وأخرج الحاكم جـ ٣ ص ٤٤٢ عن الحسن قال: بعث زياد الحكم بن عمرو الغفاري على خراسان فأصابوا غنائم كثيرة فكتب إليه زياد: أما بعد فإن أمير المؤمنين كتب أن يصطفى له البيضاء والصفراء، ولا تقسم بين المسلمين ذهباً ولا فضة، فكتب إليه الحكم: أما بعد: فإنك تذكر كتاب أمير المؤمنين وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين وإني اقسم بالله لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد فاتقى الله لجعل له من بينهم مخرجاً والسلام، وأمر الحكم منادياً فنادى أن اغذوا على فيئكم فقسمه بينهم، وقال الحكم اللهم إن كان لي عندك خيراً فاقبضنى اليك فمات بخراسان بمرو»(٢).

الركن الثاني للامر بالمعروف والنهي عن المنكر

المنكر الذي يجب على المسلم ازالته: وهو ما تحقق فيه اربعة شروط:

الاول: أن يكون منكراً،

الثاني: أن يكون موجوداً في الحال.

الثالث: أن يكون ظاهرا بغير تجسس.

الرابع: كونه معلوماً بغير اجتهاد.

الشرط الاول

أن يكون منكراً يحذره الشرع ويحذر من الوقوع فيه سواء كان صغير أو

(١) كنز العمال ٢/٧٠ حياة الصحابة ٢/٢٠٠ لمحمد يوسف الكندهلوي.

(٢) انظر الاصابة ١/٣١٦ الحاكم ٣/٤٤٢.

كبيرة فلفظ المنكر يشمل الصغيرة والكبيـرة ويشمل كـذلك كـل معصية بصـرف النظر عن كون مـرتكبها مكلفا أم لا، إذ من رأى صبيـاً أو مجنونـاً يشرب الخمـر فعليه أن يمنعه، وكذلك لو رأى مجنوناً يزني بمجنـونه أو بهيمـة فعليه أن يمنـع ذلك الفعل.

ويكون من ذلك نصح الأولاد الصغار عنـد تناول المحـرمات ومنعهم منهـا فإن ذلك يؤثر على سلوكهم في المستقبل وعلى حيـاتهم في المجتمع والاسـرة، فمن شب على شيء شاب عليه، وإن كان ذلك واجباً على الامرين بالمعروف فهـو على اولياء الامور أوجب وعلى المعلمين الزم.

فـالحفاظ عـلى شعور المجتمع ونظافتـه وشعــور المسلم ينبغي لكـل مسلم المحافظة عليه وصيانته.

الشرط الثاني

أن يكون المنكر موجوداً في الحـال. أي أن يراه المحتسب ويكـون العاصي مقيماً عليه، فإن كان غير موجود في الحال ولكن علم الآمر بالمعـروف والناهي عن المنكـر أن الفاسق عـزم على الشـرب في ليلتـه هـذه، فهـو يعـد الكؤوس ويـزين المجلس ويأتي بما يؤكل على هذا الخمر وقرينة الحال عنده تؤكـد اقدامـه على هـذا المنكر. فلا حسبه لهذا الشخص إلا بـالوعظ فقط، وإن انكـر عزمـه عليه لم يجـز وعظه أيضاً فإن اساءة الظن محظورة، وستره واجب.

أما إذا عرف من شخص إلفه على المعصية وعدم مبالاته بفعلهـا وقد أقـدم على السبب المؤدي إليها ولم يبق لحصول ذلك إلا الانتـظار للوقت وذلك كـوقوف الأحداث على الأبواب العامة لمعاكسة النساء والتقاط الساقطات والنظر إليهن في الدخول والخروج، أو ذهاب الفسقة إلى الحدائق العامة لمضايقة النسـاء وشغلهن

واحداث الهرج والمرج. فإنهم يؤمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالكلمة والنصيحة ثم بالتعنيف فإن لم ينتهوا فبالتغزير.

فإذا كان العاصي قد تاب ورجع إلى الله، أو كان له ماضي قد عصى الله فيه ثم أقلع فلا ينبغي تذكيره أو تعنيفه، ولا يجوز وعظه أو التقليل من قيمته حيث قد بدل الله سيئاتهم حسنات، وقد غفر الله لهم. مصداقاً لقول الله تعالى ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الزمر - ٥٣.

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الفرقان - ٧٠.

الشرط الثالث

أن يكون المنكر ظاهراً بغير تجسس، يراه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أو يظهر له. فكل من ستر معصيته في داره واغلق عليه بابه لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تبارك وتعالى عن ذلك، فقال سبحانه ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم ﴾ الحجرات ١٢.

وقال ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخواناً»[1] رواه البخاري ومسلم.

وقد قال العلماء يستثنى من النهي عن التجسس ما لو تعين طريقاً إلى انقاذ نفس من الهلاك مثلاً، كأن يخبر ثقة بأن فلاناً خلا بشخص ليقتله ظلماً، أو بامرأة ليزني بها، فيشرع في هذه الصورة التجسس والبحث حذراً من فوات

---

(١) التجسس طلب الخبر للغير، التحسس طلبه لنفسك وقد روى الحديث البخاري في الادب باب ما ينهي عن التحاسد والتباغض، ومسلم برقم ٢٥٥٩ في البر والصلة.

استدراكه»[1] وكذلك في كل أمر عظيم وضرورة قاهرة، أما عدا ذلك فلا يجوز.

وقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يعس ومعه عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، فقصد ضوءاً حتى دخل داراً فإذا بسراج في بيت فدخل وذلك في جوف الليل فإذا شيخ جالس وبين يديه شراب وقينة تغنيه، فلم يشعر حتى هجم عليه عمر، فقال عمر: ما رأيت كالليلة منظراً أقبح من شيخ ينتظر أجله، فرفع رأسه إليه، فقال: بلى يا أمير المؤمنين: ما صنعت أنت أقبح أتجسست وقد نهى عن التجسس، ودخلت بغير اذن؟ فقال عمر: صدقت. ثم خرج عاضاً على ثوبه يبكي وقال ثكلتك أنك يا عمر، إن لم يغفر لك ربك. تجد هذا كان يستخفي به من أهله فيقول الآن رأني عمر فيتتابع فيه وكان الشيخ يحضر مجلس عمر فهجره بعد ذلك حينا، فبينا عمر بعد ذلك جالس إذ به، - أي الشيخ قد جاء شبه المستخفي حتى جلس في اخريات الناس فرأه عمر فقال: علي بهذا الشيخ فأتى، فقيل له: اجب، فقام وهو يرى أن عمر سيسوءه بما رأي منه - فقال عمر: ادن مني، فما زال يدنيه حتى اجلسه بجنبه، فقال ادن مني اذنك، فالتقدم أذنه فقال: أما والذي بعث محمداً بالحق رسولاً ما أخبرت أحداً من الناس بما رأيت منك ولا ابن مسعود فإنه كان معي فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ادن مني اذنك، فالتقم اذنه فقال: ولا والذي بعث محمداً بالحق ما عدت إليه حتى جلست مجلسي هذا، فرفع عمر صوته يكبر فما يدري الناس من أي شيء يكبر[2].

قال تعالى ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النور ٢٧.

---

(١) انظر في ذلك فتح الباري ٤٨٢/١٠ وهو رأي النووي والماوردي في الأحكام السلطانية ص ٢٨٣ ط التوفيقية.

(٢) كنز العمال ١٤١/٢ حياة الصحابة ٧٢٨/٢.

حد الظهور وحد الستر

اعلم أن من أغلق بابه وتستر بحيطان داره، فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لضبط معصيته. إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار، كأصوات المزامير والطبول والاوتار، إذا ارتفعت بحيث جاوزت حيطان الدار، فمن سمع ذلك فله الانكار، وكذلك إذا ارتفعت اصوات السكارى أو المغنيين بالكلمات المألوفة من السكارى، أو المذهبة للمروؤة والمحرضة على الفتنة والمعصية من المغنيين، فإن ذلك يوجب الانكار، وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا أن نستر ماستر الله وننكر على من يفضح نفسه ويبدي لنا صفحته والابداء له درجات، فتارة يبدو بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة باللمس، ولا يمكن أن يخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم، وهذه الحواس تفيد العلم»[1] ولكن يشترط التحري والتأكد.

الشرط الرابع

أن يكون المنكر معلوماً بغير اجتهاد فكل ما هو محل اجتهاد بين العلماء فلا أمر فيه بمعروف ولا نهي فيه عن المنكر وهذا الاجتهاد بين العلماء قد يكون مرجعه إلى احكام مصادرها نصوص ظنية الدلالة على أحكامها، وهذه فيها مجال للاجتهاد، لكن في حدود تفهم النص، ولا يخرج عن دائرته، وفي نطاق المجتهدين الذين يملكون أسباب الاجتهاد المعروفة، فمثلاً قوله تعالى في آية الوضوء ﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ ﴾ يحتمل في الآية أن تكون الباء للالصاق، فيكون المفروض مسح الرأس كله وأن تكون الباء للتبغيض، فيكون المفروض مسح بعض الرأس لا كله، وقوله عليه السلام «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» يحتمل أن يكون المراد بالتفرق تفرق الابدان فيثبت خيار المجلس، وأن يكون المراد التفرق بالأقوال، أي الايجاب والقبول، فلا يثبت خيار المجلس.

---

(١) انظر احياء علوم الدين ٢ / ٣٢٥ والاحكام السلطانية للماوردي.

وقد يكون الاجتهاد لا عن نص، ولكن بتطبيق قواعد الشرع الكلية فيكون بذل الجهد للتوصل إلى الحكم فيما لا نص فيه بالقياس أو الاستحسان أو الاستصلاح أو غير ذلك من الوسائل التي ارشد الشرع إليها للاستنباط فيما لا نص فيه، بالقياس مثلاً وهو أول طرق الاستنباط أساسه تعليل حكم النص ومدار تعليل حكم النص على ادراك المصلحة التي شرع لاجلها الحكم والوصف الذي بنى عليه باعتبار أنه مظنة هذه المصلحة وتقدير المصالح ومظانها مما يختلف فيه العقول ومما يتأثر فيه بالبيئة والمجتمعات، فابو حنيفة مثلاً. يقدر أن المصلحة في ثبوت الولاية على تزويج الصغيرة هي دفع الضرر عن القاصر عقلها ومظنة هذا الصغر، ولهذا يقيس على البكر الصغيرة الثيب الصغيرة، والشافعي يقدر أن المصلحة في ثبوت ولاية التزويج هذه البكارة، ولهذا يقيس على البكر الصغيرة البكر الكبيرة ولهذا قال العلماء لا انكار في المختلف فيه لأنه على احمد المذهبين كل مجتهد مصيب، وعلى المذهب الأخر المصيب واحد والمخطىء غير متعين لنا، والاثم مرفوع عنه.

لكن يمكن أن يرشد الانسان أخاه بالدليل في مودة واخاء إلى الخروج من منطقة الخلاف إلى منطقة الاتفاق بين العلماء وهو مندوب إليه على جهة النصيحة، بشرط أن لا يؤدي هذا إلى الوقوع في خلاف آخر أو قدح أو تشهير أو شيء مما يؤذي المسلمين.

وهذا كله في غير الأراء الشاردة، أو الاراء الضعيفة المتهافتة التي تتخذ ذريعة إلى محظور متفق عليه، كبعض الأنكحة التي تتخذ ذريعة إلى استباحة الزنا، وإلى غير ذلك من الامور التي تؤدي إلى إشاعة البدع والخرافات[1].

(١) انظر في ذلك، مسلم بشرح النووي ٣٢/٢ ط المطبعة المصرية، وشرح روض الطالب لزكريا الانصاري ١٨٠/٤ ط المكتب الاسلامي، الاحكام السلطانية للماوردي ض ٢٨٤ ط المكتبة التوفيقية، واحياء علوم الدين للغزالي ٣٢٧/٢. ط المعرفة، منح الجليل على مختصر الخليل ٧١٠/١ ط ليبياً.

الركن الثالث للامر بالمعروف والنهي عن المنكر

المقترف للمنكر، أي المأمور بالمعروف المنهي عن المنكر، وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع في حقه منكراً.

قال الغزالي: «وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون انساناً، ولا يشترط كونه مكلفاً، إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإن كان قبل البلوغ، ولا يشترط كونه مميزاً، إذ بينا أن المجنون لو كان يزني بمجنونة، أو يأتي بهيمة منعه منه. نعم من الأفعال ما لا يكون منكراً في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره، ولكنا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل، فإن ذلك أيضاً مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح.

وغرضنا الاشارة إلى الصفة التي بها يتهيأ توجه أصل الانكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفصيل»(١)

ومما ينبغي أن يعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو منع عن منكر لحق الله تعالى، صيانةللممنوععن مقارنة المنكر، ومنع الصبي عن شرب الخمر، ومنع المجنون عن الزنا، هو لحق الله، وصيانة شعور المسلمين.

إذا فالأمر بالمعروف والناهي عن المنكر يمنع كل انسان مكلفاً كان أو غير مكلف عن مقارنة الإثم ، هذه واحدة.

أما الثانية: فله كذلك أن يمنع كل ضرر يحيط بالمسلم وبماله ومتاعه صيانة لحق المسلم من الضياع، لقوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربه فرج الله

---

(١) احياء علوم الدين ٢/٣٢٧ ط المعرفة.

عنه بها كربة من كرب يوم القيامة «رواه ابو داود والترمذي حسن صحيح، كما رواه البخاري ومسلم.

وقول الرسول ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً» البخاري ٥/٧٢ ومسلم ٢٥٨٥، يرى المسلم إنساناً يتلف زرع غيره، فله منعه من ذلك وكأن يجد بهيمة تتلف زرع انسان فله منعها لحفظ مال المسلم حتى لا يتعرض للضياع لأن هذا واجب على المسلم تجاه أخيه المسلم ما دام لا يلحقه ضرر أو تعب، فمال أخيه كماله ومصلحته كمصلحته والمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر لحديث رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عصو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه[1].

الركن الرابع : كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

درجاته وآدابه

أول هذه الدرجات ـ التعرف على المنكر، ونقصد أن يعرف الداعية المنكر ماهو، ملابساته وأحواله، إما بنفسه أو بإخبار ثقات عدول ومعنى هذا، أنه يتحرى في المعرفة، ولا يستمع إلى الاشاعات أو يأخذ الأخبار من المصادر غير الموثقة، أو من عدو، أو صاحب مصلحة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يا يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾[2]

ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا

(١) البخاري ١٠/٣٦٧، م و ٣٦١٥ أحمد ٤/٥٣٩٧، ٤٠٠.
(٢) الحجرات الآية ٦.

﴿يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١)

ويجب أن يكون التحري بالطرق المعروفة شرعاً ، وبغير تجسس أو فضح للبيوت أو هتك للحرمات ، صيانة لكرامة المسلم ومنزلتة ، التي كفلها الله له وقد حثنا الإسلام عليها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾(٢)

الدرجة الثانية

التعريف والتعليم إذ قد يقدم الانسان على فعل المنكر لجهله بهذا المنكر وعدم معرفته بالحكم الصحيح ، وفي هذا يقول العلماء : «فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله ، وإذا عرف أنه منكر تركه كالعاصي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود ، فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ، ولو رضى بأن لا يكون مصلياً لترك أصل الصلاة ، فيجب تعريفه باللطف من غير عنف لأنه إذا كان ضمن التعريفة نسبته إلى الجهل والحمق يكون إيذاء وقلما يرضى الانسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لا سيما بالشرع ، ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب، إذا نبه إلى الخطأ والجهل؟ وكيف يجتهد في مجاهدة الحق بعد معرفته خيفة أن تنكشف عورة جهله، والطباع أحرصعلى ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهل قبح في صروة النفس ، وسواد في وجهه ، وصاحبه يلام عليه، وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن ، والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن .

---

(١) آل عمران الآية ١١٨

(٢) سورة الحجرات الآية ١٢ .

ثم هو غير ملوم عليه ، لأن خَلْقَه لم يدخل تحت اختياره حصولـه ، ولا في اختياره زالته وتحسينـه ، والجهل قبـح يمكن إزالته وتبـدليله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الانسان بظهور جهله ، ويعظم إبتهـاجه في نفسـه بعلمه ثم لـذته عنـد ظهور جمال علمه لغيره وإذا كـان التعريف كشفـاً للعورة مؤذيـاً للقلب ، فلا بـد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق[1] .

فالمرشد لا بد أن تكون عنده الشفقـة على المتعلم ، وأن يجـريه مجرى قول رسول الله ﷺ : «إنما أنـا لكم مثل الـوالد لـولدة» وفي روايـة«إنما أنـا لكم بمنزلـة الوالد أعلمكم»[2]

قال ابو سليمان الخطابي : قول الرسـول ﷺ «إنما أنـا لكم بمنزلـة الوالـد» كـلام بسيط وتأنيس للمخـاطبين لئـلا يحتشمون ، ولا يستحيـوا عن مسألتـه فيما يعرض لهم من أمر دينهم ، كما لا يستحي الولـد عن مسألـة أبيه فيـما عن وعرض له»[3]

وروى في الأثـر عن عمر رضي الله عنـه قال : «تعلمـوا العلم ، وعلمـوه الناس وتعلموا له الوقار والسكينة وتـواضعوا لمن تعلمتم منـه العلم ، وتواضعـوا لمن علمتمــوه العلم ولا تكــونــوا من جبــابــرة العلماء ، فــلا يقــوم علمكم بجهلكم»[4] .

الدرجة الثالثة

النهي بالوعظ والنصح والتذكير بالله تعـالى والتخوريف من عـذابه وذلـك يكـون فيمن يقدم عـلى الأمر وهـو عالم بكـونه منكـراً ، أو فيمن أصر عليـه بعـد

(١) انظر في ذلك احياء علوم الدين ـ ٢/ ٢٢٩ طـ المعرفة .

(٢) اسناده حسن أخرجه ابو دود رقم ٨ في الطهارة ، والنسائي ١/ ٣٨ في الطهارة وابن ماجه .

(٣) سنن البغوي ١/ ٣٥٧ .

(٤) كنز العمال ١٠/ ٢٥٢ طـ الرسالة .

معرفته أنه معصية ، كالذي يشرب الخمر ويدمنها ، أو لا يرتدع عن الظلم ، أو عن الغي ، أو كشف عورات المسلمين ، فهذا وأمثاله ينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى ، ويذكر بعاقبة ذلك على صحته وماله وعمله واسرته وأمته ، كما يحذر من غضب الله عليه وعقابه له ، ويحكى له من أخبار العصاة ما ينبهه إلى نهاية كل عاصي وعاقبة كل مسيء ، كل ذلك بشفقة ولطف ، ورحمة واحسان ومنطق وحكمة ، من غير عنف أو غضب أو إذاعة وتشهير .

قال الغزالي : «ينظر الآمر الى المقترف للمنكر ، نظر المترجم عليه ويرى أقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذا المسلمون كنفس واحدة ، وها هنا أفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها ، فإنها مهلكة ، وهي أن يرى العالم عند التعريف ، عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل ، فربما يقصد بالتعريف الادلال وإظهار التمييز بشرف العلم ، وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ومثال ذلك الأمر مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية الجهل»[1]

الدرجة الرابعة

الوعظ بالقول الشديد ، واللفظ الخشن . وهذا يكون عند الإستهزاء بالوعظ والنصح ، والإصرار على الاثم والفسق ، والعجب بالفجور واللهو .

وذلك في مثل قول ابراهيم عليه السلام : ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2]

وفي مثل قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾[3]

---

(١) كنز العمال ٢٥٢/١٠ ط الرسالة .

(٢) سورة الأنبياء الآية .

(٣) سورة الجمعة الآية .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)

وقوله تعالى ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾(٢)

وهذا اللفظ الشديد والوصف الأليم ، لا يقال إلا فيمن يتحقق فيهم ،ولا يلقي على عواهنه وإنما يلجأ إليه عند الضرورة القصوى ، وله مواصفاته :

الاولى : أن تكون الحيل كلها والامكانات الوعظية قد استنفدت .

الثانية : أن يجاهر صاحب المنكر ويتبجج به ويعمل على إشاعته .

الثالثة : أن يكون كلام الداعية في وصف صاحب الأثم بما فيه عاماً لا يحدد أشخاصاً ، ويستحسن أن يكون بين الداعية وصاحب المنكر ولا يسمع ذلك أحد إن أمكن وإن لم يمكن فليكن كلاماً عاماً ، كقول الرسول ﷺ «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله أني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»(٣) .

وقوله : «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة ، فاشتد قوله في ذلك حتى قال : لينتهن عن ذلك ، أو لتخطفن أبصارهم»(٤) .

عن أبي حميد الساعدي قال : استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد يقاله : ابن اللتبيه على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي لي ، فقام النبي ﷺ على المنبر ، فقال : «ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول :

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٧٦ .

(٢) سورة العلق الآية ١٥ ـ ١٦ .

(٣) أخرجه البخاري ١٣/١٢٥ ، ١٢٦ ، ومسلم رقم ,د؟ط ـ

(٤) أخرجه البخاري ٢/١٩٣ وابو داود رقم ٩١٣ والنسائي ٣/٧ .

هـذا لكم ، وهذا لي فهـل جلس في بيت أبيه أو بيت أمـه ، فينظر يهـدي إليه أم لا ، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدكم منها شيء إلا جاء يوم القيامة يحمله عـلى رقبته ، إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديـه حتى رأينا عرة أبطيه ، ثم قال اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت»[1] .

فيـلاحظ أن الرسـول ﷺ عمم القول ولم يخصص تجنبـاً للحرج والاسـاءة قدر الامكان .

ولهـذا يجب على الـداعية أن لا يستـرسل في ذلـك إلا بقـدر الضـرورة ولا يشغله ذلك عن ، دعوته وعن التربية عليها والعمـل لها ، وحتى لا يستغـل ذلك في التشهير على الداعية ، وذلك قد يكون إلى حين ، ولكنه أيضاً مـطلوب ضمن خطة الرأي العام الذي هو حقل الداعية .

والذي يحرص على هدايته وقربه منه .

الدرجة الخامسة

التغيير باليد ، وهذه الدرجة هي أعلى الدرجات ، حيث تكون حاسمة في دفع المنكر وإزالة خطره ، كما لا يقدر عليها إلا الأشداء وأولو العزم ، كـما يشترط في هذه الدرجة أن يصاحبها أقصى درجات الحكمة والوعي والتجرد من الهوى .

ولهذه الدرجة مراحل معينة حسب الأحوال والاعمال :

١ ـ أن يسبق ذلك التهديد أن كان يجدي وأمر صاحب المنكر أن يغـير هو ما هو عليه من أثم أو ما هـو واقع فيـه من منكر ، كـأمره بـأن يريق الخمـر الذي عنده أو يلقي العصا التي يضرب بها من يده ، أو يخرج ما سرقـه بغير عنف ، إلى غير ذلك حتى لا يتسبب الأمر في امتهان صاحب المنكر مـا دام سيمتثل إلى الأمـر ويغير هو ما هو عليه من أثم .

(١) البخاري ١٦٢/٥ في الهبة .

٢ - فإذا لم يرتدع أو يمتثل لما سبق ، أريقت منه الخمر وأخذت منه العصا التي يضرب بها الناس وأخرج ما سرق من جيبه أو من بيته حتى ترد الحقوق وحتى يمتنع الظلم والمنكر .

٣ - أن يقتصر ذلك على المنكر فقط ولا يتعدى ذلك إلى غيره زجراً أو نكالاً أو فساداً على صاحب المنكر أو عقوبة له ، فلا يغير المنكر بمنكر مثله والتعدي بتعد آخر ، وإنما يقتصر فيه على الأمر المحتاج إليه في ذلك .

٤ - ألا يصاحب ذلك إيذاء جسدي لا داعي له أو متهان نفسي ما دام ليس فيه أمر من الحاكم بتعزيز أو غيره .

٥ - مبشارة الضرب باليد ، ذلك جائز إلى أحاد الناس بقدر الضرورة الملجئة كتأديب الأب لولده ومنعه من المنكر ، أو لمن له ولاية عليه وكدفع الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، عن الإثم والمنكر باليد في الامر الذي لا يندفع إلا به ، كرجل فاسق فاجر أمسك بامرأة يريد بها سوء ، ولا يرجعه عنها إلا ذلك ، أو كسارق لا يترك المسروق أو لا يرجع عن ضحيته إلا بذلك ، أو كمغتصب يقهر الناس ولا يرجعه إلا الزجر والاهانة .

فكان التأديب باليد جزاء للفاسق المناضل عن فسقه المدافع عن جرمه المتجرىء على حرمات المسلمين ، الذي لا يبالي بما حرم الله ورسوله .

كما يجوز للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يستعين بغيره لدفع المنكر وإزاحة الباطل .

كل ذلك إذا كان هذا لا يؤدي إلى ضرر أكبر منه لنفسه أو لغيره ، أو كان ذلك لا يتسبب في حدوث فتنة عظيمة بالمسلمين ، فإن أدى إلى هذا يتوصل الى دفع المنكر بطرق أخرى تكون أقل ضرراً ، والدليل على ذلك رفق الرسول بعبد

الله ابن أبي : وأمثاله من المنافقين حتى لا يثير الرسول ﷺ حمية قومه ، وحتى لا يقال إن محمداً يقتل أصحابه[1]

إستعمال السلاح

إذا كان تغيير المنكر لا يتأتى ولا يندفع إلا بشهر سلاح وتجميع أعوان قال النووي في شرح صحيح مسلم ٢/٢٥ ط المطبعة المصرية : يرجع إلى السلطان ولا يشتغل أحاد الرعية بذلك ، لأنه لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح . وربما يستمد الفاسق أيضاً بأعوان ويؤدي ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا ، فهذا يحتاج إلى إذن الأمام لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن وهياج الفساد وخراب البلاد . وتقاتل العباد .

وقال آخرون لا يحتاج منه إلى الأذن ، وقد قال الغزالي في هذا الرأي هو ألا قيس لأن المناضلين عن فسقهم لا بأس بالتعاون عليهم ، وكل من قدر على دفع المنكر لا بأس عليه أن يدفعه ، وقد فصل الإمام الغزالي هذا في الاحياء[2]

ثم قال النووي : فإذا جار وإلى الوقت وظهر ظلمه ، وغشمه ولم ينزجر حين زجر عن سوء صنيعه بالقول ، فلأهل الحل والعقد التواطؤ على خلعه ولو بشهر الاسلحة ونصب الحروب .

(١) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبدالله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال المهاجري بالمهاجرين وقال الأنصاري بالانصار . فسمع ذلك النبي ﷺ فقال : ما بال دعوة الجاهلية ؟ قالوا رجل من المهاجرين كسع رجل من الانصار رجلا من المهاجرين فقال النبي ﷺ : دعوها فإنها فتنة . فسمع ذلك عبدالله بن أبي فقال : أو قد فعلوها ، والله لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقام عمر فقال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ : دعه ، لا يتحدث الناس إن محمداً يقتل أصحابه ، زاد الترمذي فقال له إبنه عبدالله : والله لا تنفلت حتى تقر أنك ذليل ، ورسول الله ﷺ العزيز ، ففعل فتح القدير ٥/٢٣٣ .

(٢) احياء علوم الدين ٢/٣٣٣ .

وهو رأى أمام الحرمين ، وقد علق النووي على رأي امام الحرمين بقوله وذلك محمول على ما إذا لم يؤد ذلك إلى فتنة أو إثارة مفسدة أكبر منها .

المبحث الرابع

آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قدمنا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من القربات التي ينال بها صاحبها أفضل الدرجات وهي على هذا لا بد أن تؤدي الغرض المطلوب منها وهو إزالة المنكرات وإشاعة الصالحات ، ولا يكون ذلك إلا إذا تحلى صاحبها بآداب معينة حتى لا تكون هن منكرة كذلك لمجاوزة حد الشرع والخروج على تعاليمه ، حيث لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر إلا من تحلى بصفات الرفق والحلم والعلم والفقه والتجرد من الرياء والهوى والسمعة ونستطيع أن نلخص تلك الآداب فيما يلي :

١ ـ أن يكون عالماً بأمر دينه فاقهاً للأحكام الشرعية ليعلم مواطن الحكم ومواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها فيواكب حكم الشرع فيها ، وليكون من أهل الثقة قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر ـ٩

«يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» المجادلة ـ١١ قال ﷺ «فضل العالم على العابد كفضلى على إدناكم»[١]

٢ ـ الورع ـ فإن الانسان يردعه ورعه عن الوقوع في الشبهات وليكن وعظه مقبولاً فإن الفاسق أو المتجرد على محارم الله لا يسمع له قول ولا يصان له عرض . قال ﷺ : «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به ، حذراً لما به بأس» رواه الترمذي وقال حسن .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٢٥ط المطبعة المصرية .

فـإن الورع نـور في القلب وضياء في البصيـرة يستطيـع بها الـورع أن يميـز الخبيث من الطيب ، فيكون بذلك مثلاً كريماً يدعو بحاله ومقاله .

«عن عائشة رضى الله عنها قالت : كـان لأبي بكر الصـديق رضى الله عنه غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكـر رضى الله عنه يـأكل من خـراجه ، فجـاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام : تدري ما هذا ، فقال ابو بكر : ما هذا قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وما أحسن الكهـانة إلا أنني خـدعته ، فلقيني فأعطاني بذلك هذا الذي أكلت منه . فأدخل أبو بكـر يده فقـاء كل شيء في بطنه[1] .

٣ ـ حسن الخلق ، وحسن الخلق والبعـد عن الغضب هما مـلاك الأمـر في المعروف والنهي عن المنكـر ، حيث لا يتم الـورع ولا يفيـد العلم إلا بحسن الخلق ، فـإن القدرة عـلى ضبط الشهوة وتجـاوز الغضب ، صفـة لا بـد منهـا في الإحتساب ، وإلا فإذا أصيب عرضه أو مـاله أو نفسـه بشتم أو أذى نسي الحسبة وغفل عن الدين واشتغل بنفسه .

ولهذا كان حسن الخلق هو المتمم للفضائل : قال ﷺ «لا عقل كالتدبـير ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق» رواه ابن حبان .

وقـال ﷺ : كرم المؤمن دينـه ومرؤتـه عقله ، وحسبه خلقـه قـال الحـاكم صحيح على شرط مسلم .

٤ ـ الرفق ـ ما دخل الرفق في شيء إلا زانه وقـد كان الانبيـاء أرق الناس قلوباً قال تعالى لرسـوله : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٦) وقال حسن صحيح .

(٣) رواه البخاري ١١٧/٧ قال الحافظ والذي يظهر : أن أبا بكر إنما قال لما ثبت عنده من النهي عن حلوان الكاهن . وحلوان الكاهن ما يأخذه عن كهانته .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ فصلت ٣٤-٣٥ .

وقال ﷺ : «إن الله رفيق يحب الرفق في الامر كله» متفق عليه وعنه ﷺ «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه» رواه مسلم (٢٥٨٢)

وعنه ﷺ «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه» رواه مسلم ٢٥٩٤

وقد كان الرفق من أخلاق الصالحين وكان أسلوبهم الأول في الدعوة إلى الله تعالى قال محمد بن زكريا الغلام : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله ، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربنه ، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه ، فقال للناس : تنحوا عن إبن أخي ، ثم قال : إلى يا إبن أخي : فاستحى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ، ثم قال له : امض معي ، فمضى معه حتى صار الى منزله ، فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فإذا أفاق من سكره فاعلمه بما كان منه ، ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به ، فلما أفاق ، ذكر ما جرى ، فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف ، فقال الغلام : قد أمر أن تأتيه ، فدخل عليه فقال له : أما استحيت لنفسك ؟ أما استحيت لشرفك ؟ أما ترى من ولدك ؟ فاتق الله وانزع عما أنت فيه : فبكى الغلام منكساً رأسه ثم رفع رأسه وقال : عاهدت الله تعالى عهداً يسألني عنه يوم القيامة ، أنى لا أعود إلى شرب الخمر أبداً ولا لشيء مما كنت فيه وأنا تائب .

فقال . أدن مني . فقبل رأسه وقال : أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث ، وكان ذلك ببركة رفقه وصلاحه .

ثم قال : إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويكون معروفهم منكراً فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون ما تطلبون(١)

قال تعالى لموسى عند ذهابه الى فرعون ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ . (طه - ٤٤)

وهكذا يجب أن يتحلى الداعية بهذه الصفات ثم يقصد الثواب من الله ويدعو الله بالتوفيق والهداية فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها حيث يشاء . والهداية من الله «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء» صدق الله العظيم .

٥ - الاستعانة ببعض المباح لتغيير المنكر ، فقد يكون من الأفضل لبعض الناس أن يستعمل معهم أسلوب الهدية أو الدعوة إلى طعام . والأصل في ذلك مشروعية تأليف القلوب حتى تقبل الخير ، وتقلع عن الشر ، وقد جعل الله للمؤلفة قلوبهم سهم في الزكاة .

وقد روى أن الرسول ﷺ صنع وليمة لعشيرته ، ثم دعاهم بعدها إلى الاسلام ، وقد روى عن الامام الفقيه عمر بن عبد العزيز أنه قال «والله ما أستطيع أن أخرج لهم شيئاً من أمر الدين إلا ومعه طرف من الدنيا استلين به قلوبهم خوفاً أن ينخرق على منهم ما لا طاقة لي به»(٢)

ومن هذا إهداء كتب العلم لبعض الزملاء حتى يتعرفون منها على دينهم

---

(١) احياء علوم الدين ٢/ ٣٣٥

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن عبد الحكم ص ٦٠ .

وجمال رسالتهم أو إهداء بعض الأقلام أو بعض الهدايا الرمزية في المناسبات السعيدة ، كمناسبة زواج ، أو رجوع من سفر ، أو شفاء من مرض ، أو نجاح في جامعة .

ومن ذلك ترويح النفوس ببعض المباح حتى لا تمل ، ثم تلجأ الى ترويح النفس بالحرام، أوالمكروه فمثلا نزوح ببعض الحفلات الترفيهيه الملتزمة في بعض المناسبات والتجمعات والمخيمات ، وطرح أسئلة مسلية وموجهة إلى لفت الشباب لمعاني كريمة ، ثم إعطاء الجوائز عليها .

ومن ذلك إذا ولي المسلم الملتزم بدينه عملاً : فإنه يوسع على مرء وسيه ومن يكونون تحت يده ، ليرغبهم في العفة والامانة وزيادة الانتاج ومحبة الايمان وأهله ، وليلفتهم إلى الخير وحب مؤسستهم أو بلدهم . وأن لا يمتاز عنهم وأن يجعل لهم من الحقوق ما هو له»

أما بعد

فلئن كانت النظرية الأساسية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي منع المنكر والارشاد الى الصواب ،وقول الحق، فإن هناك وسائل متعددة لترشيد سلوك الناس وتوصيل كلمة الحق إليهم ، وهذه الوسائل ترتبط حتماً بظروف وأحوال كثيرة .

منها ظروف نفسية وإجتماعية وبيئية تتحكم دائماً في التعبير عن كلمة الحق وتوجهات المرشدين والدعاة ، فهناك مثلاً أسلوب التدرج في تقويم المعوج ومعالجة الخطأ وهو أسلوب مثالي في الوصول إلى قلوب الناس وإستجابتهم لقول الداعي ، وقد عالج القرآن قضايا كثيرة بهذا الأسلوب منها قضية تحريم الخمر المعروفة. حيث تعرض لها في أول الأمر فوصف غيرها بالحسن وسكت عنها

ليلفت الأذهان إلى السكوت عن هذا الرزق المشكوك فيه فقال تعالى ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا[1]﴾ فكان أول ما يطرق حس المسلم من وضع السكر «وهو الخمر» في مقابلة الرزق الحسن فكأنما هو شيء والرزق الحسن شيء آخر .

ثم كان التدرج الثاني حيث قال في سورة البقرة ٢١٩ «يسألونك عن الخمر والميسر قل : فيهما أثم كبير ومنافع للناس ، وأثمهما أكبر من نفعهما» .

وفي هذا ايحاء بأن تركها هو الاولى ما دام فيهما أثم كبير والمسلم إنما يتحرى الصواب ويبتعد دائماً عن الإثم .

ثم كانت الثالثة بكسر عادة الشراب وإظهار التعارض والتنافر بينها وبين الصلاة .

والصلاة أعز على المسلم من كل شيء . وهي منع غير مباشر للخمر في أثناء النهار لأن الصلاة في النهار خمسة أوقات متقاربة فقال سبحانه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون[2]﴾ فكسر بذلك عادة الادمان عند الناس ، وحرك الشعور بكرهها والخلاص منها حتى قال عمر بن الخطاب : «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً» فنزلت أية المائدة ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (٩٠) إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (٩١)﴾ المائدة ـ ٩١ .

فأجاب المؤمنون لتوهم : إنتهينا إنتهينا .

كما أن العنصر الإنساني ، أي الرحمة والشفعة والمعاملة الحسنة كانت دائماً هي مفتاح القلوب مع الأصدقاء والأعداء ومع المطيع والعاصي على السواء .

---

(١) النحل ـ ٦٧ (٢) النساء ـ ٤٣

فمـاذا كسب هتلر مثلاً من أفـران الغاز وقتـل البشـر وإقـامـة معسكـرات التعذيب ؟ وماذا كسب غيره من الجبابرة الذين أذلوا البلاد والعباد وماذا كـان من أمـرهم وأمر دعـوتهم . ماذا كسبت الاكـاسرة والقيـاصرة والفـراعنـة في القـديم والحديث .

ومـاذا كسب محمد ﷺ وصحبـه الكرام بعـطفهم وودهم وشفقتهم «خـذا العفـو وأمر بـالعرف واعـرض عن الجاهلين» عـلى أصحابهم وعـلى الناس وعـلى الأعداء انظر إلى قوله تعالى لرسـوله ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾(التوبة ـ ٦) .

وماذا كسب صلاح الدين الايوبي من معـاملته الاسـرى بالحنـان والعطف وتطبيب عدوه الاسير «رتشارد قلب الأسد» ؟

إن البشرية ما زالت تذكـر إنسانيـة صلاح الـدين ، ولا زالت تذكـر أيضاً وحشية ادولف هتلر .

إن الأمـة الإسلاميـة يجب عليها أن تعـد الداعيـة الـواسـع الحيلة المتسلح بالعلم والمعرفة الدارس لطبائع النفوس والعلل ليكون كالـطبيب البارع الـذي لا يستعمـل مبضعه إلا في حـالة الضـرورة ، وإذا إستعمله فلغايـة نبيله لا لهوى أو شهوة أو إنتقام ، وليكن هدفه من ذلك واضحاً له ولغيره .

ولينطلق هذا الفهم من قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾يونس ٥٧ ـ ٥٨ .

ومن قـوله تعـالى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾التوبة ـ ١٢٨ .

ومن قوله : «فلعلك باخع نفسك على أثارهم ألم يؤمنو بهذا الحديث أسفاً» الكهف ٦

وقوله تعالى : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾(1)﴾ ومن قول أحد الصالحين : كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه بخيلاً .

فإذا لم يرتدع البغى والظلم فليكن مبضع الجراح المبتسم ، ودفاع العملاق المؤمن المنطلق من قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ الحج ـ ٤٠

الباب الخامس

التبليغ بالعمل ووسائله

ويشتمل على :

الفصل الأول

القدوة الحسنة

المبحث الأول

مفهوم العمل وما يقصد به

نقصد بالتبليغ بالعمل كل فعل يؤدي إلى إزالة المنكر ونصرة الحق وإظهاره . وإزالة المنكر يشترط فيها أن تكون بالوسائل التي تكلمنا عليها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في التغيير باليد، فمن أراد أن يرجع إليها فلا بأس ليعلم حدود هذا العمل وقدره وشروطه .

ونعرض هنا لأعمال أخرى قد يكون لها من النفع والاعلان عن الاسلام مثل القول وأكثر في بعض الأحيان لما فيها من أمور معينة تحقق إقامة شرع الله في جانب من جوانبه ويكون هذا العمل في حد ذاته دعوة صامتة إلى الإسلام وإلى تعزيز وجوده ونشر مبادئه واذاعة شعائره، من هذه الأعمال ما يأتي :ـ

١ ـ اختيار الرجل الصالح على جهاز مهم، كجهاز الاعلام أو الصحافة، فإن هذا العمل هو في الحقيقة دعوة صامتة إلى الاصلاح والاستقامة، وتعويد الجماهير على العادات الاسلامية والكلمة الطيبة سواء كانت مقروءة أو مسموعة من خلال تلك المؤسسات المهمة، وهذه المؤسسات يحرص أهل الأفكار غير الاسلامية على اعتلاء أرفع المناصب فيها ليباشروا نشر أفكارهم واذاعة مبادئهم من خلالها، فإذا تولى هذه المؤسسات رجل من المفكرين المسلمين كان ذلك خيراً كبيراً للاسلام والمسلمين.

---

(١) الفرقان ـ ٦٣

٢ ـ طبع الكتب الاسلامية وتيسيرها للراغبين بأسعار زهيدة، كطبع كتب التراث الاسلامي، وكتب الحديث وكتب أصحاب الفكر الاسلامي المعاصر، والكتب التي توضح جوانب مهمة في العمل الاسلامي، وتتعرض للمشاكل التي تواجه الشباب والمجتمع، مثل حرية المرأة والحجاب، والربا، والتأمين والحكم الاسلامي، والشورى.

وكذلك الكتب التي تبين قوة العقيدة الاسلامية، وتعالج الأمراض الاجتماعية والقومية والنفسية، وترد الثقة إلى الصف المؤمن وتبعث أشواقه وهمته وتظهر فضله وحضارته.

٣ ـ بناء المدارس الاسلامية التي تربي النشأ المسلم على تعاليم الاسلام وعلى هديه وتعمل عملها في صمت وتستطيع الجهود المخلصة من خلال تلك المدارس أن تطور المناهج وأن تنفذ الاسلام العملي على طلابها، وأن تلزمهم بما يكون فيه سعادتهم وسعادة أمتهم، ولا يخفى ما في التعليم الاسلامي من نفع كبير وعمل عظيم وقد قدمنا طرفاً من ذلك في ص .

٤ ـ بناء دور تحفيظ القرآن، لتعليم الصغار والكبار كتاب الله وشرح معانيه، فالقرآن هو دستور الأمة وحافظ تعاليمها، ومعجزة الرسول الباقية إلى يوم القيامة.

٥ ـ بناء المساجد وإقامة المكتبات الاسلامية فيها، وتزويدها بالمصاحف والكتب النافعة، ولا شك أن هذا العمل له من النفع الشيء الكثير، خاصة في البلاد التي يكثر فيها العمل ضد الاسلام والمسلمين، أو في البلاد التي فيها أقلية مسلمة.

٦ - بناء المستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية، فإن المستشفيات الاسلامية خاصة في الدول الفقيرة تحفظ المسلمين من الهجمة التبشيرية وتداوي عللهم، وتخفف آلامهم، وتصح أجسادهم، ويقوم الأطباء المسلمون الملتزمون في هذه المستشفيات بدور كبير في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وقد استغل المبشرون هذه الوسيلة لزعزعة المسلمين عن عقيدتهم والتأثير عليهم، واظهار الشفقة والرحمة في تضليل الناس وابعادهم عن الطريق الصحيح وكذلك دور الرعاية الاجتماعية، في رعاية الأسر الفقيرة والعطف عليهم وتوزيع ما يجود به المحسنون وتبني اليتامى والمساكين والفقراء بالرعاية والتوجيه والتعليم الحرفي أو المهني.

هذا وقد جاءت الاحصائيات حول أحوال المسلمين مذهلة وملفتة للنظر تهيب بالمسلمين أن ينتبهوا إلى الأخطار التي لا ينفع معها إلا العمل، فقد جاء في احصائيات الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية عن أحوال المسلمين ما يلي :-

«إن ١٠٠٠ طفل يموتون يومياً بسبب الجوع ونقص التغذية والمرض، ومعظمهم من المسلمين ١٠٥٠ مليون في العالم في فقر مدقع، معرضون للمجاعة ونقص التغذية معظمهم من المسلمين ٣٦ دولة هي أفقر دول العالم وأكثرهم تخلفاً معظم سكانها مسلمون».

الغزو الثقافي للمسلمين في دينهم وعقيدتهم :-

ألقى وزير الأوقاف الكويتي السابق السيد يوسف الحجي من خلال الكلمة التي ألقاها في المؤتمر التأسيسي الأول للهيئة الاسلامية الخيرية، بياناً عن استغلال المسلمين لحاجتهم وفقرهم من قبل القوى الحاقدة على الاسلام والمسلمين، لاستغلالهم ومحو شخصيتهم الاسلامية عن طريق حاجتهم وعوزهم

وفقرهم وجهلهم ومرضهم: فقال: لندع الأرقام تتكلم:-

١٦ ألف من المسلمين يرتدون عن دينهم يومياً كنتيجة لنشاط التيارات الهدامة.

١٨ ٪ وصل عدد المسلمين في مالاوى بعد أن كانت النسبة ٧٠٪.

هذا هو الفكر الذي كان الفقر بابه وتجاهله ازدياده»[١] وقد جاء في التقرير حقائق مذهلة تحتاج من المسلمين أن يتعلموا لغة العمل والفعل، حتى يحافظوا على أنفسهم فضلاً عن أن يدعوا غيرهم إلى الاسلام.

فالذئاب متربصة ومتحفزة لتمزيق أجساد المسلمين ومص دمائهم البريئة.

١ - انظر بيان الهيئة الاسلامية العالمية الصادر عنها في الكويت سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م، ص ٢٨ , ٢٩.

المبحث الثاني

التبليغ بالسيرة الحسنة

السيرة الحسنة هي المفتاح السحري للقلوب، وهي الدواء الأكيد لعلل الأرواح يستطيع بها الداعي أن يعالج أمراض النفوس، ويشفي علل القلوب

---

(١) انظر بيان الهيئة الاسلامية العالمية الصادر عنها في الكويت سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، ص ٢٨، ٢٩.

ويغسل أدران الصدور، وهوهاديء النفس لا يستفزه الغضب ولا يستثيره الحمق الذي يسيطر على الجاهلين كما لا يقابل بالصد والعنت والنكران الذي هو اسلوب المعاندين، وحرفة الضالين.

ولقد كانت السيرة الحسنة والمعاملة الكريمة هي الجاذبية التي لا تقاوم، والمغناطيسية التي لا تدافع، كما كانت هي السلاح البتار في أيدي الدعاة المخلصين، وصدق الله ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾. (آل عمران - ١٥٩)

فسيرة الداعية الكريمة لسان فصيح في بيان الحق وإعلاء الرسالة ، ومنطق بليغ في شرح الهداية والاعلان عنها ، ونور يغشي الظلمات فيبدد دياجيها ، ويظهر فجرها ويفلق إصباحها .

أما إذا كان الداعية سيء الخلق جافياً ، قاسي القلب . غليظ الكبد بليد النفس ، تنافرت عنه النفوس والأرواح ، وابتعدت عنه القلوب والأفئدة ، فإذا تحدث فكأنما ينعق في خراب أو ينادي في موات .

موقف الداعية من الحسن والقبح : -

سيرة الداعية الحسنة ، هي السيرة التي توافق الكتاب والسنة بفهم وعمق من غير تنطع أو عنف .

وقد يتعرض الداعية رغم سيرته الحسنة وعمله القويم الى معارضة وعناد . وظلم وبغي من أصحاب السيرة الملوثة والأفهام السقيمة والأفكار المريضة ، فهذا إذن قدرة وتلك إذن رسالته فلا بد له من الصبر والاحتساب والعمل والإجتهاد ، حتى يغير هذا الواقع الأليم ، والعرف الفاسد والعادات السيئة .

ولكن هنـاك حقـائق يجب التنبيــه عليهـا ، وهــذه لا تخضـع للتصــديق والتكذيب و الاتبـاع والتنافر وإنمـا تتبع التـراث الإنساني والقلبي والعـاطفي ، لا ينكرها أي قلب أو يعارضها أي إنسان وهي الأفعال الكريمة في ذاتها : مثل عيادة المـريض ، ومعاونـة المحتاج ، وتعـزية المصـاب ، ومساعـدة الضعيف والعطف عليه ، العدل وتـرك الظالم ، الصـدق والبعد عن الكـذب ، الأمانـة والبعد عن الخيانة ، الرحمة للمصاب واليتيم ، هذه الأفعال وأمثالها تراث كريم للانسانية لا تكره عند أحد أو تقاوم عن أناس ، وهي التي يجب أن يركز عليها الداعية ، قال عـلي كرم الله وجهـه : إن الله تعالى خلق المعـروف وخلق لـه أهـلاً فحببـه إليهم وحبب إليهم فعاله ، ووجه إليهم طلابه ، كما وجه الماء إلى الأرض الجدبـة لتحيـا به ويحيا به أهلها ، إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : كـل سلامي من الناس عليه صدقة ، كل يوم تـطلع فيه الشمس : تعـدل بين الاثنـين صدقـة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليهـا ، أو ترفـع عليها متـاعه صـدقة ، والكلمـة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة متفق عليه .

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ النساء ـ ١١٤ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مر رجل بغصن شجرة على ظهر الطريق فقال : والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم ،فـأدخل الجنة» رواه مسلم .

وعلى هذا فهذه الأعمال الصالحة التي تكـون سبباً في نفـع الناس والتيسـير

---

(١) منهاج الصالحين ص ٤٠٨ .

عليهم أعمال مأمور بها المسلم ، وفيها كثير من الثواب والأجر ، كما أن فيها من تآلف القلوب والأرواح وإستمالة الناس إلى الداعية الشيء الكثير الذي ينبغي أن يحرص عليه المسلم .

أسس تلك السيرة الحسنة : ـ

للسيرة الحسنة أسس وقواعد لا بد من إرسائها ووجودها حتى توصف بهذه الصفة وحتى تؤدي دورها المطلوب منها والمنوط بها : منها : ـ

١ ـ حسن الخلق : وحسن الخلق كلمة يندرج تحتها الكثير من الصفات الكريمة التي يجب أن يتحلى بها الانسان المسلم ، ففي كمالها كمال الايمان ، وفي نقصانها نقصان الايمان وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : «أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خيارهم لنسائهم» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وقد مدح القرآن رسول الله ﷺ بحسن الخلق فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم ٤ .

كما أن حسن الخلق له في مجال الصالحات شأن عظيم ، ومنزلة كبيرة عند الله سبحانه وتعالى : قال ﷺ : «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء» رواه الترمذي ، وقال حسن صحيح .

ولا يوصف الانسان بالخلق الحسن إلا إذا إستجمع أو تحلى بشعب كثيرة من شعب الأخلاق منها :

ـ التواضع : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ المائدة ٥٤ .

ـ الوفاء بالعهود : ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ الاسراء ٣٤ .

ـ الأمانة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ النساء ٥٨ .

ـ قوة العزيمة : ﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ آل عمران ١٥٩ .

ـ الشجاعة : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾آل عمران ١٧٣ .

ـ الصبر : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾آل عمران ٢٠٠ .

ـ الشكر : ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ البقرة ١٥٢ .

ـ الحلم والرفق : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ الأعراف ١٩٩ .

ـ التقوى والحياء : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ الطلاق ٤ .

ـ العفو والتسامح : ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ النحل ١٢٦ .

ـ الرحمة : ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ الفتح ٢٩ .

ـ الجود والكرم : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ ﴾ آل عمران ٩٢ .

ـ حفظ اللسان : ﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت﴾ متفق عليه .

ـ الصدق : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ .التوبة

ـ العدل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ .(النحل ـ ٩٠)

وحسن الخلق هذا يكون باب خير على الداعية ودعوته ، وعلى الفكرة وحاملها ، وعلى المنهج والملتزمين به ، ويكون نوراً يكشف الباطل ويفضح البغي والمنكر ، من غير جراح ، أو آلام أو عداوات أو خصومات .

٢ ـ أن يطابق عمله قوله : وأن يوافق فعله الطريق المستقيم ، والصراط المبين ، وأن تكون سيرته تطبيقاً عملياً للفظه ،وأن لا يخالف ظاهره باطنه ، فإن أمر بشيء التزم به ، وإن نهى عن شيء كان هو أول تارك له ليفيد وعظه ويثمر إرشاده ويقتفي أثره فإن كان يأمر بالخير ولا يفعله وينهي عن الشر وهو واقع فيه ، فهو بحاله هذه عقبة في سبيل الاصلاح ، وهيهات هيهات أن ينتفع به ، فإنه قد فقد الرشد في نفسه والخير في ذاته فكيف يرشد غيره .

قال مالك بن دينار : ان العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا .

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى فيما كتبه إلى أبي حامد أحمد بن سلامه بالموصل أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلاً له لأن الوعظ زكاة نصابه الإتعاظ ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة ، وفاقد النور كيف يستنير به غيره ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج .

قال الامام إبن القيم رحمه الله : علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم ، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا ، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم ، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجبين له ، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق .

قال علي رضى الله عنه : قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك ، فالجاهل يغرى الناس بتنسكه ، والعالم يغري الناس بتهتكه .

وقال أحد الصالحين : أفسد الناس جاهل ناسك وعالم فاجر ، هذا يـدعو الناس إلى جهله بنسكه ، وهذا ينفر الناس من علمه بفسقه .

قال ابو الدرداء : ويل للجاهل مرة ، وويل للعالم سبع مرات(١) .

قال الحسن رحمه الله : عقوبة العلماء مـوت القلوب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة .

وقـال سعيـد بن السيب رحمـه الله : إذا رأيتم العـالم يغشي الأمـــراء فهـو لص ، يقصد بـذلك من يقصدهم للتكسب أو طالب ما عندهم .

وقال عمر رضي الله عنه : إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فـاتهموه عـلى دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب .

وكـان يحيي بن معـاذ الـرازي يقـول لعلماء الـدنيـا : يـا أصحـاب العلم قصـوركم قيصريـة وبيوتكم كسـروية وأثـوابكم ظاهـرية وأخفـافكم جالـوتية ، ومراكبكم قارونية ، وأوانيكم فرعونية ، ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيـطانية ، فأين الشريعة المحمدية .

وقال سفيان الثوري : فتنة الحديث أشد من فتنـة الأهل والمـال والولـد ، وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيدنا رسـول الله ﷺ «ولولا أن ثبتنـاك لقد كـدت تركن إليهم شيئاً قليلاً»

قـال الفضيل بن عيـاض رحمه الله : بلغني أن الفسقـة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان .

وقال عمر رضي الله عنه : ثلاث بهن ينهدم الزمان أحداهن زلة عالم ، إذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق .

---

(١) انظر في ذلك هداية المرشدين ص ٩٣، ٩٤ طـ دار المعرفة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : علماء هذه الأمة رجلان : رجل أتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشتر به ثمناً فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين ، ورجل آتاه الله علماً في الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً فذلك يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علماً في الدنيا فضن به على عباده وأخذ به طمعاً واشترى به ثمناً فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس[1] .

أقسام هذا الصنف : ـ

الناظر في حقيقة هذه الصنف من الناس يجدهم أقسام شتى وألوان مختلفة لتباين أغراضهم واختلاف وجهاتهم ولكنهم في النهاية يجمعهم طريق واحد ، ولا بأس أن نتعرض لبعض هذه الأقسام : ـ

أ ـ الكاتمون لهواً أو تقصيراً أو شغلاً بالدنيا التي فتحت عليهم والمال الذي كثر في أيديهم ، أو لأن هذا البيان يكلفهم مغرماً في أموالهم أو أنفسهم وهؤلاء هم الذين عناهم القرآن بقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ البقرة ١٥٩ ـ ١٦٠ .

ب ـ الصنف الثاني : جماعة أخذوا البيان كلاماً يريدونه من غيرهم ولا يريدونه من أنفسهم ينهون الناس ولا ينتهون ويأمرونهم ولا يأتمرون وهذا الصنف هو المعني بقوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ

(١) انظر في هذا احياء علوم الدين ١ / ٦٠ الى ٦٢ ، طـ دار المعرفة .

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة ٤٤ . وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف ٢ -٣ .

وهو المعني بقوله ﷺ : «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقي في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع عليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه» البخاري ومسلم(١)

وهو المقصود بقوله ﷺ : رأيت ليلة أسرى بي رجالاً تقرض شفاهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون أخرجه ابن حبان : حديث حسن(٢) .

وهذا الصنف والذي قبله يكونون سبباً في ضياع خلق كثير ، وبعدهم عن الهداية والطريق المستقيم ، أولهم يترك الناس يتخبطون في الضلال والبغي والآثام وهم معهم النور ولم يتقدموا به أو يبينوه للناس ، وإنما كانوا سبباً بقصد أو بغير قصد في هذا الضلال والتيه ، وكان حكمهم كحكم الذي منع العطشان الماء ، أو الجائع الطعام حتى هلك ومات جوعاً أو عطشاً ، أو كان حكمهم حكم من ترك الغريق حتى ابتلعته الأمواج وجرفته السيول وهو قادر على إنتشاله .

أما الصنف الثاني : فهو الصنف الذي يسخر الجماهير لنزواته وشهواته ، ويستعمل القوانين والسلطات لحماية أطماعه ومظالمه ، هذا الصنف الذي تسبب في ضياع المثل ، وضياع الهداية ، وتسبب في أن تفقد الكلمة مدلولها واللفظة فائدتها والهداية طريقها إلى الواقع ، تسبب في فقدان الثقة في القيادة وفي المجتمع

---

(١) البخاري ٦/٢٣٨ في باب بدء الخلق ومسلم (٢٩٨٩) . في الزهد .

(٢) أخرجه أحمد ٣/١٢٠ ، ٢٣١ وأخرجه ابن حبان (٣٥) حديث حسن .

وفي عناصر التوجيه ، فهو بذلك يكون العنصر الفعال في هلاك الأمة وضياعها في كل شيء لأنه بعمله يكون داعياً إلى التهاون بالدين والجرأة على المعاصي .

وداعياً إلى التسيب وعدم الالتزام بأي قيمة أو هدف أو غاية أو إخلاص وقد إستعمل هذا الأسلوب من قبل زعماء الأمم المتخلفة ، كثيراً كثيراً حتى قضى على كل العناصر الحيوية في الفكر والنفس والقلب والنشاط الحركي والإنتاجي في الأمة ، فوقعت بذلك في الحضيض وذهب ريحها وانفرط عقدها وتودع منها .

جـ ـ الصنف الثالث : جماعة باعوا ذممهم واشتروا الضلالة بالهدى ، وساوموا على المبادىء والدعوات وأكلوا وشربوا وربحوا بالتعاليم وبالرسالات ، وباعوها بعرض من الحياة الدنيا. وهم الذين عناهم القرآن بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ البقرة ١٧٤ - ١٧٥ .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ آل عمران ١٨٧ .

ويظهر السياق القرآني خسران هذه الصفقات الهابطة بأسلوبه الرائع ، فكأنما هي صفقة يدفعون فيها الهدى ويقبضون الضلال ، ويبذلون فيها المبادىء والقيم ويأخذون الفتات فما أخسرها من صفقة وأغباها ، ويا لسوء ما ابتاعوا وما واختاروا .

وقد تتم هذه الصفقات بأشكال مختلفة ، وقد تتم على صورة مناصب

عالية وألقاب رنانة ونياشين رفيعة ، وقد تتم على شكل هبات ومنح وعطايا ، واقطاعات تتم على أي وجه من وجوه البيوع أو المعاوضات أو الهبات المختلفة في كل عصر وزمان ومكان .

وساعتها تخسر الشعوب والأمم أعز شيء عندها وأثمن قيمة لديها ، تخسر إنسانيتها وفطرتها تخسر طاقتها وحركتها المستقيمة ، تخسر حريتها وكرامتها ، تخسر عفتها وشرفها ، تخسر استقرارها وسعادتها وتخسر أولاً وأخيراً صلتها بربها وهناءها بتعاليمه وفوزها بثوابه ورضاه .

وبعد ذلك تباع الشعوب في أسواق النخاسة وتجر إلى السخرة والهوان وتكبل بأغلال غلاظ شداد وتكمم بكمائم كريهة وتلفت بكهنة دجالين غلاظ الأكباد مرقة فسقة أعماهم الجشع والنهم ومص الدماء .

هذا الصنف يمثل الخيانة الحقيقية لأمته ، ويمثل العمالة العظمى لشياطين الأنس والجن ويثمل الرمز الحقير والخسيس لضياع الأمانة المتاجرة في أعراض الناس ومستقبلهم وحاضرهم ، هذا الصنف هو الطوفان المغرض والداهية المفجعة للأمم والشعوب وللتعاليم والرسالات .

د ـ الصنف الرابع : صنف جمع بين الخبائث واكتسب كل ما تقدم من منكرات وزاد عليها الدجل والتبجج والفساد . فكان داؤه أفتك في الأمم من الوباء وأخطر عليها من الطاعون. هذا الصنف هو من عناه الله بقوله سبحانه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ البقرة ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

هؤلاء يحملون أوزار أفعـالهم الخبيثـة وإهـلاكهم للحـرث والنسـل كـما يتحملون نتـائج جـرمهم وفسـادهم الـذي طم وعم ، ويتحملون كـذلـك أوزار الـذين أضلوهم بغـير علم وخـدعـوهم بغـير ذنب ، فيحملون بـذلـك أوزارهم وأوزار الـذين يضلونهم بغـير علم ألا سـاء مـا يـزورون : وهم من عنـاهم الله بقوله : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ العنكبوت ١٣ .

وهـو المعني بقولـه ﷺ : «من سن سنة سيئـة فعليه وزرهـا ووزر من عمل بها» أخرجه مسلم (١٠١٧) في الزكاة .

هذه أصناف من الناس ابتعدوا كثيراً عن الطريق المستقيم وساروا في طرق أخرى بديلة أبعدتهم عن الهداية والرشاد .

فـطريق القدوة الحسنـة طريق نقي كـالثلج والبـرد واضـح مضيء وضـاح الجبين بأفعال أصحابه الحسنة ، وصفاتهم العالية وأخلاقهم الـزاكية ، وأعمـالهم الحميدة .

ولقد إنتشر الإسلام في كثير من الدول في شرق الدنيا وغربها بالسيرة الطيبة للمسلمين التي كانت تلفت أنظار الناس الذين طحنتهم العادات الذميمة والمظالم العـاتية ، والحيـوانية الشـرسة ، فـإذا بهؤلاء النـاس يـرون في المسلمـين الفـطرة السليمة والقلوب الحانية والنفوس المستقرة المخلصة البارة الرحيمة .

ولقـد كانت القـدوة الحسنـة تـلازم جميـع المسلمـين كبيـرهم وفقيـرهم ، رئيسهم وعـامتهم ،وكانت القـدوة الحسنـة عنصـراً فعـالاً في طـاعـة المسلمـين لحكامهم .

أخرج ابن سعد ، وابن عسـاكر عن إبن عمـر رضي الله عنهما قـال : كان

عمر بن الخطاب إذا أراد أن ينهي عن شيء قدم إلى أهله فقال : لا أعلم أحد وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة[1] .

وكذلك كان القرآن يأمر بيوت النبي ﷺ أن تلتزم وإلا ضوعفت لها العقوبة قال تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠ ﴾الأحزاب ٣٠ .

لما للقدوة من تأثير على الناس ، والناس ينظرون إلى الداعي فإن إلتزم التزموا وإن رتع رتعوا .

ولهذا كان على الداعية المسلم أن يكون صاحب قول وعمل ، وحديث وفعل وأن لا يخالف ظاهره باطنه .

قال ﷺ : «من طلب علماً مما يبتغي به وجه الله تعالى ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[2] .

---

(١) كنز العمال ، ٢/١٤١ ، حياة الصحابة ٣/٢٩٦ ط دار القلم بيروت .

(٢) أخرجه ابن ماجة باسناد جيد ، احياء علوم الدين ١/٦١ .

الفصل الثاني

دور المسجد العملي في الدعوة

المبحث الأول

خاصية المسجد ودوره في التربية ودور الداعية

المسجد يحمل خاصية أساسية بالنسبة إلى المجتمع المسلم ، فهو مصدر إشعاعي وتربوي هام ، كما أن له في حياة المسلم منزلة ترتبط إرتباط وثيقاً بحياته الروحية والقلبية ، فتتعلق به النفوس وترفرف حوله الافئدة ، وتحيط به أطياف القبول ، وتلفه أشعة القدس ، وأضواء الهداية لأنه : ـ

أولاً : موضع الالهام والنور والاتصال بالحق سبحانه في الصلاة في القيام والركوع والسجود ، في الدعاء ، والرجاء ، والخضوع ، موضع التزود بالتقوى ، ولهذا أمرنا الحق سبحانه أن نلوز به ، ونقيم عنده الوجوه ، ونخضع له المشاعر فقال سبحانه ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الاعراف ـ ٢٩

فإذا شغفت به النفوس وتعلقت به القلوب رفرفت على هام الانسان رايات الفلاح وخفقت أمامه أعلام الفوز والقبول ولهذا عد الرسول ﷺ هذا الصنف أي الذي علقت به قلوبهم ، عدهم من الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلى ظله ، فقال ﷺ « ورجل قلبه معلق بالمساجد » نعم بيوت الله في الأرض وأحبها إليه ، روي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله تعالى أسواقها »[١] المساجد لأنها موضع الطهر والمتطهرين والتائبين والعاكفين والركع السجود ، وأبغضها إلى الله الأسواق التي يكثر فيها الغش وإقتراف المحرمات ، واللايمان الفاجرة .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه وسلم «من تطهر

(١) مسلم ـ م رقم ٢٤١

في بيتـه ثم مشى إلى بيت من بيـوت الله ليقضي فـريضـة من فـرائض الله كـانت خطواته ، إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة»(١)

ثانياً : لأنه مهبط الملائكة تنزل فيه ملائكة الله بالليـل والنهار ، يقـول ﷺ «يتعـاقبون فيكم مـلائكة بـالليل ومـلائكة بـالنهار» ولأنـه منزل الأطهـار والابرار وصـدق الله ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ومنسـك القائمين والركع السجود وموطـن البشريات والرحمات ، وقد أشار الله إلى شيء من ذلك في قصة زكريا فقال تعالى ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٣٩) ﴾ آل عمران ـ ٣٩ .

ثالثاً : بيت الرجال ومسكن العزائم ومبعث الهمم ووعاء المشيئة القاهـرة الغالبة وصدق الله : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ليجزيهم الله أحسن ما عَمِلُواْ ﴾ النور ـ ٣٧ .

رابعاً : لأنه مصـدر الانطـلاقـة الأولى للدعوة الانسـانية «دعـوة الاسلام» ونبع الهداية الربانية ـ دعوة القرآن ـ فلقد كان المسجد في المدينة هو القاعدة وهـو المرتكز الـذي تدور حـوله قـاعدة الجهـاد الكبرى ، والمحـور الذي تلتف حـوله الأفكار والعواطف ، والأحاسيس التي زرعت الحب والأخاء والأمن والـطمأنينـة والسلام في الأرض ، والمحضن الذي يربي الصفوة والـرواد الذين حملوا مشـاعل النور والحضارة وطوفوا بها في البلاد ونادوا إليها الأفـاق ، فكانت حضـاره حملت صفة المسجد ورائحته وطهره ، لأنها حضارة ربانية حانيـة كريمـة ، تربي عقولاً، خالية من الشرور ، والانحراف والفساد والبغى ، وتربي أفكاراً خالية من الأهواء والشطحات والعقد ، وتربي أجساداً وبطوناً لا تعرف السحت ولا تقبل على الأثم

(١) مسلم برقم ـ ٢٤٣ .

ولا تنجذب نحو الحرام ، فاستقامت بذلك الانسانية ثقافة وعقولاً وأفكاراً وأجساداً ، فاستقامت الحياة وأشرقت الأرض بنور ربها ، وشفيت بتعاليم ، الله واهتد بهداه .

خامساً : لأنه شعار الايمان الذي يتنافر مع الكفر والمعصية ، ويتفاصل مع الظلم والبغى والعدوان . فعمار المساجد لهم ضياء كضياء الشمس ، ولهم عزائم لا تعرف الخوف ، وقلوب لا تعرف الوهن ، ونفوس لا تعرف الهوان ، وأعمال لا تعرف البهتان ، معية الله تلازمهم ، وفضل الله يصاحبهم ونصر الله يواكبهم ، لهم في الجهالة حلم وفي الظلمة نوره مثلهم في الناس كمثل الفردوس في الجنة . هؤلاء هم عمار المساجد وقصادها وخريجوها ، وروادها وصدق الله العظيم : ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ التوبة ١٧ ، ١٨ ، وقال ﷺ «ألا أدلكم على ما يمحو به الله الخطايا ويرفع الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال : اسباغ الوضوع على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » رواه الرباط » مسلم م ـ ١٣٣ .

دور المساجد في التربية

إذن فللمسجد دور متميز في التربية الإسلامية تلك التربية التي تؤسس على العقيدة والايمان ، والتي أساسها الربانية في الفهم والقول والعمل وصدق الله ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران ـ ٧٩ .

ولهذا فإن الملامح الأساسية لهذه التربية تتلخص فيما يأتي : ـ

أ ــ التربية النفسية والروحية التي تتمثل أولاً : في الصلة بين العبد وربه ، حتى يكون العبد في قرب ووصل وولاية لله : ويتمثل ذلك في قوله عليه السلام في الحديث القدسي : إن الله تعالى قال : ﴿من عادي لي ولياً فقد أذنته

بالحرب ، وما تقرب اليّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ، ولئن استعادني لأعيذه ﴾ رواه البخاري ١١ : ٢٩٢ - ٢٩٧ .

٢ - التقوى : التي تجعل الانسان عامر القلب واجل النفس متطلعاً إلى ما يرضي الله دائما ، فيكون معه دائماً عناية الله ، وصدق الله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ الطلاق ٢ ، ٣

وقال تعالى : ﴿ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الانفال - ٢٩ .

٣ - في تضحية المسلم في سبيل عقيدته ومبادئه لأنه بايع الله على التبليغ لدعوته وإقامة رسالته في الأرض . بيعة جامعة مانعة لا تدع عذرا لمعتذر ، ولا سبيلاً لمتكاسل : قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] فالمسلم دائماً حرب على الفسق والكفر والجحود وعلى الظلم والبغى والعدوان ، الذي لا يرتدع إلا بقوة الحق وهيبة الصادقين وقد كان ذلك في بيعة الرضوان لما أشيع أن المشركين قتلوا عثمان رضى الله عنه وأثروا البغى على المعروف والجهل على العقل فما كان من رسول الله وصحبه وهم قلة إلا أن عزموا على ملاقاة الباطل المتغطرس فكانت بيعه على الجهاد ، فخاف المشركون واحترموا الحق وكانت وقفة للابطال أسمعت التاريخ وأسمعت الدنيا وسجلها القرآن بقوله تعالى ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ

(١) التوبة - ١١١

ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ الفتح ـ ١٨ ـ ١٩ .

ب ـ الأخوة الايمانية التي تربط بين المسلمين برباط العقيدة والايمان وتأخذ بيدهم إلى طريق الحب والتعاون والايثار ، هذه الاخوة التي جعلها الله سياجاً للانطالاقة الايمانية فكانت نعمة من الله لعباده وصدق الله ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ آل عمران ـ ١٠٣ .

وتتمثل هذه الأخوة في عناصر معينة منها :

أولاً : الحب الخالص من الهوى والغرض والشهوة والأثم ، والذي يجد المسلم له حلاوة في فمه ومذاقاً كريماً في حلقه يوضح هذا قول الرسول ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف به في النار» متفق عليه وقوله ﷺ : «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحابتم ، أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم م ـ ٥٤ .

ثانياً : التكافل والتعاون على البر والتقوى والنصيحة لكل مسلم ، قال تعالى :﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ المائدة ـ ٣ .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ العصر ١ ـ ٢ .

لأن الايمان طريق إلى العزة والسعادة والنصر يمر من خلال عمل المسلمين ومن بين خفقات قلوبهم ودروب أعمالهم وشواهد أفعالهم .

قال ﷺ : «الدين النصيحة» قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم . م ، ٥ أبو داود (٤٩٤٤)

ومن ذلك قضاء حوائج المسلمين قال ﷺ : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » متفق عليه .

ثالثاً : الستر وإصلاح ذات البين : لأن للمسلم حرمة ، ولسمعته حرمة ، ففضحه جريمة وفاحشة ، وعمل كبير البهتان ، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ النور - ١٩ .

وقال إصلاح ذات البين لأن الاخوة تقتضي إصلاح الخلل والعطب في الجسد المؤمن وتقتضي أبعاد التمزق والهوان والفرقة : قال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾الحجرات - ١٠ وقال تعالى ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾وقال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾الانفال١ قال ﷺ : «كل سلامي من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليه متاعه صدقة ،والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الاذى عن الطريق صدقة» متفق عليه .

جـ - الثقافة النافعة المرتبطة بالضوابط الخلقية ، وبالمثل والتعاليم الربانية ، وهذه الثقافة تنطلق من قاعدة صلبة وهي العقيدة والسلوك الإسلامي الكريم ، وتظهر آثارها في عناصر معينة أهمها .

أولاً : العلم النافع الذي يسعد الحياة ولا يشقيها ويصلح الناس ولا يفسدهم ، ويعدل الغرائز ولا يطلقها أو يهيجها ، العلم الذي يقع محله ، ويصيب موضعه وصدق الله ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ وقد تعوذ الله ﷺ من علم لا ينفع فقال : نعوذ بالله من علم لا ينفع» رواه ابن ماجه باسناد حسن .

---

(١) البقرة - ١٦٩ .

ثانياً : العلم الموصول بالتدبر في مخلوقات الله وفي بديع صنعه وعظيم إحسانه ، وهو أن كان يعمل في الدنيا ، ويصلح فيها ولكنه لا ينس الآخرة وما يعد لها ، فيكون العلم بهذه الطريقة وهذا المنطلق معاشاً للدنيا وبلغة للآخرة ، ومعبرا إليها ، ولا يكون الانسان بعلمه من الغافلين الذي أخبر الحق سبحانه عنه بقوله : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ الروم -٧

وقال تعالى يعلم المؤمن دستوره في الحياة ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (القصص - ٧٧)

ثالثاً : ثقافة للعمل والتطبيق وليست للكلمات والشطحات أو الأماني فقط بدون عمل لها أو إستعداد قال تعالى : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف - ٢ - ٣)

ثقافة تربي على تحمل التبعات وتحمل المسؤوليات ، لا على الخداع ، والرياء ومص دماء الناس وأكل لحومهم وشرب عرقهم ، وصدق الله ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ الاعراف ١٧٥ - ١٧٦ .

رابعاً : فتح المجال للعقل النابه والفكر المستنير أن يفهم ويستوضح ويناقش ، بواسطة الدروس الهادئة ، والدراسات المتأنية على أيدي صحبة مباركة وثلة عالمة ونخبة مختارة من أصحاب الصفات الكريمة والاخلاق العالية ، الذين يحملون العلم والادب والصبر والمصابرة ، محتسبين أو متطوعين ، أو محبوسين ومرابطين لهذا العمل الهادىء الكريم العظيم ، وصدق الله ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ

رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾الاحزاب - ٣٩ .

دور الداعية في المسجد

لما كانت الانطلاقة الاولى للدعوة الإسلامية مصدرها المسجد ، وكان الرجال الاوائل الذين حملوا اللواء ولبوا النداء إلى المجد أشبال المسجد وشباب بيوت الله ، وكان العلماء والفقهاء والبلغاء خريجي بيوت الله وكانت النهضة الحضارية الإسلامية مبعثها روحانية المسجد ، كان على الداعية المسلم أن يلتفت إلى المسجد لفتة خاصة وأن يعتني به إعتناءً كبيراً ، وأن يعده الركيزة الاولى في بناءاللبنات الإسلامية الجادة والمخلصة العاملة لحمل رسالتها وإرضاء ربها .

ولما كانت قلوب المسلمين ترتبط بالمسجد وتهفوا إليه ، وتلتف حوله ، ترشف الزاد منه وتقبس الأنوار من مشكاته ، كان على الداعية المسلم أن يحافظ على رسالة المسجد وأن يقنن من البرامج ما يزيد الاستفادة من هذا الارتباط ويقوي الأواصر بهذا النور وذلك الاشعاع .

وإذا نظرنا إلى رسالة المسجد وإلى جهد الداعية الذي يجب أن يصاحب تلك الرسالة نجد أنه بالنظر إلى عمل الرسول ﷺ وصحبه من بعده وسلف الأمة الصالح ، وبالنظر إلى واقع المسجد الذي كان عليه في الصدر الاول ، يبرز من خلال ذلك كله برنامج معين يجب أن يقتفي الداعية أثره ويسير على منواله ، وقد يصاحب ذلك بعض الأعمال التي يقتضيها إختلاف العصر والزمان ، مما تتواكب مع البرامج الاولى للعصر الزاهر ، من هذه البرامج ما يلي : -

أولاً : دور المسجد العلمي

يقوم المسجد بأجل وأسمى راسلة علمية عرفها التاريخ وسمعتها الانسانية

إلى اليوم . وستظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها منها : -

١ - دروس العلم وحلقات الدرس إلى تبصر المؤمن في لقا هـادىء بأمـور دينه ودنياه ، وتربي ملكته العلميـة والخلقية والابـداعية ، وتكـون هذه الـدروس ممتدة الوقت متنوعة العطاء محتسبة الثواب ، لا يغادر الدرس صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا شاردة أو واردة إلا إستقصاها . يعرض الداعية في تلك الـدروس على مهل ، ويروى بتأني وتؤدة ، حتى يؤتى الزرع ثماره كل حين بإذن ربه .

٢ - يجب أن يزود المسجد بمكتبـة جامعـة لامهات الكتب النـافعة ولنتـاج الفكـر المسلم المتجدد ، لتعـاون الكتاب مـع الداعيـة في تغذيـة العقـل والفكـر والأخذ بيده إلى الطريق المستقيم ، وليعمل المسجد عمله في الداخـل والخارج ، في أروقته ، وتحت مظلته وفي خارج نطاقه في المنزل وفي غيره ، حيث أن الكتـاب الإسلامي يحمل روح المسجد وعبيره مع حامله وقارئه في أي مكان ذهب إليه .

٣ - مكتبـة الصوتيـات والمرئيـات : كما ينبغي أن يلحق بـالمسجد مكتبـة صوتية ، فكل داعية نابه وكل عالم فحل يجب أن يحفظ حديثـه وكلامـه وعلمه إن لم يكن في الصدور ففي السطور والاشرطة المسموعة والمسجلة عن طريق الصوت والصـورة ، إن أمكن ليكـون أملك للنفس وأثبت في الـذهن وأقـوى في التـأثـير والتوجيه والريادة ولأن الـداعية يجب أن يسخـر أحدث أدوات العصـر فيما ينفـع لخدمة رسالته وأمته ، ولا يترك هذا المجال لأعدائه يتسلحون به ويظل هو خـالي الـوفاض من كـل سلاح ، ولأن الـداعية مـأمـور بالتبليغ بكـل أدوات التبليـغ والتأثير ، وإن لم يفعل يكون غـير مبلغ ، كما يستتبـع ذلك أن يكـون عنده آلات التصوير والعـرض المخصصة لهـذه الدروس والمحـاضرات ، والمجـالس العلمية النافعة .

- كـما ينبغي أن يكون للكلمـة المكتوبـة دور في المسجد من خـلال مجلات

الحائط ، أو المجلات المطبوعة ، حتى يتعود رواد المسجد من الشباب ومن المثقفين على الكتابة في شتى الموضوعات التي تهم المجتمع المسلم وتوجهه الوجهة المطلوب منه ، وحتى تبرز هذه المجالات ما في التراث الإسلامي من سير وحكم ونوادر ومثل وتعاليم ، يحتاجها المجتمع المسلم حتى لا يتطلع إلى ما عند غيره من المجتمعات اللاهية الماضية ، وحتى يطلع المجتمع المسلم على كل جديد نافع في عصره وكل مبتكر مفيد في أمته ، كما يحذر من كل مهلك ، مدمر ، وينتفع بكل عبرة ، ويكون له قلب ويلقي السمع وهو شهيد .

٤ ـ المحاضرات في المساجد : للمساجد دور كبير كما علمنا في نشر الثقافة فيجب أن تكون مزودة بقاعات للمحاضرات حتى تكون محط أنظار المثقفين وحتى تواكب المد الثقافي في كل عصر ، فقد تكون المحاضرات في المسجد ، وتكون أيضاً في أماكن ملحقةبالمسجد لما قد تقتضيه الظروب من عرض لوسائل الايضاح ومن حضور في غير أوقات الصلاة ، أو من استعدادات معينة قد تشغل المسجد عن إقامة الشعائر في خشوع ، إلى غير ذلك من الأمور التي يكون من الافضل أن تكون ملحقة بالمسجد .

ويجلب إلى هذه القاعات المحاضرون من النابهين في الدعوة وفي الأمور العلمية المختلفة ويدعي إليها كل إنسان لسماع تلك المحاضرات والاستفادة منها ، فيكون المسجد محورا للثقافات المختلفة ومحركا للحياة الفكرية ، كما كان في الصدر الأول .

٥ ـ دروس التقوية ، من النشاطات العلمية التي يقوم بها المسجد ودعاته ، العمل على ربط الشباب بالمسجد بأنشطة مختلفة منها دروس التقوية في العلوم المختلفة ، ومساعدة التلاميذ على الفهم والتحصيل والاستيعاب ومساعدة غير القادرين على ذلك بتوفير ما يلزمهم بأقل جهد وأيسر تكلفة تحت رعاية فئة

من المدرسين العاملين في حقل الدعوة أو من المحبين للخير فيكون ذلك أدعى للقدوة الحسنة وللتربية بالمعايشة والمثل الحي ، والرعاية الطيبة ، وتكون تلك الدروس بعضا من العطاء الذي يعطيه المسجد للطالب وعطاءات المسجد متنوعة ، لكل حسب حجمه وحاله ووقته ، فيحس الطالب بدور المسجد في حياته عملياً وروحياً بالمنطق الذي يعيه ويقدره .

ثانياً : دور المسجد الروحي والتربوي .

لا شك أن دور المسجد الروحي في عمق الإنسان المسلم غائر الجذور لما للصلاة المكتوبة والمندوبة من دور في صلته بربه وإتجاهه نحو مولاه ، ولما للدروس والخطب والعظات من تأثير في نفسه وكيانه ، ولما لجو المسجد من الروحانية الغامرة التي تسكب في الارواح والنفوس .

ولكن هناك أمورا يجب أن تتبع حتى تتمكن هذه الرواحانية من القلوب والنفوس وتتجسد حقيقة في المجتمعات الإنسانية من هذه الامور .

١ ـ الإخاء الإسلامي : فكرة الإخاء يجب أن تعاد من جديد في جو الحياة العصرية الخانق وفي جو المادية الجارفة ، الإخاء والتعارف والتكامل والتزاور ، والإجتماع على الخير ، وعلى كتاب الله وعلى حلقات العلم ، وعلى مساعدة المحتاج وقضاء الحوائج وخصوصاً إذا كان الإنسان غريباً عن دياره ، فإنه يتآخى مع أخ له في الإسلام من أهل البلدة يسهل له أمره ويزيل عنه حرجه ويقضي له حاجته ويبصره بأمره ويستر عورته ، (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (الحشر ـ ٩)

وتحت مظلة الأخوة الإسلامية المقصودة من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] ومن قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ[2] ﴾ تنظم هذه

---

(١) الحجرات ـ ١٠ (٢) التوبة ـ ٧١

الأخوة النافعة المأمور بها في الإسلام ، وأولا بهذه الأخوة أن تكون تحت سقف بيت من بيوت الله . ويقوم على تنظيم تلك الأخوة الدعاة مع إدارة المسجد ، وأهل الخير والصلاح .

٢ - الإعتكاف والتهجد ، وأصله وحقيقته : هو المكث في المسجد بنية التقرب إلى الله تعالى والاعتكاف منه مسنون ، ومنه واجب ومنه مستحب ، فالمسنون ما تطوع به المسلم تقرباً إلى الله وطلباً لثوابه وإقتداء برسول الله ﷺ ، ويتأكد ذلك في العشر الأواخر من رمضان ، والاعتكاف الواجب هو ما أوجبه المرء على نفسه ، وفي صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله أني نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال ﷺ « أوف بنذرك » .

والاعتكاف المستحب ليس له وقت محدد ، فهو يتحقق بالمكث في المسجد مع نية الاعتكاف سواء صاحبه صيام أم لا ، والتهجد من صفات عباد الرحمن قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴾(١) وقال تعالى لرسوله ﷺ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(٢) وقال ﷺ : «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقربة لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد » ، وقال ﷺ «افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» الحاكم وابن ماجه والترمذي حسن صحيح : لهذا ينبغي أن يعوّد المسلم حب الإعتكاف في المساجد وحب قيام الليل وهذا يوثق الرباط بين الأخوة المسلمين وبين القائمين على أمر هذه الرسالة .

٣ - الصيام أيام في الاسبوع ، كيوم الاثنين والخميس مثلاً والأفطار جماعة أو عند أحد الأخوة ، فرجال أو شباب المسجد حينما يفعلون ذلك تتوثق أواصر

---

(١) الفرقان - ٦٤ (٢) الاسراء - ٧٩

الصـداقة والمحبـة بينهم أكثر ويكـون ذلك عـونـاً لهم عـلى طـاعـة الله وأدنى إلى الاقتداء بهم والانضمام إليهم والسير على سننهم .

٤ ـ إقـامة حلقـات تحفيظ القرآن في المسجـد ، حلقات خـاصـة بـالحفظ والتجويد للكبار ، وحلقات للصغار والشباب قال ﷺ «خيركم من تعلم القـرآن وعلمه» رواه البخاري .

وروى مسلم عن أبي موسى قال : قـال رسول الله ﷺ «مثـل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجه ريحها طيب وطعمهـا طيب ، ومثل المؤمن الـذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لهـا وطعمها حلو ، ومثـل المنافق الـذي لا يقرأ القـرآن مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر»

ولهذه الحلقات فضل كبير حيث تجمع القلوب على كتاب الله تبارك وتعـالى وعلى فهم معانيه وتدبر أحكامه وتنفيذ اوامره وإجتناب نواهيه ، فضـلاً عن فضل القرآن وما أعد لأهله من الثواب الجزيل .

٥ ـ رحلات العمرة وأداء فريضة الحج ، وأمثال هـذه الرحـلات المباركـة تـربط القلوب ببيوت الله وتسـاهم في تخفيض النفقات ، وتجعـل النـاس جسـداً واحداً ، يخدم بعضهم بعضاً ، ويساعد بعضهم بعضاً وتخلق في الأحيـاء قيادات قادرة على التصرف وعلى عمل الخير .

٦ ـ اطعام الفقراء وايواء المحتاجين المنكوبين وتدبير أمور الناس في أوقـات الحاجة ، خاصة في وقت الحرب والطواريء .

المبحث الثاني
دور المسجد الاجتماعي وما يقوم به من أنشطة

كان للمسجد دور اجتماعي عريض زمن رسول الله ﷺ وفي عصور السلف الصالح رضوان الله عليهمك اجمعين، كان يتمثل في اشياء كثيرة تساهم في رعاية الأمة، ومنحها ما تحتاجه من عطف وعناية ومساعدة وبعبارة أدق كان يساهم في رعاية الحياة الانسانية للمسلم باثقالها وتبعاتها، ومشكلاتها وعقباتها، ليقيم مجتمعاً يحقق مبادئه ويطبق نظريته في الوجود ويفسر رأيه في الحياة، وبهذا كان لا يمكن أن ينأى الاسلام عن المجتمع ولا أن يبعد المسجد أو التوجيه الروحي عن زخم الحياة وتيارها المتدفع، لأن الاسلام يجعل رعاية الانسان هي من صلبه ومن حقائقه وصدق الله (أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ) فلن يرضى الاسلام أبداً عن مسلم يخلص في عقيدته وعبادته ثم يقصر في دوره الاجتماعي ويعيش في فردية وأثرة، لا يشارك في تحقيق الطمأنينة والعدالة والعون إلى الانسان وإلى الحياة.

ولهذا دائماً ينبهنا الحق سبحانه إلى هذا الدور فيقول جل شأنه ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ سورة البلد - ١١ - ١٨.

ثم يعيب على من غلظت قلوبهم فتناسوا هذا الدور الهام فيقول: ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ الفجر - ١٧ ويقول: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ الحاقة - ٣٣ - ٣٧.

فكان المسجد لهذا الحقيقة لا يميز بين جانب معرفة الله وعبادته وبين التزامه بالحياة.

ولهذا كان هو مكان الفقراء وأهل الصفة، وكان هو موطن مساعدة المحتاجين ومركز الرعاية والنهضة، لذلك يجب أن لا تعزل المساجد عن رسالتها في حياء المسلم وينبغي كذلك على الداعية، أن يستغل هذا الدور في دعوته وفي احياء مهمة هذا الصرح الاسلامي العظيم بما يلي:

١ ـ في أعمال البر والخدمة: فتنظم في المساجد اعمال البر، من جمع للصدقات والزكاة ، والاعانات وتوزيعها على مستحقيها من المحتاجين سواء كانوا من المتعففين الذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف أو من الذين يسألون الناس الحافاً، وتقديم المعونات تلك أو استقبالها سواء أكانت في صورة نقدية أم عينية، كلحوم الأضاحي وجلودها، أو الملابس وقطع القماش، أو الأشياء المنزلية إلى غير ذلك. لرعاية الاسر الكريمة التي اخنى عليها الدهر، والاسر التي فقدت عائلها، والاسر التي اصابتها النكبات، كالحريق، والغرق.

٢ ـ اعمال انسانية كمساعدة العاطل في الحصول على عمل، بالاتصال باصحاب الاعمال والمؤسسات وتزكية المصلحين من رواد المساجد الذين يمتازون بالاخلاص في العمل وطهارة اليد، والخبرة. ومساعدة اصحاب رؤوس الأموال الصغيرة في تشغيلها لدي المؤسسات التجارية الموثوق بها لتدر ربحاً لاصحابها، وتنفع المؤسسات التجارية العاملة حسب قواعد وتعاليم الشريعة الاسلامية.

٣ ـ التربية المهنية والاشراف عليها في دور ملحقة بالمسجد أو في الحي نفسه، مع رعاية الأسر المنتجة واستغلال ربات البيوت لأوقات الفراغ فيما يعود على الأسرة وعلى المجتمع بالخير، بعمل السجاد والملابس الجاهزة، واعمال التريكو، الخ.

٤ ـ إقامة دور للحضانة أو استغلال بعض الأسر الفقيرة لرعاية أطفال المسلمين خاصة من يحتاج أولادهم إلى رعاية لاسباب متعددة، كاليتم وغيره.

٥ ـ تعهد اصلاح المساجد والمدارس الخيرية وبيوت الفقراء المتهيئة للسقوط وللمحافظة عليها، وامداد المساجد بالخطباء من أهل الصلاح والتقوى.

٦ ـ إقامة المستوصفات الخيرية بأجر رمزي لعلاج الفقراء ورواد المساجد لسلامتهم جسدياً وروحياً.

٧ ـ إقامة لجان للمصالحات بين الناس، وتيسير الزواج للراغبين فيه والراغبات والمساعدة، في تيسير امور العروسين، من جهاز ومسكن.

الدور الرياضي للمسجد

المعروف أن الاسلام يعني بالجسم السليم وبالقوة الجسدية، يعني بالعقل السليم وبالقوة الروحية، قال ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» مسلم.

لهذا ينبغي أن تكون بجوار المساجد نوادي للرياضة البدنية والرعاية الاجتماعية لتلبية رغبات النفس المسلمة من الحلال واستغلال ذلك الحلال في التربية على الاخلاق الحميدة وزرع معاني العقيدة في نفسه وتعويد الطفل حب الآخرين وتقوية بنيته. أخرج الامام احمد باسناد حسن عن عبدالله بن الحارث رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ، يصف عبد الله وعبيد الله، وكثير ابن العباس رضي الله عنهم ثم يقول «من سبق إلى فله كذا وكذا» قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلتزمهم».

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علموا أولادكم

السباحة والرماية ومروهم فليثبـوا على الخيـل وثباً» وانـطلاقاً من تلك النصـوص وغيرها نادي علماء التربية الاسلامية بحاجة الشباب إلى اللعب والمرح والترويـح عن النفس بعد الانتهاء من الدروس والعمل.

قـال الغـزالي في الاحيـاء: ينبغي أن يؤذن «للصبي» بعـد الانصـراف من الكتـاب أن يلعب لعباً جميـلاً يستريـح إليـه من تعب المكتب بحيث لا يتعب من اللعب فـإن منع الصبي من اللعب وارهـاقه بـالتعلم دائـماً يميت الـطلب ويبـطل ذكاءه وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص من التعليم.

لهـذا ينبغي أن يكون هنـاك مساجـد تشرف عـلى هذه المؤسسـات حتى لا ينفصل التوجيه الرياضي عن التوجيه الخلقي، وحتى تكون للرياضة غاية وهدف ولا تكون هي الغاية والهدف.

ولهـذا ينبغي أن تلحق بالمسجـد كذلـك ميادين الـرمايـة، وفرق الكشـافة وأحواض السباحة ليكون شبل المسجد هو الريـاضي وهو الكشـاف وهو السبـاح والفارس صاحب الغاية الكريمة والاعداد الجيد.

النشاط النسائي

المرأة المسلمة لها دورها المميز في الحياة الاجتماعية في الأمـة الاسلاميـة وفي المجتمعات المؤمنة.

ولقد برز دور المـرأة المسلمة في الحيـاة الاسلاميـة من أول يوم ظهـرت فيه تلك الدعوة وقام بها الرسول الامـين ﷺ. وظلت فيها بعـد عونـاً وواحة كـريمة، للرجل المسلم تعينه على مرضاة الله، وتكون له سكينة ومودة، وتهيىء له جواً من الأنس والـطمأنينـة والعون، تشـد من أزره وترفـع من همته، ولهـا في ذلك قـدوة

صالحة كريمة بالسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حين وقفت مع رسول الله ﷺ في دعوته إلى ربه، تواسه بما لها ونفسها ، وتشجعه وتشد من أزره .

فكان لها من الأثر ما لم يكن للرجال العظام وللابطال الكرام،

فالمرأة المسلمة ليست كأي امرأة، المرأة المسلمة لها رسالة ولها هدف تسعى إليه وتهرول نحوه، فهي أولاً، المدرسة الأولى التي تكون الاجيال وتصوغ الناشئة. وهي التي تضع اللبنات الأولى في صرح البطولة والعزيمة المتقدة في صدور الشباب والرجال على السواء وهي ثانياً: شقيقة الرجل في قصة الكفاح العظيم، والواجب الكبير الذي كلف الله به الأمة المسلمة من تبليغ لرسالته، وقوامة على شرعه وهداية لخلقه.

وصدق الله ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة ٧١ .

وهي ثالثاً: نصف المجتمع العامل النابه كالرجل. لها دورها في الحياة في الانتاج بما يناسب طبيعتها في الحياة الاجتماعية النامية وفي الحياة الاسرية والبيتية ، فالمرأة المسلمة ليست كالمرأة المتفسخة الجاهلة ؛ لا يهمها إلا المظهر الخلاب والأناقة الفاتنة والزينة الفاجرة والسهرات اللاهية ، والأزياء الخليعة ، وإنما هي امرأة نابهة تقف على ثغرة في الحياة ، وتقوم على صرح في الأمة تعمل على أن يكون دورها ويكون فعلها مؤثراً ممتازاً .

انطلاقة المرأة:

ينبغي أن تنطلق المرأة للعمل للاسلام من بيتها ومنزلها، ثم من المسجد أو من دور ملحقة بالمسجد مخصصة للنساء.

دور المرأة في المسجد:

ولا يقتصر دور المرأة المسلمة في هذا العصر على الصلاة في المساجد فقط وإنما يتعدى ذلك في هذا العصر المتشابك المتصارع إلى أنشطة أخرى تؤدي دورها الفعال في المجتمع الاسلامي من هذه الأنشطة.

١ - دروس العلم والمعرفة للنساء من امهات وبنات المجتمع المسلم فنحن نعلم أن المرأة المسلمة اليوم على قدر كبير من التعليم وبعضهن قد تعلمن تعليماً دينياً وتربوياً يؤهلهن لمحاربة المذاهب والنظم المعاصرة الهدامة، والأفكار والشطحات المدمرة الدخيله، على البيت المسلم وعلى الأمة المسلمة، كما يؤهلهن، لتعليم الأداب والتعاليم الاسلامية. وبعث روح الايمان المتحرك المتقد في داخل الاسرة والمرأة المسلمة، وبث روح الكفاح والجهاد والثقة في النفس المؤمنة، حتى تؤثر فيما حولها وتصبغه بصبغة الطهر والنقاء والريادة.

ولهذا يجب أن يعمل على تربية جيل من الداعيات للدعوة إلى الاسلام وتعاليمه في المحيط النسائي. حتى تقوم نماذج للمرأة المثالية التي تثور لكرامتها وحيائها، فتنسف تلك النظم الداعرة الاباحية الفاجرة وتحمي اعراض الأمة من هذه الهجمة الاباحية المسعورة التي تريد أن تقضي على البقية من أخلاق الأمة ومقومات سعادتها، كما تقي بذلك الأمة من المخادعين المتاجرين بشرفها، واعتبارها متاعاً وسلعاً تباع وتشتري في ساحات الاهواء الفاجرة والشهوات الجامحة.

٢ - مشاركة المرأة في النشاط الاجتماعي للأمة بشرط أن يكون العمل خيراً، وفي وسط ومجال العمل النسائي، مثل :

تنطلق المرأة في العمل الاسلامي للتفاعل مع المؤمنات بشكل إيجابي تـدعو المسلمات والاسر المؤمنة بسلوكها وإيمانها والتزامها وتطبيقها للاسلام كقدوة حسنة لنساء الاسلام ولتربية الايمان ، توضح حقائق هـذا الاسلام وتنفـذه عملياً كـما تعلمته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لتخرج النساء والأسرة ؛ من أسر العادات الدخيلة والأفكار المستوردة الغربية ، التي تتشبه بـانحرافـات العصر وبـأمراض المذاهب الهدامة التي دخلت على مجتمعاتنا دخول اللص القذر، تسلب الايمـان والطهر والفضيلة من النفوس .

إن المجتمعات الاسلاميـة اليوم تتلفت إلى دور المـرأة المسلمة وإلى عملهـا المؤثر الذي يترك أثاره خيراً وبركة وهدى على الفطرة، ويعـالج أمـراض المجتمع بـايجابيـة وواقعية وبسـاطة، هـذا الدور الـذي يثبت الله بـه ضعيفـات النفـوس ومثيرات الشهوات والفتن.

لهـذا كانت حـاجة المجتمعـات الاسلاميـة ملحة إلى جهـد المـرأة المسلمـة العاملة لدينها ورسالتهـا، لأن بناء المجتمـع المسلم يحتاج دائـماً إلى نساء مؤمنـات يتسلحن بالوعي والطهر ويسعين نحو الهدف بثقة وصبر واعزاز، لتخريج أجيـال مؤمنـة عظيمـة ونسـاء يتـأبـين عـلى الـذل والشهـوات ويستعصـين عـلى التقليـد والانحرافات، ويكن لهن الشخصيـة المتميزة الخـلاقة المبـدعة، في مجـال السعادة والمجد والعزة ويكن لهن كذلك الدور المهم في تكوين البيئة الاسلاميـة، والعرف الاسـلامي الصحيح ، الـذي يثق في خطوه ويقيم حيـاة الفرد والاسـرة والمجتمع على نهج قويم مؤثر فعال.

أ ـ مساعدة اسر الفتيات وبعض العائلات الفقيرة، بتقديم الكساء والمعونات الغذائية، والعلاج، وغير ذلك من المساعدات.

ب ـ العمل على تعليم الاسر الفقيرة بعض الصناعات مثل الحياكة، والنسج، وعمل السجاد، واعمال الابرة والتطريز إلى غير ذلك من الأعمال النافعة كعمل زي اسلامي مناسب للسيدات إلى غير ذلك.

جـ ـ انشاء دور للحضانة لمساعدة ربات البيوت والعاملات ولتربية الصغار على المبادىء الاسلامية وعلى الاخلاق الفاضلة، وكذلك انشاء دور لرعاية اليتامى والمسنين والعجزة.

د ـ القيام بالاصلاح بين السيدات في البيوت ومعالجة الشطحات والتجاوزات التي تسبب في خراب الاسرة وتقطيع أواصر المجتمع.

هـ ـ نشر الثقافة الصحية والقاء التوجيهات وتعليم ربات البيوت الاسعافات الاولية وتنظيف الجروح والحروق وتضميدها، وتعليم اعطاء الحقن والمبادىء الطبية المتعلقة بالوقاية الصحية.

و ـ القيام بدور مهم في محو الأمية بين النساء، وتعويد النساء طرق تربية الأطفال، والقاء الدروس في الاقتصاد المنزلي، وفي واجب الاسرة في تنمية المجتمع المسلم، وأن تزاول عملاً اقتصادياً مهما كانت الاسرة غنية، وأن تشجع الصناعات الوطنية.

ز ـ الأعمال الجهادية، إذا تقدمت المرأة لحمل اعباء الجها في امتها، يجب كذلك أن يكون انطلاقها من المسجد، تتعلم الاسعافات الاولية، والتضميد، واخلاء الميادين والتدريب على أعمال التغذية والاتصالات والدفاع عن النفس، والتوعية المدنية، وقد كانت المرأة على عهد رسول الله ﷺ تشارك في الأعمال

الاجتماعية والحربية عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية ، قالت نسيبة بنت كعب الانصارية « غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ، وكنت اخلفهم في الرحال وأصنع لهم الطعام ، وأقوم على المرض ، وأداوي الجرحى .

وعن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: كنا نغزوا مع رسول الله ﷺ، فنخدم القوم ونسقيهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة.

وعن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عمير بن الأسود العنسى أنه حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو بساحل حمص في بناء له ومعه امرأته أم حرام قال عمير : فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا . قالت أم حرام : يا رسول الله أنا منهم ؟ قال : أنت منهم » .(١)

وعن أنس قال: جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك رسول الله ﷺ من أم سليم فقال: يا رسول الله الم تر إلى ام سليم معها خنجر؟ فقال لها رسول الله ﷺ ما تصنعين به يا ام سليم؟ قالت: اردت أن دنا أحد منهم مني طعنته.

وعن انس أيضاً قال: لما كان يوم أحد رأيت عائشة وام سليم وانهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما، تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في افواه القوم ثم ترجعان فتملأنهما ثم تفرغانه في افوان القوم.وهذه ام عمارة التي قال فيهارسول الله ﷺ « ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا وأراها تقاتل دوني »(٢) وهكذا كان دور المرأة المسلمة فعال وايجابي وقوي وظاهر .

---

(١) اخرجه البخاري باب في القتال الروم.
(٢) انظر في ذلك صفة الصفوة ٢/٦٣ وما بعدها. ط دار المعرفة.

الفصل الثالث
دور المدرسة العملي في الدعوة

تمهيد :

المدرسة هي المنطلق الأول لبشائر الطلائع الاسلامية التي تتحرك نحو مستقبل باسم وغد مجيد، تبني للاسلام صرحاً عريضاً شامخاً يحقق الآمال المرجوة منه والأماني المعقودة عليه.

لهذا يجب أن تتوافر الجهود في المدرسة للمدرسين والدعاة، في تكوين جيل قرآني فريد، وفتية صادقي الايمان والعزيمة، وهذا الجيل وهؤلاء الفتية هم عدة الغد وهم جند الحق ورجال الصدق الذين لا تلهيهم الدنيا، أو تلفتهم الشهوات عن تأدية رسالتهم العظيمة، رسالة الاسلام.

المبحث الأول
لا بديل عن الاسلام « الاسلام أو الطوفان »

إن الامة التي لا تتدارك شبابها في سن مبكر، تقيم عوجه وترفع هامته وتحصن سلوكه، لا تلبس أن تحصد الشوك وتجني الحنظل جزاء خمولها وكسلها ونومها الطويل واهمالها الماحق،

أما الامة التي ترعى فتيانها وتربي نشأها فهي التي تجني الثمار الطيبة وتقطف الأزاهير العبقة، وليس أفضل في تربية النشىء من رسالة الاسلام وهداية القرآن، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «ما نحل والد ولداً من نحلة أفضل من أدب حسن» الترمذي.

وقال ﷺ «اكرموا اولادكم واحسنو أدبهم» وأفضل شيء يكون مادة لتلك التربية هي كتاب الله تبارك وتعالى: لعقيدة دافعة عاصمة ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴾ الكهف ـ ١٣.

ولنفس سليمة صحية: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ لقمان - ١٧.

ولسلوك عظيم قيم (قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) المؤمنون - ١ إلى ١١.

وليحذر الجميع آباء وامهات ومربين ومسئولين من الطوفان الجارف، طوفان المفاسد التي تجتاح الأجيال الصاعدة والشباب الغض، فتورثه الصفات الذميمة والاخلاق السيئة والعادات المستهجنة التي منها:

١ - ظاهرة الميوعة والانحلال، التي يحملها إلى الشباب دعاة مارقون مأجورون يصورون الحياة للشباب على أنها متعة شهية، وشهوة هنية، ولذة رضية، فإذا فاتهم ذلك، فاتتهم ليالي الأنس وأيام البهجة والغرام، وما هي في الحقيقة إلا متعة زائلة فاجرة، وشهوة هابطة ساقطة، ولذة خبيثة وأيام ضياع وليالي هوان، ودنيا العبودية والقهر والخبال. ومن مظاهر هذه الأمراض التخنفس والتبرج والتخنث، والاستهتار، والكسل، والتواكل، وعدم تحمل المسئولية.

٢ - ظاهرة التقليد الأعمى: انعدام الشخصية، وذهاب الذاتية وفقدان التماسك. وهذه الظاهرة تجعل الشباب رخو، كالريشة المعلقة في الهواء، وقد روى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال «ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى» أي في العادات والتقاليد، أما في العلم والخير فالحكمة ضالة المؤمن أخذها أنى وجدها. فالمؤمن يأخذ ويتعلم كل ما ينفع كالطب

والهندسة والفيزياء والكمياء ووسائل الحرب واسرار المادة، ولكن المقلدين اليوم من الشباب المخدوع لا يأخذ إلا التخنث والميوعة وموضة الثياب والعرى والتفسخ، والضلال العقلي، والمذاهب الهدامة، واعداء البلاد الاسلامية يساعدونه على ذلك. أما إذا طلب شيئاً من العلم المفيد فلا يعطي ذلك ولا يساعد فيه أو يدل عليه، وهو غافل عن ذلك.

٣ ـ ظاهرة الاغراق في التنعم: والتفاخر بالكماليات والاثاث والرياش، وتحصيل المال من أي طريق وعبادة المادة، والحصول عليها من أي جهة، واهدار الكرامة في سبيلها، ولو كان ثمن ذلك العرض والعزة والفضيلة.

٤ ـ ظاهرة السفور والتبرج والاختلاط، وما يستتبع ذلك من أشياء تنظم هذا الخبث وتلهبه وتحض عليه.

٥ ـ ظاهرة المخدرات والادمان على المهلكات، مع ما تجر إليه من اهلاك للمال والصحة، وتجلبه من علل كالسرطان والسل والربو وتصلب الشرايين، وقد حرم الله ذلك فقال: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[1] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾[2] ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾[3] ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[4].

٦ ـ ظاهرة التشرذم وترك الدراسة والعصيان وحب مخالفة التعاليم واظهار الرجولة الزائفة والبطولة الوهمية والاستهتار بالقيم.

٧ ـ ظاهرة العادة السرية، أو الشذوذ الجنسي، أو الجنس الثالث، وحب الاعتداء على الغير، أو الانطواء، وما يجره ذلك من أمراض نفسية وعقلية واشمئذاذ كل جنس من الآخر، وفقدان الأمم لطاقاتها العاملة الفعالة.

(١) البقرة ـ ١٩٥
(٢) النساء ـ ٢٩
(٣) النساء ـ ٢
(٤) الأعراف ـ ١٥٧

٨ ـ ظاهرة الخجل ، والخوف والشعور بالنقص والكذب إلى آخر تلك الظواهر التي لا تنتهي عند غياب الهدى والتعاليم والعقيدة وقد لاحظ هذا الغربيون وقرروا أنه لا عاصم من هذه الامراض إلا الدين والعقيدة .

قال الفيلسوف الالماني «فيخته» الأخلاق من غير دين عبث قال الفيلسوف والزعيم الهندي غاندي : أن مكارم الاخلاق والدين شي واحد ، لا يقبل الانفصال ولا يفترق بعضهما عن بعض ، فهما وحدة لا تتجزأ إن الدين كالروح للاخلاق ، والاخلاق كالجو للروح وبعبارة أخرى الدين يغزي الأخلاق وينميها وينعشها ، كما أن الماء يغذي الزرع وينميه .

وقال «كانت» لا وجود للاخلاق دون إعتقادات ثلاثة : وجود الاله وخلود الروح ، والحساب بعد الموت[1]

قد رأيت أقوال هؤلاء الفلاسفة في العقائد والديانات ، فما بالك بالاسلام وروحه وروعته .

إنه المعجزة التربوية الخارقة وصدق الله ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ المائدة ـ ١٦ .

والمدرسة إذا لم توفق في التوجيه والتربية كانت مجتمعاً ومحضناً للاوبئة الدخيلة وكانت لقاءات بوار وتعاون على الفجور خاصة إذا كثر فيها الشباب المنحل الذي لا يردعه قانون ولا يحجزه خلق أو يأخذ بيده معلم فاضل .

وخاصة إذا كان هناك كثير من الاساتذة والمعلمين في تلك المدارس لا يعرفون من التربية الصحيحة إلا أنها تقليد للاجنبي في سلوكه وأخلاقه ومحاكاة للغرب أو الشرق في عاداته وتقاليده الذميمة وأفكاره وشطحاته المهلكة . وخاصة

(١) تربية الأولاد عبدالله علوان ـ ١/١٧٩ .

إذا كـانت الكتب المدرسيـة التي يدرسهـا الـطلاب في مـدارسهم مليئـة بـالـدس والتشكيك والطعن في الاديان ، والدعوة الى الكفر والالحاد والتشكيك في كـل ما هو مستقر ونافع .

ووصفه بالاوصاف الذميمة وعرض الخرافات والنظريات المنهارة والمتهافتـة كنظرية دارون وغيرها على أنها حقيقة علمية ، وإتخاذهـا ذريعة الى التشكيـك في الخالق علماً بأن العلم قد أثبت خطأها وشرودها وألقاها في سلة المهملات .

ولهذا وجب على المدرسين والمربين والدعاة أن يهتمـوا بالمـدرسة وبـالتربيـة الإسلامية فيها حتى يخرج الجيل سليماً معفاً ، يحقق الآمال .

المبحث الثاني

خطوات التربية العملية ومراحلها

لا شك أن لكل مرحلة من العمر إهتماماتها الخاصة وتطلعاتها المعنيـة التي ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار عند الداعية والمربي والموجه .

١ ـ مرحلة التصور الخيالي ـ من الثالثة إلى السادسة .

٢ ـ مرحلة الواقعية ـ من السادسة الى المراهقة .

٣ ـ مرحلة الفردية والاستقلال الفكري ـ وتلك تبدأ من فترة المراهقـة ولا بـد للداعية من أن يضـع لكل مـرحلة تصور خـاص في الدعـوة . والمعاملة مـع المدعو ولا بد للداعية في كل فترة من هذه الفترات وكل مرحلة من تلك المراحل أن يقدم الزاد الفكري الذي يسد حاجته . ويتوصـل إلى ذلك بكثـير من الأنشطة الحلال التي تناسب فكره وعقله وميوله

أ ـ مرحلة ما قبل البلوغ

هناك لكل مرحلة حاجات نفسية وعقلية ، فمثلاً مرحلة ما قبل البلوغ تحتاج إلى إشباعات معينة منها .

أ -الحاجة الى الامن والطمأنينة .
ب -الحب والتقدير والعطف والمودة .
جـ -التعرض لبعض المشكلات الدينية والعقلية .
د -إحساسه فيما يتعلق بذاته . فيكره الاحتقار والتهوين في شأنه .
هـ-الحاجة إلى الولاء والإنتماء .
و -الميل إلى أحلام اليقظة .

فيجب على الداعيـة في هذه المـرحلة أن ينتقي من يقوم بهـذا الدور الـذي يأخذ بأيدي الفتية في هذه المرحلة . فيتبع ما يلي :

١ ـ يتعـامل مـع التلاميـذ بحسن التصرف ، فـلا يخرج بهم عـلى النظام العـام للدراسة فيعـرضهم للمساءلـة والمشاكـل الدراسيـة والخوف من العقـوبة ويعرضهم لمشاكل مع الوالدين .

٢ ـ أن يساعدهم عـلى فهم دروسهم بشرحهـا أو إعطاء دروس تقـوية أو نصح في المذاكرة حتى يزدادوا ثقة في أنفسهم ويبتعدوا عن خوف المدرسة ويطمئن الوالدين على أولادهم وعلى مستقبلهم .

٣ ـ أن يعاملهم بحب وتقدير وعطف ومودة ، وأن يتوصل إلى ذلك بحلو الحديث ، أو بتبادل الهدايا أو بالزيارات والرحلات والفسح وغير ذلك .

٤ ـ أن يجيب بغير ضجر على بعض المشكلات الدينية التي يسـألون فيها ، ولا يحـاول أن يسفه من أرائهم أو يعجب منهـا الآخـرين ، أو يلفت إليهـا النـظر للاستهجان .

٥ ـ أن يحاول أن يرفع ذات الطالب ويساعد طمـوحاتـه ويستغل أفكـاره

الطموحة ويربطها بقصص الأبطال وبالصحابة ، وبالفاتحين والمخترعين والعلماء المسلمين .

٦ ـ أن يكون له أخاً وصديقاً وناصحاً وأن يشعره أنه أصبح جزءاً من دعوته وأنه ينتمي إلى ذلك الصحب المؤمن وذلك الرسول الكريم وهذا التراث العظيم تراث الاسلام .

٧ ـ أن يستغل أحلام الطلاب في التوجه الصحيح نحو البطولة الإسلامية واليقظة الايمانية وحب العمل والكفاح والاقدام ، ويقوم بنشاطات يحقق بعضاً من هذه الطموحات .

كما يجب أن يصاحب هذه أنشطة رياضية ، وترفيهية وتمثيلية تساعد على إستيعاب هذه المعاني في جو إسلامي كريم .

ولا يشترط أن تكون تلك الفترة مركزة الدراسة الإسلامية ، وإنما يشترط أن تكون مركزة العاطفة ومعلمة ومقوية للحب الإسلامي والعبادة الصحيحة وأركان الإسلام ، وحب القرآن والرسول والسلف الصالح . والتحذير عموماً من البعد عن رضاء الله وإتباع ما حرم الله .

ب ـ مرحلة ما بعد البلوغ

وهذه تمثل المرحلة الثانوية وما بعدها ، ويتبع صاحبها مراحل نفسية معينة منها :

١ ـ كونه شديد الولاء لمرحلة الرفاق ، ميال للبعد عن توجيه الكبار أو الأهل .

٢ ـ يميل إلى الكتمان . يخاف أن يبوح بما لديه من مشكلات خوفاً من نقد الآخرين .

٣ - يميل إلى التمرد على ما هو قائم طالما لا يتفق مع خططه وأهدافه .

٤ - يتعرض للصراع مع نفسه ومعتقده . يسأل عن الله وعن وجوده ، عديم النضج في أمور الحياة يشك في كل شيء ، وقد ينجرف في أي شيء ولهذا ينبغي كذلك أن تكون لهذه المرحلة دعاتها وقادتها الذين يستطيعون فهم هذه التوجيهات النفسية والعقلية ويستطيعون التعامل معها بحكمة ودراية .

وإشباعها بروية وفكر صحيح ، وخطة حكيمة متأنية وينبغي أن تكون خطوات تلك المرحلة ما يلي :

١ - يستحسن أن ينشط في هذه الفترة مع أولئك الدعاة طلبة نابهون ملتزمون لهم صفات معينة ينالون ثقة الجميع وحب الجميع ، ويكونون مثلاً كريمة لدعوة كريمة مثلاً في العلم ، والطاعة ، والاستقامة ، والادب ، والخلق والايمان ، والالتزام بالتعاليم الإسلامية ، كما يتمتعون بقسط كبير من الحب لاخوانهم والصبر عليهم ومتابعتهم وزيارتهم وصداقتهم والاختلاط بهم ومعايشتهم . ففي إستطاعة هؤلاء أن يكونوا موارد عطاء لاخوانهم وأقطاب جذب لذويهم ، بدلاً من أن يستغل هؤلاء الشباب رفقاء السوء وخلطاء الرذيلة والمبادىء الهدامة ، خاصة ومع أهل الهداية الحجة والمنطق والنور ، الذي جعل الله فيه الهداية والرشاد .

٢ - ينبغي أن يتوصل الداعية بحسن تصرفه إلى كسب ثقة هؤلاء الشباب بالتقرب إليهم أولاً - وليحذر الهجوم عليهم بالكلام الجارح أو تعنيفهم أو تقنيطهم أو التهكم بهم - وقد يكون ذلك التقرب بالهدايا في المناسبات كالنجاح أو القدوم من سفر أو النجاة من حادث أو محنة ، أو بالزيارات في المناسبات والأعياد أو بإهداء الكتب أو بالدعوة في المناسبات السارة ، فإذا وثق الشاب في الداعية وفتح له قلبه وأحبه كان ذلك هو الضمان لسماع الحق والاقبال عليه والاصغاء له .

٣ ـ يجب أن يتحلى الداعية بالصبر والاحتساب والتسامح عن الأخطاء والعفو عن الزلات ويفسح المجال للطالب أن يعبر عن ما في نفسه ثم يقنعه بهدوء ويستحسن أن يكون ذلك في جلسات خاصة حتى لا يتعرض الشاب للخجل إذا تبين له مجانبته للصواب أو الاحراج ، فيكون ذلك حاجزاً له عن إتباع الحق والرجوع إليه .

كما يجب أن يكون النصح مصحوباً بالدليل ، وبعيداً عن التعالي أو حب الغلبة والفوز ، وإنما ينبغي أن يكون بلغة الاخوة والحب وبيان الحق في المسألة .

٤ ـ لا ينبغي أن يقابل الشك والالحاد عند الشباب ، بالسب واللعن والطرد ، ولكن ينبغي أن يقابل بالطريق الصحيح في التوصل إلى الحقيقة وكما يقول علماء النفس ، إن الصراع الديني والشك ظاهرتان من ظواهر الشباب في هذا العصر .

ولهذا وجب على الداعية أن يعد الحجج البينة الواضحة والبراهين العقلية والنقلية لاعطائها للشباب جرعة جرعة حتى يتم الشفاء .

المبحث الثالث
الأنشطة المختلفة وما يؤثر في الشباب

يتوصل إلى عقول الشباب وأفكارهم بالأنشطة المختلفة التي تنفع الانسان عقلاً وفكراً ، ولا بد أن تظهر في هذه الأنشطة ما سبق من تعاليم ينبغي مراعاتها بدقة حتى تكون تلك الأنشطة برامج للتربية العملية على تعاليم الإسلام وأخلاقه وحتى تكون بيئة طيبة يتدرب فيها الطالب المسلم على أشياء كثيرة وتبرز من خلالها مواهبه من هذه الأنشطة .

١ ـ النشاط الرياضي : وذلك من أبرز النشاطات التي يحبها الطلبة فعلى

الداعية عدم إغفال هذه النشاطات التي يحبها الطلبة فعلى الداعية عدم اغفال هذا النشاط خارج المدرسة أو داخلها ، من وسائل هذا النشاط .

أ - فريق كرة القدم والطائرة والسلة .

ب - فريق كرة المنضدة والريشة والتنس .

وعلى الداعية أن يعني بهذه اللعب الثلاث لأنها توطد العلاقات بين الطلاب بعضهم مع بعض وبين القائمين على أمر الرياضة .

كما أنه ممكن أن يساعد الذي لا يتقن هذه اللعب على أن يتدرب عليها ويشارك فيها .

جـ - سباق الدراجات ويكون بين الشباب ، في الأوقات والأماكن المناسبة وممكن أن تعد له الجوائز من مصاحف ، وكتب وأشرطة وشارات ومداليات وكؤوس .

د - سباق الركض وسباق الضاحية ، وقد كان النبي ﷺ يسابق زوجته عائشة .

هـ - رياضة جمال الأجسام والمصارعة ، وقد صارع رسول ﷺ «ركانه» فصرعه النبي ﷺ .

و - رياضة السباحة ، قال عمر بن الخطاب : علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل .

ز - رياضة الرماية وركوب الخيل أو سباق الخيل والفروسية .

إلى غير ذلك من الرياضات التي تفيد الشباب وتجمعه وتؤلف بينه وبين أصحاب الدعوة الإسلامية ، فهم أبناؤها ويجب أن يكون أنشطتهم تحت رعايتها وتعاليمها وفي ظلال رجالها وحراسها .

٢ ـ النشاط الفني والترفيهي

النشـاط الفني يميل إليـه بعض الـطلاب ، ويحبـون أن يشبعـوا رغبتهم في وقت فـراغهم منـه ، وهـو وسيلة جيـدة لاتستغـلال أوقـات الفـراغ فيـما ينفـع واستغـلال الطاقـات المحبة لـه في الأنشطة المختلفـة للدعوة الإسـلاميـة وهـو في الحقيقة وجه جيد من وجوه الدعوة الإسلامية في أوساط الشباب وغيرهم . حيث يمكن أن تلقى من خـلالـه الأعمـال المسـرحيـة الجليلة والاهـازيـج والانـاشيـد الدينية .

١ ـ الاهازيج والاناشيد :

وهي قطع شعرية سهلة محببة تـرفع الهمم وتعلم الغـايات وتفهم المبـادىء بشيء من العاطفة الرقيقة والنظم السهل البديع الـذي تعينه النفـوس وتميل إليـه القلوب ، ويغني ويفيـد عن هذه الأغـاني الشهـوانيـة الحيـوانيـة الجنسيـة المقيتـة المخنثة .

وهي متوفرة ولكنها تحتاج إلى إنتقاء دقيق ، بحيث تؤدي الغرض المـطلوب منها مثل النشيد الإسلامي للدكتور محمد إقبال .

الـصـين لـنـا والـعـرب لـنـا　　　والهـنـد لـنـا والـكـل لـنـا
اضحى الاسـلام لـنـا دينـاً　　　وجميـع الكـون لـنـا وطنـاً
تـوحـيـد الله لـنـا نـور　　　اعـددنـا الـروح لـه سكنـاً
الـكـون يـزول ولا تمـحـى　　　في الـدهـر صحـائف سؤددنـا

*

في ظـل الـسيـف تـربيـنـا　　　وبـنـيـنـا العـز لـدولـتـنـا
عـلم الاسـلام عـلى الأيـام　　　شـعـار المـجـد لمـلتـنـا

بهلال النصر يضيء لنا ويمثل خنجر سطوتنا
إن اسم محمداً الهادي روح الأمال لنهضتنا

ومثل نشيد الشهادتين

إن سألت عن الهي فهو رحمن رحيم
أو سألت عن نبي فهو انسان عظيم
أو سألت عن كتابي فهو قرآن كريم
أو سألت عن عدوي فهو شيطان رجيم

ومثل نشيد الشهادتين

كلما نادى المنادى هاتفاً الله اكبر
خمس مرات نصلي بخشوع وتفكر
في قيام وقعود ما احيلاها صلاة
وركوع وسجود نبتغي عفو الاله

ب ـ الحفلات الترويحية والجادة:

وممكن أن يقوم الطلاب بحفلات تمثيلية جادة، تحث على فضيلة من الفضائل أو تنهي عن رذيلة من الرذائل. ومسرح الدعوة ملىء بالبطولات والقصص الشيقة التي يحتاجها المجتمع ويتطلع إليها الشباب.

الحفلات الترويحية:

كما يقوم الطلاب بحفلات ترويحية، قال علي بن طالب كرم الله وجهه «إن القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة».

وقال أيضاً: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلب إذا كره عمى»

وعلى هذا فلا بأس أن يلهو المسلم ويمرح ويتفكه . . . على ألا يكـون هذا عائقاً له عن تأدية واجبه أو يخرج به إلى حرام أو يجعل ذلك عادته وخلقه .

وما أحسن ما قيل في ذلك : «اعط الوقت حقه من اللهو» أي المباح « بقدر ما يعطي الطعام من الملح» .

والحفلات الترويحية ممكن أن تؤدي إلى هدف من الأهـداف كالتحـذير من الكسل أو من البله أو نقد أوضاع فاسدة يخدع فيها الناس إلى غير ذلك .

جـ ـ الـرسم والزخـرفة وممكن استغـلال المـواهب في الـرسم والـزخـرفـة والديكور، واظهار الجمال في الفن الاسلامي من النقوش والمناظر الطبيعية وصنع الاشياء والتحف إلى غير ذلك .

٣ ـ النشاط الخارجي

كـما ينبغي أن يكون للطلاب نشـاط خارجي يسـاعد عـلى تقويـة الروابط وجمع المعلومات وزيادة المعرفة وغير ذلك ويمكن أن يتمثل ذلك في :

أ ـ رحلات الحج والعمرة إلى بيت الله الحرام وزيارة مسجد الـرسول ﷺ لترتبط القلوب بالمسجد الحرام وترى وحدة المسلمين وتأخذ من هذا النـور لتتعلق به الأرواح، وترسخ في الاذهان وتنال بركة هذا المكان المعمور .

ب ـ رحلات علمية للاطلاع على معالم الحضـارة الاسلاميـة ومعرفـة بلاد المسلمين ودراسة أحوالهم، والشعور بشعورهم .

جـ ـ الـرحلات الكشفيـة والمخيمات الصيفيـة وتنفيذ بـرامج معينـة تعـود الانسان المسلم على الحياة اليومية الاسلامية التي ينبغي أن يعرفهـا المسلم ويعيش في جوها الكريم حتى إذا رجع إلى بيته كان عنده المثل الذي ينبغي أن يسير على منواله . كما يتعود في هذه اللقاءات الاعتماد على النفس وحسن التصرف والتقشف

وملاقاة الطبيعية، وفي هذا وغيره مادة المعرفة الحقة والاخاء الكامل والحب العملي، والتدريب المفيد.

٤ ـ النشاط الصحفي والاعلامي.

ويتمثل هذا النشاط، في الكتابة وفي القدرة على التعبير وتحليل الحوادث والاستفادة منها وذلك يكون في.

١ ـ صحف الحائط والملصقات التي تعبر عن فكر الدعوة وعن رسالة الاسلام، الكتابة في الصحف الدينية، وتوضيع نظريات الاسلام والرد بالحسنى على المشككين في رسالته، أو الاعداء المهاجين والمفترين على تعاليمه.

٢ ـ تأليف الكتب والرسائل لدعوة المسلمين إلى الخير وإلى صراط مستقيم والتي يراد منها بعث المسلمين من رقادهم ودفعهم بحماس للعمل للاسلام والقيام بواجبهم نحوه.

٣ ـ النشاط الخطابي. ويستحسن أن يكون اسبوعيا وأن يكون في موضوعات محدودة مدروسة، وأن يكون في جمهور من الناس ليتعود الطالب التعبير عن نفسه وينتفي عنه الخوف والوجل، وأن يكون هناك مواسم ثقافية وشعرية.

٤ ـ النشاط الاذاعي: ويتمثل ذلك في اذاعة المدرسة وفي احاديث الصباح وفي الحكم والمواعظ التي تلقى وفي التعليقات على الأحداث اليومية وعلى المناسبات التي تمر بالعام الدراسي. وغير ذلك.

٥ ـ النشاط الثقافي: ويتمثل ذلك في زيارات كبار الدعاة للمدرسة، وفي نشاط المكتبة ونشاط المترددين عليها ونوعية الكتب التي تنتقي للطالب وفي المسابقات الثقافية، وفي حفظ القرآن الكريم وتفسيره، وحفظ الأحاديث النبوية الشريفة، ومدارسة سيرة الرسول ﷺ.

وإقامة معارض الكتب للطلاب وذهاب الكتاب إليهم في المدرسة وتخفيضه

تخفيضاً يشجع الطالب على اقتناء الكتب الاسلامية النافعة .

وهكذا لا بد أن يكون نشاط الدعاة في المدرسة مستوعباً وموجهاً لكل النشاطات والجهود ومستوعباً لكل الميول والرغبات، لتوجيهها، نحو حب الدعوة وحب العمل لها .

النشاط الديني

ومن خلال المدرسة ومن خلال اللبنات التي تحب الخير فيها، ومن خلال مدرسي التربية الاسلامية واللغة العربية واكثرهم أو جلهم قد درس دراسة دينية متخصصة، يقام بنشاط ديني متعدد الوجوه يتمثل فيما يأتي :

١ ـ جماعة تلاوة القرآن الكريم وتجويده، ويقوم على هذه الجماعة بعض مدرسي التربية الاسلامية . روى البخاري عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» .

وقال ﷺ : «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، مثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر» البخاري .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ . (طه ـ ١٢٣)

٢ ـ جماعة الحديث والسيرة النبوية ودراسة التاريخ الاسلامي . وهذه الجماعة دورها كبير في فهم السنة والاقتداء بصاحب الدعوة ﷺ وصدق الله ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ .[1] ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ .[2]

(١) النساء ـ ٨ (٢) الحشر ـ ٧

وقال ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع» الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فاوصنا قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وأنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجز وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» رواه الترمذي وابن ماجة وقال الترمذي حسن صحيح. وهذه الجماعة تتعلم كيف تقتدي برسول الله ﷺ وكيف تسير على خطواته وكيف تستفيد من سيره السلف الصالح رضوان الله عليهم. وكيف تقدر تراث المسلمين العلمي.

٣ ـ جماعة البر والخيرات. وتقوم بمساعدة الطلبة وحل مشاكلهم المالية وجمع التبرعات لهذا الشأن، كما تقوم بالاشتراك في تخفيف الويلات عن الشعوب الاسلامية جهد الطاقة، إلى غير ذلك من أعمال البر.

٤ ـ جماعة الدعوة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ الآداب العامة ومراعاة السلوك الطلابي والارشاد الخلقي بالحسنى والاخوة والموعظة الحسنة، وتشترك كذلك هذه الجماعة في اعمال الاذاعة والصحافة بالكلمات المناسبة لهذا الدور المنوط بها.

٥ ـ جماعة رعاية المسجد والدعوة إلى الصلاة في مسجد من دروس ونداوت تقيمها جماعة الدعوة أو أحد المدرسين أو الطلاب أو الضيوف. وهكذا تتعاون الانشطة في المدرسة بقيادة حكيمة حتى تنسق بينها لتؤدي الغرض المطلوب.

الفصل الرابع

دور الجامعة العلمية في الدعوة

تمهيد :

لا شك أن الجامعة هي البيئة العلمية الناضجة في المجتمع، وهي الصرح القوى في تخريج الرجال الذين يؤهلون في كل علم وفن، لحمل مسئولياتهم تجاه أمتهم. يبلغها الشباب عند مرحلة علمية معينة وعند قدر فكري معين. ولهذا كان دوره في تبليغ الدعوة الاسلامية دوراً أساسياً ومهماً جداً لأن بيئة الجامعة ليست كغيرها من البيئات، ومجتمعها ليس كغيره من المجتمعات لسببين:

الأول: لأن فيها في بعض الدول من الهيئات العلمية المتخصصة التي قد تحمل أفكاراً معينة، أو تقتنع بمفاهيم مغايرة للمفاهيم الأساسية للدعوة الاسلامية، أو للداعية المسلم الملتزم، وهذه الهيئات يقودها أساتذة متخصصون قد لا يتفقون مع الداعية أو لا يتفق هو معهم على منهج معين أو على أسلوب معين، وهؤلاء لا شك لهم احترامهم، ولهم تأثيرهم، ولهم وزنهم الفكري والعلمي والقانوني.

الثاني: إن طالب الجامعة له أفكاره، وله ميوله وله تطلعاته الخاصة علاوة على انفتاحه العلمي والثقافي على شتى الاتجاهات والثقافات العالمية والمحلية، هذا فضلاً عن انشغاله بقضايا امته وجيله والحياة من حوله، تلك القضايا التي ينظر إليها هو بمنظار الشباب حماساً وحيوية وسرعة.

ونستطيع أن نوجز أهم اهتمامات شباب الجامعة، أو ملامح التطلعات للشباب الجامعي في كلمتين هما: ما يدور على الساحة المحلية والعالمية.

كما نستطيع أن نوجز مشكلات الشباب الجامعي في كلمتين كذلك هما: الاخلاص والنقاء، الذي يحتاج إلى مزيد من الخبرة. أو العاطفة والحماس، الذي ينبغي أن يلجم بمزيد من الحقيقة ولهذا فإن الداعية المسلم ينبغي له أن يقدر هذا الاخلاص وهذا الحماس وتلك العاطفة، حتى يعلم مفاتيح تلك الشخصية.

المبحث الأول

مفاتيح شخصية طالب الجامعة ومشاكله

كما علمنا شخصية الطالب الجامعي متوثبة طموحة تهتم بمشاكل أمتها الحاضرة وقد تختلف هذه المشاكل من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل ومن أمة إلى أمة.

وقد برز من خلال واقعنا المعاش مشاكل عامة، قد تلفت شاب الجامعة: من هذه المشاكل العامة والخاصة: المشكلات الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، بل والنفسية والسلوكية، مثل المشاكل التي يدرسها العالم اليوم كالتمرد في الشباب والخروج عن المألوف، أو على الآداب المعروفة.

وكمشكلة الالحاد والانسياق وراء المستورد من الأفكار، ومشكلة القلق والشك والصراع النفسي وكالمشاكل التي تتعلق ببعض القيم، كعلاقة المرأة بالرجل ومحاولة الفهم الصحيح لها، وكمشكلة الطلاق، وتعدد الزوجات. والاستيعاب الكامل للمراد منها. وبعض المشاكل العاطفية والاهتمامات

المظهرية، المنبعثة عن تفاعل طبيعي نتيجة لما يحيط بـه من مظاهـر الحياة المفتـوحة بغير حدود أو سدود، أو توجيه مؤثر، وهذا طبعاً يكـون في الشباب العـادي، أما الشباب الجاد أو الموجه من المجتمـع أو من الأهل أو من العقيـدة أو من السلوك الايماني فهذا شيء آخر له اهتمـاماتـه المعينة التي تحـددها تلك التـربية أو تسيـطر عليها تلك العقائد، ولكن يبقى أن نقول كم نسبة هؤلاء في المجتمعات الطلابيـة الجـامعية حتى يكـون لهم التأثـير المطلوب الأمـر الآخر: هـل هذا الشبـاب غـير العادي تتفق اهتمامـاته حتى تكـون مؤثرة؟ أم تتعـدد حسب توجهـاته التـربويـة والبيئية والعقائدية التي ربما تكون هي الأخرى متعددة فيضعف بذلك تأثيرها هذا فضلاً عن أن نوازعه الأساسية كامنـة في نفسه كمـون النار في الهشيم، أو المـاء في العود الأخضر تظهر أحيانا وتخبو أحيانا أخرى حسب قوة التربية ودرجتها ويقظتها إذن لكل هذا أقول : تبقى التوجهات الأولى أساسيـة يجب أن ينظر إليهـا بعين الاعتبار لأنها المحور العام والمفتاح الشامل للشباب الجامعي ككل ، إلا من رحم بك .

مع أهم هذه التوجهات والمشكلات:

١ ــ المشكلات الاجتماعية:

هنـاك مشاكـل اجتماعيـة يعاني منهـا الشبـاب في بعض الأمم ويقف منهـا موقف المتردد، أو موقف الوجل، وقد تمزقه أو تجرفه، أو تعجزه كـانتشار أمـاكن اللهـو والفجور، وتفشي وسـائل الاغـراء والفتنـة، والحـاح مؤثـرات الانحـلال والفسـاد، وكضياع القيم والارتمـاء في حمأة الـلامبـالاة وانتشـار الـرشـوة والغش والنفاق وعدم الاحساس بالمسئـولية، والقـول بأن الغـاية تبـرر الوسيلة، ومـوت الضمير وفقدان المشاركة الاجتماعية، والتركيز عل ما يـرضي الهوى ويشبـع نهم النفس، هذا مع فقدان المثل الصالح والعمل الجاد، والقصـد إلى الترهـل والقاء التبعـات على الغـير هذا فضـلاً عن الظلم الاجتمـاعي الذي يضـرب أطنـابـه،

وضياع الحريات، وامتهان انسانية الانسان ومعاملته كالآلة أو كالحيوان الذي يعيش لبطنه.

٢ - المشكلات الفكرية

تثار كثير من القضايا الفكرية في أوساط الشباب الجامعي، بقصد أو بغير قصد، بحكم البيئة العلمية أو بحكم النزعة التقليدية، ولست الآن بصدد البحث عن مصادر تلك القضايا، ولكني الآن بصدد ابرازها وكشفها أولاً.

فأول هذه المشكلات وأخطرها، تأثر كثير من الشباب بالاتجاهات الالحادية التي اكتسبوها من خلال بعض التيارات الوافدة والتي تجد لها دعماً من جهات معينة لها أغراض في تقوية هذه الاتجاهات، لا حبا في هذا الشباب أو في أمته، ولكن حباً في غرس بذور الشر والحيرة والصراع المدمر في قلوب هذا الشباب الغض اليافع المتحرك، ويفسح المجال لأمثال هذا الفكر أمران:

الأمر الأول: ما يرون عليه المجتمعات المسلمة من ممارسات خاطئة، ومن وهن وضعف وغباء وجهل وذلة.

الأمر الثاني: قلة الدعاة المسلمين النابهين الذين يملؤون الساحة الاسلامية ويكون عندهم الفهم والقدرة على معالجة الأمور بالفكر الاسلامي الغلاب والثقافة الاسلامية المضيئة، كما يكون عندهم القدرة على رد الممارسات الخاطئة في المجتمعات الاسلامية إلى مصادرها الصحيحة، وهي إما اتباع الثقافات الدخيلة والتخلي عن تعاليم الاسلام العظيم، أو الانهيار الذي سببه هذا الشك الناتج عن هذا التأثر بهذه الدعاوى الباطلة.

وثاني هذه المشكلات علاقة العلم بالدين، أو بالأخلاق والمثل والتعاليم

الاسـلامية وهي قضيـة منقولـة من مجتمعات أخـرى أثـارتهـا بعض العقـول التي تصورت أن العلم أحدث في الكون ما أحدث وقفز بالانسان قفـزة ماديـة هائلة، فيحق لـه بذلـك أن يكون بـديلاً عن الـدين وعن فكرة الـربوبيـة، وأن خضوع الانسان في هذا العصر لفكرة التدين أصبح بذلك يجـافي روح العصر الذي قهر الانسان فيه المادة وأخرج منها الأعاجيب.

وهذه المشكلة جعلت الانسان أو الشاب المسلم يعيش في صراع مع العقل والوجدان فهو أمام ما يقوله العلم يجد لنفسه موقفاً، وأمام ما يقوله الدين يجـد له موقفاً متغايراً، ومن هنا ينتج الصراع ويشتد القلق المـدمر عـلى الانسان، إلا من رحم ربك.

وهنا يسأل الانسان المنصف نفسه هل تعرض القرآن أو الحديث أو الآثار الاسلامية لتحريم العلم أو توهيـة شأنـه بل عـلى العكس من ذلك فـإن الاسلام حض عـلى العلم ولفت اليـه، وأمـر بـالنـظر في الكـون والتـدبـر في آيـات الله والاستفادة منها. بل إن العناصر الموجودة في الكون والقوانين والعلاقة التي تحكم تلك العناصر والظواهر وهـذا الوجـود كله بما فيـه ذلك الانسـان دليل قـدرة الله ووجـوده وبـره واحسـانـه والعلم لم يخلق في الحقيقـة شيء، وإنمـا اكتشف تلك القوانين بتوفيق الله وبالنظر لآلائه سبحانه، وصدق الله ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(١). ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٢) فكيف تكون أسباب الهداية هي نفسها أسباب الزيغ والضلال، وهل ادعى أحد من هولاء العلماء أنه اخترع العناصر والمواد، أو قال أنه يستطيع أن يأتي بشيء مما ليس في ملك الله سبحانه.

---

(١) فصلت - ٥٣.
(٢) الاسراء - ٨٥.

وثالث هذه المشكلات: قضية الحرية الانسانية وحدودها وقضية القيم، وهذه القضية كذلك استغلت في الأمم النامية لهدم شخصيتها وضرب نوازع الخير فيها وتفريغها من محتواها الايجابي ورصيدها الفعال حتى تفقد كل شيء، فلا تستطيع النهوض أو التفكير فيه. ونحن نعلم أن الحرية ليست أمراً مطلقاً، ولكنها قوانين وقواعد تحكمه حرية الآخرين ومشاعرهم، وتحكمه مصلحة الفرد والجماعة. فليس مثلاً من الحرية أن يجلس الفرد ويقضي حاجته في الطريق العام وعلى قارعة الطريق، لأن هذه الحرية تتعارض مع الآخرين ومع الآداب العامة. وليس من الحرية مثلاً أن يسير المرء بسيارته ضد نظام سير المركبات لأن ذلك يعرض الآخرين للخطر، والمرأة من حقها أن تلبس الفاخر من الثياب والغالي من الجواهر ولكن ذلك يجب أن يكون في حشمة تحفظ عليها انسانيتها وتحفظ كذلك الآداب العامة من الانهيار وهذا يعني أنه يجب أن تفرق المرأة بين التزين والتبرج، ويفرق الشاب بين الحرية وبين الفوضى وصدق الله ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١).

٣ ـ المشكلات القومية:

الشباب دائماً متطلعاً إلى الغايات الكبار والمثل العليا بطبيعته يحب المغامرة ويحب الميادين البطولية والمواقف الشجاعة، يحب أن يغلب لا يغلب وأن يهزم لا يهزم وأن يعلو ولا يداس بالأقدام. ولهذا كان الشباب في كل أمة قديمة أو حديثة عماد نهضتها وسر قوتها وفي كل فكرة حامل رايتها وصدق الله ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ الكهف ١٣.

ولهذا قد تختل الموازين في بعض الأمم فتضعف وتهن وتغلب وتذل

---

(١) المائدة ـ ٦.

وتنتقض حقوقها ويبغي عليها فيكون ذلك كارثة بالنسبة لذلك الشباب وهذه العقول الفتية المتوثبة،

فيثور في فكرة ومخيلته أحاسيس عارمة ضد الأنظمة السياسية والاجتماعية والخلقية، التي يظن أنها السبب في اجهاض آماله وتطلعاته، وخاصة إذا كان هذا الشباب يتصل بماضي عريض، وفكر متوثب، وتراث بطولي، وحضارة سامية.

٤ ـ مشكلات الحرية السياسية :

وتتلخص في القهر والكبت المفروض على الأفكار الاصلاحية أو على نقد الأوضاع الفاسدة وكشف الأضاليل الزائفة، وفضح الدجل السياسي والفكري والباس الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق، والتخلص من العبودية البغيضة المستغلة التي تمتص الدماء وتذهب الكرامة،

٥ ـ مشكلة العمالة :

أو مشكلة الولاء للأجنبي، سواء كان من الشرق أو الغرب وصدق الله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾[1] . وهذه المشكلة تقطع في سبيلها الأرحام وتراق في سبيلها مياه الأخوة، وتمزق في سبيلها أواصر المحبة للأهل والعشيرة وقد نبه الحق سبحانه إلى الولاء الصحيح فقال ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَـٰلِبُونَ ﴾ المائدة ـ ٥٦ .

موقف الداعية منها:

هذه أهم المشاكل التي تواجه الشباب فيجب على الداعية المسلم أن يأخذها في الاعتبار وأن يعالج هذه القضايا معالجة اسلامية حقيقية فخير ما

---

(١) المائدة ـ ٥١.

يعطي العلاج لهذه القضايا هو الاسلام الذي صاغ الفرد المسلم صياغة جامعة راعت كل جوانب الحياة الجسدية والفكرية والغائبة، وشيدت الحياة الانسانية على الفطرة البشرية وعلى قانون هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها . ولهذا فإن علم القانون يعترف الآن بعد بحث طويل أنه ليس بامكان الانسان البحث عن قانون الحياة . إن حدودنا البيولوجية والعقلية تحول في طريقنا بطريقة قطعية . وقد اعترف بذلك عالم القانون « جورج هوايت كروس باتون » حيث قال إن السبيل الوحيد للوصول إلى معايير متفق عليها للقانون هو الاعتراف بالوحي السماوي قانوناً .

وقال اللورد أكتون (١٨٣٤ ـ ١٩٠٢) وهو على حق فيما قال، «أن السلطة تفسد والسلطة المطلقة تفسد بصورة مطلقة» إن دروس وتجارب التاريخ البشري كله تشهد بأن الانسان يظلم ويفسد حين يحصل على السلطة المطلقة، والطبيعة البشرية تؤكد على أن الانسان يستطيع أن يعيش حياة صحيحة تحت اشراف سلطة أعلى منه بينما السلطة المطلقة تفسده لا محالة[١] هذه الحقائق وغيرها تعطي الداعية المسلم فكرة عن مدى رجوع العقل البشري بصورة أو بأخرى إلى تعاليم الاسلام . فينبغي عليه هو أن يزيح الغشاوة عن العقول المؤمنة، وأن يزيح عنها كابوس الدعاية المضللة التي تريد أن تنحرف بالشباب عن نهجه الصحيح وفكره الأصيل وعقيدته السامية .

المبحث الثاني

دور الداعية ومقوماته

١ ـ أول دور من أدوار الداعية في هذا المجال هو القدوة الحسنة، حيث أن التصرف الحسن والالتزام بالسلوك الطيب هو أول ما يدعو إلى الاحترام والاقناع وهذا بنفسه دعوة إلى الرسالة، ولقد كان رسول الله ﷺ كذلك في دعوته، سئلت

(١) الشريعة الاسلامية وتحديات العصر وحيد الدين خان ـ ٢٣ .

السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول ﷺ فقالت «كان خلقه القرآن» وقال ﷺ «أدبني ربي فأحسن تأديبي» وقال الله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ نون - ٥ كما يجب أن يكون الداعية قدوة في الأمور التي تلفت النظر للشباب رجلاً مقداماً شجاعاً صالحاً متأبياً على الفساد، محبوباً من الجميع، أو يكون جامعاً للصفات التي ترغم الجميع على احترامه، وصدق القائل في رسول الله ﷺ.

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

ومن كان طبعه كذلك فمن البديهي أن تنجذب القلوب له وتتأسى النفوس به ويجد الناس فيه القدوة الكاملة، والمثل الأعلى في كل ما يرتبط بآمالهم وتطلعاتهم وقد مل الناس اليوم الكلام المعسول والقول المنمق، وفقدوا الفعل الحسن والتصرف السليم ولهذا ضاعت الثقة وضاع الحب، والاخلاص. ومن غريب ما يروى في ذلك أنه قد سئل مسئول بجمعية رعاية الحيوان بباريس «لماذا يعامل الفرنسيون كلابهم مثلما يعاملون به أنفسهم؟» فأجاب لأنهم يريدون أن يحبوا ولكنهم لا يعثرون بين الناس على من يحبونه».

فليعلم الداعية على أن يكون قدوة حسنة فإنه بذلك سيحب فالناس اليوم يبحثون على من يحبونه.

٢ - الابهار العلمي:

إن الناس وخاصة الشباب يلفت نظرهم السمو والقدرةو والتفوق والداعية

في مجـال الجامعـة ليس عنده من ذلـك إلا التفوق العلمي والامتيـاز في تخصصه، والنجاح الشخصي يدعـو إلى نجاح المبـدأ وسلامـة المنهج ويلفت النـظر إلى فكر صـاحبه وقـدرته وعـزيمته وكفـاحه، وكثـير من الفائـزيـين تلتف حـولهم القلوب والانـظار وتصغي لهم الأسمـاع والأفهـام، وتعـد لهم الاحتفـالات والجـوائــز، وتنتـظرهم المراكـز والمناصب، وتتكلم عنهم، وفوق ما ذكر، احتـرام المـوجهـين والمعلمين لهم ومحاولة الفخر بهم، كما يطمئن العائلات والاسر على شبـابهم وعلى مستقبلهم، فلا تكون الأسر عليهم بل لهم.

وكذلك كان أسلافهم من قبلهم أعلاماً عـلى طريق التقـدم العلمي وشهباً في سماء الابهار الفكري وابطالاً في ميدان الجهاد الحربي.

وما أحسن قول بعض الـدعاة «نحن أمـة الاسلام. . . لم نـدخل التـاريخ بأبي جهل وابي لهب وأبي بن خلف. . . ولكن دخلنـاه بالـرسول العـربي صلوات الله وسـلامه عليـه وأبي بكر وعمـر، ولم نفتح الفتـوح بحـرب البسـوس وداحس والغبراء ولكن فتحناهـا ببدر والقـاسية واليـرموك. . ولم نحكم الـدنيا بـالمعلقات السبع، ولكن حكمناهـا بالقـرآن المجيد. . ولم نحمل إلى الناس رسـالة الـلات والعزى، ولكن حملنا اليهم رسالة الاسلام ومبادىء القرآن».

فكـان المسلمون مـوضع الابهـار في كل شيء في الفكـر والعقـل والتـدبـير والثقافة والتعاليم والمثل والبطولة.

٣ ـ الصبر والمصابرة:

إن للصبر والمصابرة من الداعية في الجامعة له معـالمه ولـه معاييـره الخاصـة فمثلاً يصبر الداعية على تصرفات الشباب المندفع والمتحمس والذي قد يتصـرف تصرفات تخالف مفاهيم الدعوة أو عادات الاسلام أو توجهات الأمة المسلمة فـلا

يقابله بالشدة أو العنف، وإنما يقابله بالاقناع والنصح «بالموعـظة الحسنة» بـالبيان والقول اللين، «فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى» طه ٤٤ .

يقابله بمزيد من البيان والوضوح لأهداف الدعوة الاسلاميـة وجمال تعـاليم الاسـلام وجدواهـا للأمـة الاسلاميـة ، يقابله بمـزيد من القـرب منه والحـدب على مصلحته، والـزيارة لـه وازالة الجفـوة بين الـداعية وبينـه فالقلوب إذا احبت سمعت وانقادت، وإذا كرهت صدمت وأصمت ونفرت وتمردت، وهذا بلا شك يحتاج إلى صبر طويل وكبير من الداعية. ولا يتوفـر ذلك إلا عنـد كبار النفـوس، الـذين يـذوبـون في طـاعـة الله وينسـون حـظوظ الهـوى والشهـوات في أبـدانهم وأعمالهم.

الصبر على نظام الجامعة الذي قد يؤدي في بعض البلاد الاسلامية إلى ما يصادم قليلاً أو كثيراً بعض المفاهيم الاسلامية الصبر على العمل المنظم المحكم وعلى تغييره وبيان عواره ومسالبه وتقديم البديل الصالح المقنع ، الصبر على احترام الأساتذة أياً كانت اتجاهاتهم وميولهم لأن احترام الانسان واجب ، وتغيير فكره أو إقناعه بخلافه شيء آخر له مجاله وخطته ، وتصرفه كذلك بما يخالف تعاليم الاسلام شيء آخر له عقوبته من جهته المسئولة عنه أو من المجتمع ، والداعية ليس قاضيا أو حاكماً أو شرطياً وما على الداعي إذا رأى مخالفات إلا أن ينبه ويحذر ويرفع الأمر إلى جهته فإن استجيب له فبها ونعمت ، وإذا لم يستجب له فعمله في الرأي العـام والوسط الطلابي ونشره لرسالة الاسلام كفيل أن يغير ذلك إن شاء الله تعالى .

صبـره على المنـاهج التي قـد تخالف أو تصـادم الفكر الاسـلامي في بعض الكليـات في بعض الدول أو الجـامعات الاسـلامية إن وجـد ذلـك، ولا أظن أن ذلـك يكون في بعض الـدول الاسلاميـة إن شاء الله. فـإن وجـد فليكن التغيـير

بالتنبيه على هذه المخالفات، فربما لا تكون مخالفات وربما تكون مخالفات من وجهة نظره هو فقط وربما تكون هذه الجهة صاحبة نية حسنة ولا تعرف حكم الاسلام في القضية، وعلى فرض وجود ذلك والاصرار عليه، فاليكن التغيير بالتنبيه فإذا لم يجد فبمضاعفة العمل والبيان واظهار البديل وكسب المحيط الطلابي والقيادي للرأي، والاصرار على ذلك والحرص عليه وعدم التهاون فيه فإن ذلك سيؤدي بعد ذلك إلى التغيير إن شاء الله تعالى، الصبر على أشياء كثيرة والتعامل معها بعقل وفكر وحسن تصرف، فمثلاً الصبر على الشبهات التي تثار حول الدعوة والدعاة والتعامل معها بما سبق أن أشرنا إليه، إلى غير ذلك مما يكون في الوسط الطلابي.

٤ ـ النشاط في المجالات المختلفة:

اجتماعياً وعلمياً وترفيهياً لأن الطالب الداعية انسان متحرك يدير الحياة ويدفعها ويستغل الطاقات وينميها ويستفيد منها كما أن استغلال هذه الطاقات لتوطيد العلاقات بين الطلاب وكسب ثقتهم أمرمهم ومطلوب وكذلك اظهار العادات الاسلامية والعرف الاخلاقي مقصد مهم من المقاصد الحسنة ويستحسن أن يكون ذلك بالتدريج وعدم الاحراج، وبواسطة القدوة الحسنة من الداعية والحب والتفاهم.

٥ ـ دراسة الأوضاع الاسلامية والانشغال بها:

حيث لا بد أن يحس الطالب الجامعي أن عليه تبعة عليه أن يتهيأ لحملها والدفاع عنها كما يجب أن يشعر بشعور اخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فالمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى قال ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»

البخاري ومسلم قال تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ التوبة ٧١ والانسان طاقته مع اهتماماته وتأييده يكون لما يجول في فكره ومحيطه وكما يقولون نفسك إذا لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل . ولهذا يحاول بعض الثعالب الانسانية شغل بعض الشعوب بقضايا ليس لهم فيها ناقة ولا جمل ليمتصوا طاقاتهم ويحولوا جهدهم إلى صالحهم وهذا نوع من الاستعباد والتبعية خطير يجب أن تلتفت إليه الأمة المسلمة .

كما أن شعور المسلمين في مشارق الأرض يجسد وحدتهم وقوتهم التي يستفيد منها الجميع وتكون عنصراً من عناصر الطاقة والمدد لعزة الأمة على اختلاف ديارها وأقطارها .

٦ - ابراز قيادات اسلامية :

لا شك أن كل أمة تحب أن تستفيد من بنيها في بناء صرح نهضتها ولهذا فهي تعمل على تربية شبابها وتأهيلهم وتسليحهم بالعلم والايمان والعزيمة ومن أجل هذا انشئت الجامعات والمعاهد العلمية المختلفة وخير من يقوم بهذه المهمة أصحاب الأيدي النظيفة والذيل الطاهر والخلق القويم والعزيمة المتقدة والحب الغامر لأوطانهم التي يهيمن عليها دين الله والاجلال لأمتهم التي هي في الحقيقة المدد الوافر لجند الحق والمعين الصافي لحضارة الايمان وهذه القيادات لا تبرز إلا من خلال العمل الجاد السليم المنظم ومن خلال حقول خصبة تخرج ثماراً يانعة تثري العمل الفكري والاجتماعي والسياسي للأمة المسلمة والدعاة المسلمين يجب أن يكونوا على مستوى تحمل التبعة فلا يضيعوا هذه الفرص من أيديهم ويبعدوها من أمامهم ، كما يجب أن تظهر اضواء التعاليم الاسلامية من ثنايا أفعالهم واعمالهم وسيرتهم ، حتى يكونون لها لا عليها .

المبحث الثالث

أفكار يجب أن يلتفت إليها

يجب أن تلتفت القيادات الاسلامية إلى الأوضاع الآتية، أو ينبغي أن تقر وتؤكد على المفاهيم الآتية:

١ - وحدة الأمة الاسلامية حيث أن الأمر الذي لا ينبغي أن لايغيب عن بال أن الأمة الاسلامية يجب أن لا يفصلها حدود مصطنعة أو تقطعها ثقافات دخيلة أو عداوات بغيضة.

٢ - وحدة الفكر: يجب أن تظل الخصائص الاسلامية حية في نفوس ابناء الأمة الاسلامية حتى تبقى لها مميزاتها واستقلالها، وقد أثبت التاريخ أن كل شعب من الشعوب فقد خصائصه وانصهر في بوتقة غيره، ينعيه الناعي ويترحم عليه في الأموات ويصبح أثراً بعد عين وذكرى بعد أن كان حقيقة.

ولهذا لكي تدوم الأمة طويلاً يجب أن تورث بنوها فكرها وتراثها الحضاري والنفسي والخلقي وذلك يكون بنظام التربية والتعليم يحمل في طياته تلك الثقافة كما يكون بوعي الطلبة وسيرتهم بأنهم مسلمون مدعوون بأن يعيشوا حياة اسلامية على أرضهم ثم يورثون هذه الحياة للأجيال من بعدهم وذلك ينبغي أن يكون بالأساليب الأتية:

أ - ضرورة التركيز على المبادىء الاسلامية والمحافظة عليها.
ب - ضرورة الاستمساك بالاخلاق الاسلامية والحضارة الاسلامية.
جـ - ضرورة كشف المبادىء الهدامة والتنبيه على خطرها.
د - ضرورة العمل بكل جهد حسن على منع العهر وسيادة الرزيلة.
هـ - ضرورة ايجاد الحلول الاسلامية الواضحة لكل المشاكل التي تعترض الناس وبيان جمال تلك المبادىء مع المقارنة بغيرها.

و ـ بيـان خطر الأسـاتذة المشبـوهـين الـذين بـاعـوا انفسهم للثقـافـات الـدخيلة واستغلهم اعداء الاسلام لتوهين شباب الأمة ولفتهم عن الطريق المستقيم.

ز ـ ضرورة التركيز على سد نقص المناهج التعليمية وربطها ربـطاً جيداً بالحضارة الاسلامية وأخلاقها وتراثها وعقيدتها.

حـ ـ ضرورة الحرص على التربية الرياضية والكشفية والعسكرية فالأمة الاسلامية أمة مجاهدة مدافعة عن الحق وعدتها شبابها.

بهـذا وغيره مما يحافظ على سلامة الأمة وسـلامة جسـدها وفكـرها وتـراثها تنهض الأمة ويؤدي الشباب الجامعي دوره في الحياة.

أمـا إذا ذهبت التصـورات الاسـلاميـة وأثـارهـا الـطيبـة فمن المحتـوم أن ينقضي نصيب الاجيـال القـادمـة من ذلـك «لأن الفتيـات والفتيـان الـذين يتخرجون من معاهدنا التعليمية بغير هذا السلاح لا نأمـل أن يكون الجيـل الذي سيتربى في احضانهم متحلياً بهذه التصـورات الاسلاميـة والآثار الخلقيـة النادرة، لأن هذه التصورات والآثار لا ينطبع عليها إلا من شاهد أمه أو أباه يعيشانها، من شـاهد أمـه تصلي أو أبـاه وسمعهـما يتلوان القـرآن، ومن سمـع منهـما ذكـر الله ورسوله.

أما هؤلاء الذين لايجـري على ألسنتهم إلا أسـماء الممثلات السينمـائيات والراقصات الفاتنات والتعليق على الأفلام الهابطة والحديث عن الملاهي والألعاب الشاذة. ويندر أن يرطب أحدهم لسانه بذكر الله ورسوله هؤلاء لن يكونوا إلا من الخاسرين وهل الذين يترعرعون في أحضانهم، ترجون منهم أن يناضلوا باسم الله ورسوله ويستميتوا في سبيلها ويكونوا على مستوى المسئولية ومـا أحرانـا في هذا المجال أن نسمع إلى ما يقول المودودي رحمه الله في ذلك إذ يقول: « ونحن بحق إذا كنا نريد أن نعد شبابنا بحيث يسترخص النفس والنفيس في سبيل الاسـلام،

ويقارع الموت ، ويرحب به في الدفاع عن البلاد الاسلامية وعن نظام الحياة الاسلامي ، فلا مناص لنا من أن نفكر في تربيتهم الاسلامية على أعلى مستوى - بجانب تدريبهم العسكري الرفيع - تلك التربية التي تعمق جذور الايمان في قلوبهم وتنشيء فيهم العقائد الاسلامية والأخلاق الكريمة التي تؤهلهم للاقدام على أكبر تضحية يتصورها المسلم في سبيل الله ، وهذا هو الدرع الوحيد الذي يمكن أن يحمينا من عدونا الذي هو أكبر منا قوة أضعافاً مضاعفة وهو الحصن الحصين الذي يحرسنا ويمكننا من الحياة الكريمة في الدنيا المليئة بأعدائنا الذين يخططون لابادتنا ومحونا من الوجود ، لاقدر الله » .[1]

---

(١) دور الطلبة في بناء المستقبل - أبو الأعلى المودودي - ص ٢٨ .

الفصل الخامس

الاعلام والدعوة

مقدمـة :

الدعوة كما علمنا غايتها تبليغ الرسالة مصـداقاً لقـوله تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (المائدة ـ ٦٧

وكـان عماد التبليـغ من قديم هـو الكلمة منـطوقة ومكتـوبة « لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ الاعـراف ـ ١٤٥ .

وما زالت الكلمة إلى اليوم هي أساس التبليغ مع ما دخل عليهـا من تطور في الأساليب والعروض، فالكلمة منطوقة ومكتـوبة ومصـورة ومنحوتـة ومنغمة، هي قطب الرحى وهي حجر الزاوية في الدعوة والبلاغ وهي وسيلتهـا، وكذلـك هي وسيلة الاعلام اليوم.

والانسـان على وجـه هذه البسيـطة هو هـدف الدعـوة وهو كـذلك هـدف الاعـلام. اذن نستطيـع أن نقـول إن الاعـلام والـدعـوة يشتـركـان في الـوسيلة والهدف، وفي الأداة والغاية.

المبحث الأول

العلاقة بين الاعلام والدعوة

ونقصد بالعلاقة بـين الاعلام والـدعوة العـلاقة بـين الاعلام اليـوم كعلم وكفن، وبـين الدعـوة الاسلاميـة اليوم كـأمر بـالمعـروف ونهي عن المنـكر ووعظ وتبليغ للرسالـة الاسلاميـة. ومن الحق أن نعترف بـأن علوم الاعلام وفنـونه قـد بلغت اليوم مبلغاً عظيماً من الـدراسة والتحليـل والتشخيص لاحاسيـس النـاس

وعاداتهم وتقاليدهم وافكارهم وميولهم وما يحيط بهم من أدوات التأثير، كما بلغت كـذلك مبلغـاً كبيراً من اعـداد الوسـائل الاعـلامية الجـديدة التي تـلاحق انسان العصر الحديث أينما وجد وحيثما حل ومتى كان، حتى اصبحت تعايشـه في يقظتـه وفي منامه وفي حله وترحاله، يتنفسها كما يتنفس الهواء ويتعاطاها كما يشرب الماء، فكانت كما يقول النابغة الزبياني:

فـإنك كـالليـل الـذي هـو مـدركس   وإن خلت أن المـنتـآ عنـك واسـع

كما استطاع علماء الاعلام أن يدرسوا أيضاً أثار هذه الـوسائـل على النـاس من وجهـات نظر متعـددة، ومن زوايا فكـرية مختلفـة، فهناك مثـلاً دراسات عن السلوك الشخصي للفرد ودراسات عن الاسرة كمجموعة صغيرة متقـاربة الميـول تصل إليها المعلومات عن طريق وسائل الاعلام المختلفة، فتؤثر في سلوك أفرادها سلبـاً أو إيجابـاً، ثم تمتد الـدراسات إلى قـطاعات من المجتمعـات مثل قـطاعات العمال والطلبة والموظفين، وتمتد هذه الدراسات إلى الشعوب ككل لتصدر عليها أحكاماً عامة، كقـولهم إن شعب البلد المعين متجـانس له سلوك موحد، أو أنـه عاطفي سريع التأثير وأنه يتأثر عن طـريق الوان معينـة من الدعـايات وبأساليب معينـة من الاقوال أو الأفعـال. وقولهم كـذلك أن الشعب الفـلاني غير متجـانس بسبب تعدد الأجناس التي يتركب منها، ولهذا فهو متعـدد المشارب والميـول يلزمه كذا وكذا.

وقد استفادت من هذه الدراسات اتجاهات كثيرة في عـالمنا المعـاصر، مثـل الاتجاهات السياسية والاقتصادية والفكرية.

ولكن للاسف الشديد لم تستفد منها إلى اليوم اتجاهات الـدعوة الاسـلامية التي ظلت إلى اليوم حبيسة الجهل الفاضح بكل هذه الدراسـات وهذه الـوسائـل وهذه العلوم.

اذن فـالصلة بين علوم الاعـلام اليوم وبـين الدعـوة الاسلاميـة مقـطوعـة

ومبتورة بل قد لا أكون مبالغاً إذا قلت: إن بعض الناس اليوم يسيرون في خط معاكس لتلك العلوم، بمعنى أنهم يحاولون تبليغ الدعوة باساليب منفرة، وبغير مراعاة لأحاسيس وميول وأحوال ومشارب الأفراد والجماعات والأمم، هذا رغماً عن أن التراث الاسلامي مفعم وملىء بهذه المبادى وتلك التجارب القيمة، التي استفاد منها وما زال إلى اليوم يستفيد منها، غير المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها.

المبحث الثاني

أهم ما يجب أن تلتفت إليه الدعوة الإسلامية في حقل الإعلام

١ ـ اختيار رجل الدعوة، فليس أي انسان يستطيع أن يكون ناجحاً أو مؤثراً في مجال الدعوة، وليس معنى هذا أن الدعوة لا تجب على الجميع، ولكن يجب أن يكون الدعاة المتخصصون على درجة كبيرة من التحلي بصفات معينة، كأن يكونوا موضع ثقة الناس وأن يتصفوا بالاحترام والخبرة والصدق، وأن يكون المختار لذلك عنده مؤهلات الداعية من اللباقة والفصاحة والفطانة، كما يجب أن يكون متخصصاً ودارساً لفكرته مجيداً لها.

٢ ـ دراسة الفكرة المراد توصيلها والتخطيط لها ، دراستها علمياً وتحليلياً، بالنسبة للرأي العام المراد ابلاغه وذلك باتباع الخطوات التالية:

أ ـ اختيار أحسن وسيلة للاتصال بالجماهير والوصول إلى اسماعهم لتوصيل الدعوة.

ب ـ يجب أن تكون الفكرة واضحة ومدروسة ومدلل عليها ومعد لها بالبراهين العلمية.

جـ ـ يجب أن تكون الفكرة واقعية وممكن تنفيذها وتستطيع الجماهير القيام بها،

وإلا قدمت إليهم الفكرة أو الأمر على مراحل حتى يمكن التنفيذ أو الاستفادة.

د ـ يجب أن تكون الفكرة حاملة لشيء يفيد الناس في حياتهم ويستطيع الداعية أن يقنع الجماهير بحاجتهم إليها ، كما ينبغي أن تحمل الفكرة طابع النفع العام وليس الشخصي البحت .

هـ ـ يجب أن تكون الفكرة المعروضة قد درست وناقشت الآراء المعارضة لها أو المذاهب المخالفة لأفكارها، وأن يكون الداعي مستعداً لتنفيذها.

و ـ يجب أن تكون الفكرة مناسبة لمقتضى الحال، وفي مستوى عقول الناس وافهامهم فإن لم تكن كذلك، يجب أن يعمل الداعية على تبسيطها.

ز ـ يجب أن لا تلقي هذه الأفكار باسلوب الاستعلاء أو الأوامر والتهديدات من قبل مبلغ الفكرة، بل يجب أن يتوصل إلى شعورهم وعواطفهم وعقولهم بالاساليب اللازمة لذلك.

٣ ـ وسائل الايصال والتبليغ

أ ـ المشافهة ـ إذا استطاع الداعية أن يبلغ الناس مشافهة كان ذلك ادعى إلى التأثير والاستجابة، ففي اللقاءات معاني وايحاءات ليست في غيرها من وسائل الاتصال الأخرى. وكهذا كانت الخطبة والدرس والمحاضرة والمناقشة المباشرة من انجح الوسائل في التبليغ وفي سرعة الاستجابة بالناس والأفراد والجماهير.

ب ـ وسائل سمعية وبصرية، مثل التلفزيون والمسرح والسينما، ويجب أن تستغل هذه الأدوات لايضاح المبادىء والأفكار بالأساليب الحديثة بالرواية وبالقصة وبالتمثيل في المسرح، وهذه الوسائل خطيرة التوجيه جداً لما لها من التأثير

الشخصي فضلاً عن ذيوعها، ودخولها في كل بيت ونـادي، وفي كل مكـان يمكن حملها إليه.

جـ ـ وسائل بصرية فقط كاستعمال الخرائط والصور، كصور الفواجع والكوارث وصور أثار الدمار والحروب، وصور العجزة والمعوقين من أثار ظلم الـظالمين وتدمير المدمرين.

د ـ وسائل شخصية فقط كالإذاعـات والمسجلات وشـرائط التسجيل من خـطب ودروس ومحاضرات وبيانات وتعليمـات وتوجيهـات. وهذه الـوسائـل سهلة ميسورة واستطاعت في العصر الحديث قلب موازين كثيرة لما لها من تأثير كبـير وميسر للجميع في كل زمن ومكان.

٤ ـ وسائل نفسية وتأثيرية

أ ـ دراسة اذواق الشعوب والأفراد وثقافاتهم الخاصة.

ب ـ دراسة مفاهيم الشعوب واستعدادتهم الخاصة.

حـ ـدراسة معتقدات الشعوب ومذاهبهم واديانهم وتأثيرات ذلك عليهم.

د ـ دراسة العادات والتقاليد والمراسم والأشواق لكل شعب أو جماعة.

هـ ـ دراسة تطلعات الأفراد والأمم والشعوب وآمالهم الخاصة والعامة. وبعـد كل هذه الدراسات تنظم الدعوة حسب هذه الدراسات المستخلصة وتبلغ بشتى المؤثرات الثلاث المعروفة وهي:

١ ـ المؤثـرات الحسية التي تخـاطب الحس مثـل الحب والكـراهيـة والشهـوة والغريزة وكل هذا يتم في نطاق الأمور الحلال والمباحة شرعاً.

٢ ـ المؤثرات العقلية ـ التي تستثير العقل ـ والتفكـير، كالتصـديق والتكذيب والاعجاب، والرفض والاستنكار.

٣ ـ المؤثـرات النفسيـة، وهي التي تخـاطب العقـل البـاطن أو الـلاشعـور،

وتعمل عملها في داخل اللاوعي . وهذه لا تلبث أن تظهر على السطح في يوم من الأيام وذلك كعمل الداعية للخير حتى مع أعدائه ، فإن لذلك تأثير وإن كان لايظهر وقتياً ولكنه في داخل اللاشعور محفور يترجم فيما بعد إلى أعمال صالحة للدعوة والداعية الفاعل لذلك الخير . وصدق القائل .

من يفعل الخير لا يعدم حوازيه — لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال غيره

يد المعروف غنم حيث كانت — تحملها كفور أم شكور

فعند الشاكرين لها جزاء — وعند الله ما كفر الكفور

المبادىء العامة التي يجب اتباعها والاستفادة منها

خطة الداعية الدراسية والعملية التي ينبغي أن يتلمس في جوانبها من الأساليب ما يحقق له غرضه في انجاح دعوته تتلخص فيما يأتي .

١ ـ يجب على الداعية دراسة نفسية الرأي العام لأن المجتمع مكون من نسيج من الأشخاص أصحاب الميول والرغبات والارادات .

فالداعية الناجح هو الذي يفهم الجماهير فهماً تاماً ويعلم الطرق التي توصله لاقناعهم بفكرته ، والطرق التي تربطهم دائماً به وتجعلهم يحسون به ولا يستطيعون الاستغناء عنه . وقد تصير كلمات الداعية فيما بعد مثلاً يحتذيه الشعب أو شعارات يترنم بها ومن ذلك ما يقوله بعض زعماء الاصلاح في بلادهم وتتخذها الشعوب شعارات لها من هذا ما قاله الامام محمد عبده وتلقفها الناس من بعده :

«يــريد تنبيــه الرأي العــام حتى يميز مــا للحكومــة من حصة الـطاعة عــلى الشعب وما للشعب من حصة العـدالة عـلى الحكومـة ، « الحاكم بشـر يخطىء ويصيب ولايصده عن الخطأ إلا تيقظ الرأي العام ، ووقوفه أمام الحاكم إذا تجاوز حده بالقول أو الفعل »[1].

٢ ـ عامل الخلق والتجديد، يجب على الداعية أن يستخدم اسلوب الخلق والتجـديدة ليكتسب عـدة عـوامـل أولهـا ـ عنصـر المفـاجـأة الـذي يلفت النـظر ويسترعي الانتباه ثانياً: البعد عن الملل والفتور والـلامبالاة، ولا بـد أن يصاحب هـذا ذكاء الـداعيـة حتى لا يكـون التجـديـد عبـارة عن مسخ أو اضحـوكـة أو استهجان، فيؤدي إلى عكس المطلوب.

٣ ـ عامل خفة الروح والدعابة والنكتة، وهذه العوامل لها مـا لها من تـأثير على الرأي العام وعلى ربط الجماهير بـالداعيـة، والنكتة قـد تكون سببـاً في هدم زعامات وضياع أفكار و شل عقول واجهـاض مذاهب. ومن المعـروف أن بعض الشعوب تحب النكت وتهيم بها، وقد تكون النكتة على شكل كاريكاتير، أو شيء من هذا القبيل.

٤ ـ عامل استثارة النخوة واستنهاض الهمم واحياء العقائد واشعالها، وهذه العوامل إذا استيقظت من امة كفيلة بـأن تجعلها تنـطلق اسرع من الصـاروخ إلى تحقيق الأهداف المرادة والمبتغاة، ومعين الداعية المسلم في ذلك بحور ومحيطات لا تنضب فعنده من الآيات والأحاديث التي لا تحصى على الاستشهاد في سبيل الله واستنهـاض الهمم ، ما يستـطيع بـه أن يوقظ الجمـاد ، فضلاً عن شعـوب من المسلمين ، أو من الذين يعقلون .

---

(١) زعماء الاصلاح تأليف احمد امين ص ١٠٠، ١٠٠ ط القاهرة عام ١٩٦٠.

ونجد في العصر الحديث الصهيونية التي استغلت الديانة اليهودية وغيرت في التوراة، وبدلت لتثير بذلك احاسيس وهمم الشعب الصهيوني نحو فكرة معينة. ونرى من قبلهم الشعوب الصليبية التي قاتلت المسلمين تحت اسم الصليب واحتلت ديارهم واوطانهم، ولم يخرجهم من ديار المسلمين الإصلاح الدين الايوبي بعد استنهاض النخوة الاسلامية واحياء العقيدة الربانية من قلوب المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

٥ ـ عامل الدأب وملء الفراغ: فالداعية المسلم لا بد أن يملأ الفراغ الاعلامي ولا يترك اذان الناس تسمع لغيره، بل لا بد أن يتبع نظرية الدوى الاعلامي أو التغطية الاعلامية الكاملة، بالتحدث عن الفكرة في كل مكان، واطلاق الشعارات التي تحفظ بسهولة، وكتابة المقالات التي توضح جوانب القضية أو الفكرة، وإقامة الندوات والمحاضرات والمحافل الخطابية، واخراج الكتب والنشرات التي تعمق الفكرة وتشرح المبادىء وتوضح التعاليم. إلى غير ذلك من الاساليب حتى ترسخ الفكرة وتظل حية متفاعلة.

٦ ـ اسلوب البساطة والوضوح، يجب على الداعية أن يتعلم كيف يوصل الفكرة إلى العقول في بساطة ووضوح وبسهولة فالعصر اليوم عصر يميل إلى هذا اللون. كما يجب أن تكون الشعارات المختارة توضح حقوق الانسان، وتعبر عن آماله واحلامه وتلقي الضوء على قضاياه، وتلبي أشواقه ورغباته،

وأن تكون الفكرة مصاغة في مبادىء سهلة واضحة حتى يكون لها من التأثير والسحر ما يثير العواطف ويسترعي الانتباه.

٧ ـ اسلوب استغلال الفرص واقتناص المناسبات، فقد كان الرسول ﷺ ينتهز فرصة أسواق العرب، وكذلك فرصة الحجيج في مكة ليبلغ دعوته وينشر رسالة ربه.

فالرأي العام يتأثر كثيراً إذا كان عقله مفتوحاً نحو فرصة معينة أو مناسبة مخصوصة، ووجد من يشاركه تلك الفرصة، أو يوجهه فيها،

٨ ـ اسلوب كشف الباطل وبيان ضرره على الناس وعلى المجتمع، يقول خبراء الاعلام، أنه يجب أن تنشر باستمرار فضائح ومخازي الخصم بسرعة حتى تتحول أنظار الناس إلى الخطر المحدق بها.

ولذلك يجب على الداعية المسلم أن يبين خطر الغزو الثقافي على الأمة وخطر التقليد الأعمى للأعراف والعادات، وخطر المذاهب المنحرفة على كيان الأمة وعلى مستقبلها وعزتها، وعلى تقدمها العلمي والحضاري، بل وعلى صحتها ، فينشر الاحصاءات الكثيرة ، من أصحاب المرضى النفسيين ومن أصحاب الشذوذ الجنسي ومن أصحاب الانحرافات ، ومن المدمنين والضائعين ، ومن وسائل الدمار التي يعدها أصحاب المذاهب لهلاك الانسانية ، ومن بغي هذه الشعوب ومظالمها ومساعدتها للظالمين والمعتدين ومن قتلها للابرياء إلى غير ذلك حتى يتنبه المخدوع والنائم .

٩ ـ أسلوب جس النبض، وعدم مفاجأة الشعوب بالتغيير دفعة واحدة وقد استعمل هذه الاسلوب القرآن كثيراً من تغيير عادات الجاهلية، كتغيير عادة شرب الخمر وغيرها.

وهذا الاسلوب يقي الداعية خطر المفاجأت والاحراجات والأزمات ويمهد كثيراً لافكاره ويوفر عليه جهداً كبيراً ووقتاً عظيماً.

١٠ ـ اسلوب الصمت، أو الاسلوب السري. يجدي الاسلوب السري في حالة الاضطهاد وفي حالات كثيرة يراد حجبها لأمر معين فليست كل الامور يجب أن تكون في منطقة الضوء.

كما أن أسلوب الصمت هذا يجدي عن كشف بعض الحقائق التي كـان يود الداعية كتمانها لمصلحة المسلمين أو الدعوة، فـإن الشعوب والأفـراد لا تلبث أن تنسى بعـد قليل، وقـد يكون اسلوب الصمت هـذا نافعـاً في احوال كثيـرة عند عدم إرادة فتح جبهات جديدة على الدعوة والداعية من قبل اعداء يودون اشغال الداعية عن دعوته ولفته عن رسالته، وهذا الاسلوب هـو الذي استعمله القـرآن في حالات معينة منها قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾

١١ ـ اسلوب مخاطبة الناس على قدر عقولهم: «ولقد يسرنـا القرآن للذكـر فهل من مذكر».

وهذا الاسلوب استعمل في العصـر الحديث كثيـراً: فكان هتلر إذا حضـر اجتماعاً للعمال حدثهم في أمورهم وبلغتهم، وإذا حضر من مجتمع العسكريـين خاطبهم بلغتهم، وكذلك استعمل هذا الاسلوب بعض الدعـاة النابهـين فكانـوا إذا خـاطبوا رفيين خاطبـوهم بلغتهم ومثلوا لهم بأمثلة من واقعهم وإذا حضـروا وخـاطبـوا مجتمعـات مثقفـة استعملوا الحجـة والمنـطق والاسلوب التحليـلي والاقناعي.

وقد استعمل نـابليون هـذا الاسلوب مع جنـده ليحمسهم فقال لهم عنـد غزو مصر مشيراً إلى الاهرام «إن اربعين قرناً من الزمان تنظر إليكم من فوق هذه الأهرامات» كذلك حاول أن يخاطب الشعب المصري بلغته العربية فاستقدم معـه مطبعه لكي يطبع بها المنشورات بـاللغة العـربية، ويـوزع خطبـه مترجمـة باللغـة العربية.

١٢ ـ الاهتمامات بالدوافع الفردية والجماعية، أما الاهتمامات بـالدوافـع الجماعية فقد تقدمت، وأما الاهتمامات بالـدوافع الفـردية فيشتـرط أن لا تكون

على حساب الدوافع الجماعية بل تكون في حلقة مكملة لها، فإن استقرار الفرد فيه استقرار للمجتمع، وتلبية حاجاته الحلال فيه كذلك اسعاد للجميع، وكاستجابة دوافعه في الصحة والراحة واتقاء الخوف، والزواج والتعليم، وضمان العمل والحرية والعدالة إلى غير ذلك من الاهتمامات التي يبحث عنها الفرد. فيجب على الداعية أن يجعل في دعوته مكان لابراز هذه الاهتمامات الشخصية. حتى يبرز الجانب الحياتي والشخصي والعائلي والاسري فيكون ذلك ادعى إلى إجابة دعوته وسماع قوله.

المبحث الثالث

مبادئ يجب معرفتها والحذر منها

١ ـ عوامل التحريف فإن الاعداء قد يعمدون إلى عوامل تحريف قول الداعية أو إثارة الشبهات حول كلامه أو تحميله ما لا يحتمل.

٢ ـ عوامل الكذب والافتراء واختلاق الأزمات، فيجب على الداعية أن يفطن إلى أساليب الخصم ويعرف المراد من ذلك حتى لا يقع فيما لا يريده.

٣ ـ عوامل الحذف أو النسيان، فإن اعداء الدعوة الاسلامية قد يعمدون إلى تجاهلها وحزف جهودها وعدم الاعلان عن كل ما يتصل بها حتى ينساها الناس. عملاً بالمبدأ الاعلامي: إذا أردت أن تهمل زعيماً معادياً لك فالوسيلة هي أن تحذف اخبار وتصريحات هذا الزعيم، فإن الوقت كفيل بأن يكون سلاحاً لقتل سمعة هذا الزعيم «كذلك يمكن حذف أخبار الأعداء. فإذا أرادت قوة أياً كانت أن تحذف داعية أو دعوة، فلا بد أن يضاعف الداعية نشاطه حتى يغطي على هذا الحذف المقصود، وأن تكون له صحافته ومجلاته التي تعوض هذا الحذف.

٤ ـ اسلوب التضخيم والتهويل، فإن الصحف إذا أرادت أن تبرز خبراً

أظهـرته وكتبتـه بعناوين كبيـرة، وكذلـك من يوحـون إليهـا بهـذا العمـل. وقـد يستعمل اسلوب التهويل والتضخيم ضد الدعاة بأن تبرز الاخـطاء الصغيرة عـلى أنها أعمـال كبيرة وشنيعـة، وأن تقام لهـا الندوات وتعـدلها المحـاضـرات لشغـل الداعية ولفت الناس عنه وتهويل ذلـك في افهام النـاس ولفت الناس بـالتالي عن اخطاء القائمين على هذا العمل وتحرير اعمال معينة.

٥ ـ اسلوب الخداع بأقـوال الغير: وهـذا اسلوب يتبع دعـائياً حينـما تريـد حكومة ما أن تمتدح عملها أو تزيين باطلها فإنها تلجـأ إلى جريـدة في دولة اجنبيـة وتكون هذه الجريدة تابعة لها، أو تعمد إلى نشر الخبر بـدفع الثمن، وتكيل تلك الجريدة المديح لهذا العمل العظيم وتعطيه الثناء المطلوب والمملى على الجريدة. ثم تعمـد تلك الحكومـة إلى نقل هـذا المديـح وتذيعـه على النـاس على أنـه شهـادة صدق، واقرار من جهات محايدة، على عظمة هذا التصرف أو هذا الفعل:

وكـذلك تستغـل هذه الأمـور في تهوين بعض الامـور أو تخويف من بعض أخر ويكون هذا تمهيداً لشيء معين وخداعاً مقصوداً.

فيجب على الداعية أن يكون بصيراً بهذه الخطط والألاعيب المقصودة.

٦ ـ اسلوب الاستهـلاك المحـلي وتحـويـل الأنـظار، بـافتعـال شيء ولفت الأنظار إليه، أو اختلاق أزمة أو فتنة واشغال الناس بها وعمـل شيء معين تعميـة على الناس، وقد يكون ضحيتها داعية أو دعوة ويجب أن يفطن الداعية إلى ذلـك فيأخذ للأمر عدته.

أما بعد:

فليس المقصود من هذه العجالة استيفـاء الدراسـات حول المـوضوع وإنمـا المقصود لفت انظار الـداعية إلى اسس ومقـومات يجب الالتفـات إليها ومـواصلة البحث فيها والاستفادة منها حتى يستطيع أن يواجه العصر وأفكاره ودعاتـه، وإلا

فالساحة مفعمة بالأحداث الجسام والأفكار المتهافتة والنزعات المختلفة، ولولا ثبات المبادىء الاسلامية بطبيعتها، وشموخ التعاليم الاسلامية بحجتها، ورسوخ العقيدة الاسلامية بهدايتها لكان للمسلمين في هذا الزمان شأن أخر، فالاسلام هو الآن وحده في الميدان يغالب فينتصر، ويصارع فيصرع ويجاهد فيفوز فكيف إذا كان معه رجال أو كان له جند أو قام عليه دعاة.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ صدق الله العظيم .